الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

العدد الرابع: رجب الأصب ١٤٣٠ هـ ق

كلمة التحرير

المجتمع الإسلامي والتمهيد للظهور

الدكتور احمد عبدالرحيم السايح

اهداف الدولة الممهدة للظهور

مريم كريمي نيار

سوق المهدوية في عصر الغيبة و تبعيته لحوار منهج الحداثة في قوانين الطبيعة

الدكتورمحمد جواد جاويد

التجربة السياسية في ايران والافق المهدوي الموعود دراسة فلسفية سياسية

عبداللاوي محمد

الازدهار و الانفتاح و الانجازات الكبرى في النوره العالميه للامام المهدي

الدكتور محمد رضا جواهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية
العدد الرابع
رجب الأصب ١٤٣٠ هـ. ق

تصدر عن:
مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:
مسعود بورسيدآقايي

مدير التحرير:
رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:
آيةالله سامي البدري، الدكتور جاسم حسين، الدكتور تيجاني السماوي، الدكتور نسيم الخوري، الدكتور ادريس هاني، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمي، الدكتور محمد صابر جعفري، الدكتور فرامرز سهرابي، الدكتور مسعود بورسيدآقايي، الدكتور رضي موسوي الجيلاني

المترجم:
ضياءالدين خزرجي

مدير الترجمة:
ابوالفضل نورمحمّدبور

تصميم والكرافيك:
رسول محمدي، علي قنبري

فهرس المندرجات

كلمة التحرير ٣

المجتمع الإسلامى والتمهيد للظهور ٨

الدكتور احمد عبدالرحيم السايح

أهداف الدولة الممهدة للظهور ٤٢

مريم كريمي تبار

سوق المهدوية فى عصر الغيبة و تبعيته لحوار منهج الحداثة فى قوانين الطبيعة ٩٩

الدكتور محمد جواد جاويد

التجربة السياسية فى إيران والأفق المهدوى الموعود دراسة فلسفية سياسية ١٣٤

عبداللاوي محمد

الازدهار و الانفتاح و الانجازات الكبرى فى الثورة العالمية للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف ١٧٦

الدكتور محمد رضا جواهري

كلمة التحرير

إن حركة العالم باتجاه توحيد السياسة، الاقتصاد و الثقافة، هو بشارة يومية و عصرية لتحرير الانسان و تخليصه من براثن التبعية و العبودية، و إنقاذه من تشتت الأهداف و الفوضى فى مناهج الحياة، و أساليبها المتنوعة، و تفسير لهوية الانسان فى أجواء نفسية آمنة و مطمئنة. و قد اعتبرت فكرة انتظار المنجى و المخلص أسّ عناصر صنع الوحدة و التلاحم فى الأمة، و تلائم الفكر البشرى المعاصر، و تشجيع على التحرر من تحديدات و قيود الأنظمة المادية و التحجر، الفاقد لعناصر الانحراف بعد المنهج التجددى و الحداثة.

إن الهدف من عولمة الانتظار و السعى لتحقيق هذه المقولة، هو إرساء سبل السلام و دعائم العدل للجميع، و هو بحاجة الى رؤية منهجية و شمولية واضحة و معبّرة حول تعاليم و مفاهيم المهدوية، و صنع النظرية و الاطروحة فى هذا المجال.

و هى تلك النظرية و الاطروحة التى استترت خلف بوابات و حدود الدولة و الشعب، و مهّدت فى توسيع و ازدهار جغرافيا العالم، و فتح تلك القلوب المتعبة و المرهقة التى اجتازت أزمات فقدان الهوية و الضياع، و فقدان القيم و المبادئ السامية.

و يمكن التنظير على أساس فكرة انتظار المنجى و المخلّص فى عدة حلقات هى:

١. الاضرار المحيطة و المحدقة بعولمة المنجى و المخلّص:

و يحدث فى هذه المرحلة أصالة التصديق بالمنجى و المخلّص لدى الشعوب و الامم، و الملل و النحل كافة. و تتطلب مرحلة الأصالة هذه الى دراسات و بحوث معمّقة و مطالعات أساسية فى باطن الدين، حيث يتم من خلاله رفع و إزالة كافة الرواسب و الشبهات العالقة حول المنجى و المخلّص من خرافات، و تنزيه الثقافات المختلفة و العديدة من أدران الغموض و الابهام.

إن تحليل و دراسة النصوص الدينية الأصيلة التى تقترب من عصر الوحى و الرسالة هى من جملة الأمور التى تتطلب توجهاً و بذل اهتمام خاص و مكثف فى هذه المرحلة.

٢. إظهار المنجى و المخلّص الاصيل و تعريفه الى العالم:

و تتفتح حلقات أخرى بعد دراسة و معرفة الأضرار الداخلية فى الدين، الناجمة عن طبيعة الأجواء الخارجية، و فيها يشترك و تتلائم فكرة المنجى و المخلّص لدى كافة الأديان مع طبيعة النظرة و التعاليم السماوية الالهية، و عرضها على العالم.

و يكون عرض هذه الفكرة فى هذه المرحلة من خلال الجذور و الرواسب العميقة التى تمتلكها فى الأديان، ذات طابع مقبول لدى غالبية الشعوب و الأمم العالمية.

٣. شمولية فكرة انتظار المنجى و المخلّص:

ستؤدى معرفة المنجى و المخلّص الأصيل الى الانشداد النفسى و الروحى البشرى نحوها، و هذه الحلقة الثالثة، هى مرحلة توجيه الانتظار الصحيح فى نطاق المجتمع و

مهده الحاضر، و إيجاد نوع من المقارنة و التمايز بين الانتظار الايجابى و هو بذل الجهد للتمهيد للظهور، و توسيع العدالة، و مواجهة حالات العزلة و الانزواء و الظلم و الانتظار السلبى، فيكون نشر الظلم فى المجتمع، و التحضير للثقافة المهدوية فى الأوساط البشرية العامة هو من أهم سمات و خصائص مؤسسى عولمة العدالة، و المعنيين فى فهم تعاليم الانتظار و المنجى و المخلّص.

٤. نماذج و عينات من التأسى و الاقتداء من عصر الظهور و نهاية عصر الغيبة:

تهدف فكرة انتظار المنجى و المخلّص الأصيل لدى الأديان إلى إيجاد ظروف و عوامل تتلائم مع طبيعة المنجى و المخلّص، لإثبات صحة ادعاء المنهج المثالى و النموذجى فى التأسى و الاقتداء، و هذه أيضاً من أهم الحلقات و أشهرها فى هذه المرحلة، و هى تشجّع ولاة الأمر و العاملين على الاسراع بقطف ثمارها، و إنجاح مشروعهم فى توسيع و بسط نفوذها، و دائرة حدودهاو اختياراتها العالمية.

و على المعنيين فى هذا الأمر و المسئولين القائمين بأعمال الحكومة ممارسة أدوارهم المهمة و الحيوية و الأساسية فى عولمة الانتظار، و عامة المنتظرين كذلك من خلال ظروف و طابع الحياة الاجتماعية.

و هذه الأدوار المهمة و الحيوية هى: استخدام نماذج و تطبيقات فى منهج التأسى و الاقتداء، و أخذ شرائح و عينات من عصر الظهور، و أخرى مشابهة لها، لتطبيقها فى كافة المجتمعات العالمية.

٥. تشكيل مؤسسات و منظمات عالمية و دولية تحت عنوان «الدور الرقابى و إشراف العدالة».

و يتم فى هذه المرحلة و الحلقة التالية إيجاد ضمانات حاسمة لاتخاذ قرارات و إجراءات خارجية فى الأبحاث و الدراسات النظرية للحلقات السابقة.

و التي يتم من خلالها، تأمين سهولة تطبيقاتها، و ضمان سلامتها.

فمن أبرز خصائص و سمات عصر الظهور:

شمولية العدالة في الطول و العرض الجغرافي، فالعالم المنتظر للظهور و مجيء المنجي و المخلّص هو بحاجة الى بذل جهود و مساعي حثيثة و مضاعفة للتحضير الى تطبيق مستلزمات العدالة و متطلباتها، و الاهتمام بالآليات الباطنية كالنماذج الأخلاقية، و الخارجية كوضع القوانين، و لزوم الاستعانة بالركيزتين الفاخرتين في الشريعة الاسلامية، و هما: فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في قراراتها و أنظمتها العالمية. و هذه هي الحلقة التالية في عولمة الانتظار. و ستساهم في تحضير الأجواء و الاوساط العالمية المناسبة، من خلال إيجاد مؤسسات و منظمات دولية و إقليمية لها دور «رقابي و إشراف العدالة» لمنع حصول أيّ خروقات أمنية و تجاوزات تستهدف حقوق الانسان الحقيقية و الحقوقية في العالم، و تحدّ من انتشار هذه التجاوزات و الاعتداءات.

و من الخطوات السابقة لهذه المرحلة هي مرحلة إصدار قرارات رسمية منددّة بالتحركات الظالمة و المشبوهة في العالم، و التي يمكن ان تستغلّ موقعها القانوني و الرسمي، و تستمر في هذا الاتجاه.

٦. الدعوة لاستقبال أعضاء ناشطين جدد من الدعاة الى تطبيق العدالة من أتباع الديانات الأخرى في مؤسسة العدالة. و ينبغي الانتباه الى هذا الأمر و هو: أن المعنيين بأمر العدالة عليهم أن يتفهمّوا ابتداء معنى العدالة بشكل واضح، لتتوفر لديهم خلفيات إيمانية مطلقة و قواعد ثابتة لها. فالمعتقدون بالأديان المختلفة هم نماذج مختارة و مصطفاة، و أعلام للعدالة، الذين يمكن من خلالهم الارتقاء بها و ايصالها الى المستوى الرفيع، و ذلك من خلال متابعة النظر في «المعتقدات المذهبية» و العمل «بالمناسك الدينية»، فمثلاً يمكن تشكيل مؤسسات حكومية (GO) و منظمات شعبية كمنظمة

(NGO) الناشطة، و منح مسئوليات تطالب بالعدالة، للمساهمة فى تقويض حجم المعاناة البشرية، و العمل على توسيع و نشر العدالة فى العالم.

و يمكن عدّ هذا من الخصائص و السمات البارزة لطبيعة عمل هؤلاء النخب و الأعضاء فى تلك المؤسسات.

٧. تخصيص مكافئات و جوائز عالمية لدعاة العدالة و السلام تحديداً، بالاستعانة بمنطق التشجيع، و التبليغ لعناصر الدعوة فى نشر العدالة، الذى سيساهم كثيراً فى إعطاء نتائج أفضل للمعنيين فى هذا المجال، و إمكان قبول عولمة الانتظار.

فالتعرف على نماذج و شخصيات مهمة و ناشطة فى مجال نشر العدل و السلام، و تخصيص مكافئات و جوائز و منح لهم بهذا الخصوص، هو من أهم مستلزمات طبيعة هذه المرحلة فى ميدان الانتظار.

آملين فى عبور لحظات الانتظار و انتهائها، و مجىء المنجى و المخلّص العالمى الأصيل، الموعود به فى الاديان السماوية الالهية، ليعمّ العدل و السلام فى ربوع العالم.

اللهم عجل فى ظهور فرج مولانا صاحب العصر و الزمان عجل الله فرجه الشريف آمين يا رب العالمين و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين

المجتمع الإسلامي والتمهيد للظهور

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

قد يكون واضحاً: أن المجتمع الإسلامى يرجو ويأمل. أن ينطلق ليؤدى دوره فى حركة الحياة. وقد أصيب المجتمع الإسلامى بهزات. كما أنه يمتلك جذوة اتقاد تؤهله لاستقبال المهدى الموعود. حتى يعود المسلمون إلى عزهم ومجدهم. ولا يخفى: أن هناك معايير وضوابط تشير إلى قرب ظهور المهدى. والمجتمع الإسلامى مؤهل فى هذا العصر. لأن يساهم باقتدار فى صنع ما تحتاجه الإنسانية.

وإذا كان الاغتراب الزمانى، والاغتراب المكانى، من المعوقات التى أصابت الأمة. فإن المجتمع الإسلامى يملك فلسفة حياتية بالرجاء والأمل. تعينه هذه الفلسفة لاستقبال المهدى المنتظر. والمجتمع الإسلامى الكبير ما حدث به من أحداث مختلفة تعد عند الباحثين والدارسين: تمهيداً لظهور المهدى الموعود.

والرؤية المستقبلية تشير: أن هذا المجتمع مقبل بالمهدى إلى بناء شخصيته بناء لا يطغى عليه الانفعال، ولا يسيطر عليه التفكير المادى ولا الانحراف الفكرى المتأتى من

سيولة العقل، وامتداد لا معقول. وإذا كانت المجتمعات الإسلامية عانت من التيارات. مما شغل الناس عن المواكبة العلمية. فإن المجتمعات الإسلامية سوف تسعد بظهور الإمام المهدى. ولاشك أن المؤتمرات المهدوية تبصر الناس بالمواقع، وتعرف على طريق الصواب. وأن أمة تخطو إلى الأمام. لابد وأن ننطلق بقوة، ووعى، وفهم.

الفصل الأول: أذي أصاب المسلمين

إن ما أصاب المجتمع الإسلامى "غزو فكرى" مقصود، يعمل لإذابة الشعوب، وانسلاخها عن عقائدها، ومذاهبها، وحضاراتها، لتصبح مسخاً شائها تابعاً لغيره، يؤمر فيطيع.

ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية، وخداعها، والتمويه عليها، وقلب الحقائق، وتشويه الحقيقة، عن طريق تصنيع الكلمة، وزخرفة القول، والدخول إلى المخاطب، من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به، والإيحاء إليه بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف الذى تحمله كلمات الغزو.

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال، وتساقطت فى هاوية الضلال والانحراف، والفساد الخلقى، والعقدى، والاجتماعى، بسبب تصورات "الغزو" المزخرفة الخداعة، التى يرقص السذج، والجُهّال على نغم إيقاعها، ويفتنون بسماعها وأناقة ظاهرها.

ولكم عانى الإنسان والشعوب من أولئك الذين يصنعون "الغزو الفكرى"، ويصدرونه فى موجات، تقتحم الديار والبيوت.

لقد قيدت الإنسانية إلى هاوية الضلال، والانحراف. ولقد كان "للغزو الفكرى" فى كل جيل، وفى كل عصر دوره التخريبى، فى حياة الناس، إلا أن البشرية لم تشهد فى مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه "للغزو الفكرى" خبراء، ومتفلسفون، وأجهزة، ومؤسسات، كعصرنا الحاضر هذا.

الذى اتخذ فيه "الغزو الفكرى" صبغة الفلسفة، والنظرية، والمبدأ، الذى يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه، وينقادون له.. ومما لا ينكر: أنه لم يواجه دين من الأديان، ولا عقيدة من العقائد، مثل ما واجه الإسلام من تحديات، فقد واجه الإسلام منذ فجر تاريخه، تحديات عنيدة من مخالفيه، فقد واجه المشركين فى مكة، واليهود فى المدينة. ثم لما فتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها واجهت الثقافة الإسلامية أفكاراً شعوبية إلحادية، وفلسفات وثنية، كالفلسفات المتشددة، واليونانية والهندية، وغيرها.

ولكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات، وانتصر عليها، فقد كان المجتمع الإسلامى آنذاك يعى الإسلام وعياً كاملاً، ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التى كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة، وما تحمله من شبهات.

وهى فى جملتها تعمل على نقل الفكر، من مجال أصالة الفطرة، ومنطق العقل الصحيح، وطريق التوحيد، وطابع الإيمان، إلى مجال الإلحاد والإباحية.

غير أن المجتمع تصدى لهم، وأخذ يكشف زيفهم، ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد، ولم تستطع أن تنال من الإسلام عبر العصور.

على أن من أخطر هذه التحديات هى تلك التى تواجهها المجتمعات الإسلامية اليوم، وهى تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حيناً، والمستترة أحياناً، هذا التحدى الذى يتمثل حالياً بالغزو الفكرى الغربى[1].

أسباب الأذي الذي أصاب المجتمع الإسلامي

أولاً: العداء الصليبي للإسلام والمسلمين:

والباحثون يدركون أن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامى، فى مرحلتين من مراحل تاريخها: فكانت مرحلة القرون الوسطى، قبل وبعد " توماس إلاكوينى"[2]. تريد اكتشاف

هذا الفكر، وترجمته.

من أجل إثراء ثقافتها. بالطريقة التى أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات، التى هدتها إلى حركة النهضة، منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى.

وفى المرحلة العصرية والاستعمارية، فإنها تكتشف الفكر الإسلامى مرة أخرى، لا من أجل تعديل ثقافى، بل من أجل تعديل سياسى، لوضع خطهها السياسية، مطابقة لما تقتضه الأوضاع فى البلاد الإسلامية من ناحية أخرى، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات فى البلاد الإسلامية[٣].

ويذكر المؤرخون أن الجيوش الأوروبية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين:

الدافع الأول: دافع الدين، والعصبية العمياء، التى أثارها رجال الكنيسة، فى شعوب أوروبا، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار - أى المسلمين.

فكانت جمهرة المقاتلين، من جيوش الصليبيين، من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية، من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلى حيث يلاقون الموت، والقتل، والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشاً بعد جيش.

الدافع الثانى: دافع سياسى استعمارى، فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة، وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما فى نفوسهم إلا الرغبة فى الاستعمار والفتح، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة[٤].

ويكاد يكون معروفاً، أن أوروبا شنت ثمان حملات صليبية على الشرق الإسلامى، وقد بدأت الحروب الصليبية منذ منتصف القرن الحادى عشر، واستمرت حتى نهاية

القرن الثالث عشر. أى ما يقرب من مائتين وخمسة وعشرين عاماً فى ثمانى حملات من الحملات المدججة بالعدد والمعدات. ويصف كاهن مدينة (لوبوى ريموند واجيل) سلوك الصليبيين حينما دخلوا على القدس، فيقول:" حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقطعت رؤوس بعضهم، فكان أقل ما أصابهم، وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم فى النار.

فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى فى شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه"[٥] وروى كاهن نفسه: خبر ذبح عشرة آلاف مسلم فى مسجد عمر ويقول فى هذا:"لقد أفرط قومنا فى سفك الدماء فى هيكل سليمان، فكانت جثث القتلى تعوم فى الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدى والأذرع المبتورة تسبح، كأنها تريد ان تتصل بجثث غريبة عنها.

وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة، لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمنشفة"[٦].

ويذكر التاريخ: أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس فى ١٥ مايو عام ١٠٩٩م، قد ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم، حتى سبحت الخيل إلى صدورها فى الدماء، وفى انطاكية، قتلوا أكثر من مائه ألف مسلم.

فالأمر خطير، إنه حقد الشر على الحق، والرذيلة على الفضيلة وعداوة الشرك للتوحيد، وخصومة الضلال للهدى[٧]. وقد صمدت الأمة الإسلامية فى وجه هذه الحروب الوحشية التى سلبت، ونهبت، وقتلت وفتكت. وبعد مضى أكثر من قرنين من حروب دامية، اشتد وطيسها، بين كتائب الإيمان، وبين جحافل الشر، ارتدت الحروب الصليبية،

وقد باءت هذه الحملات بالإخفاق والهزيمة.

فالقديس "لويس التاسع" قائد الحملة الصليبية الثامنة، وملك فرنسا، وقع أسيراً فى مدينة "المنصورة" فى مصر. ثم خلص من الأسر بفدية ولما عاد إلى فرنسا، أيقن أن قوة الحديد والنار لا تجدى نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة، تدفعهم إلى الجهاد، وتحضهم على التضحية بالنفس، وبكل غال.

إذن: لابد من تغيير المنهج والسبيل، فكانت توصياته: أن يهتم أتباعه بتغيير فكر المسلمين، والتشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض.

وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار إلى ميدان الفكر[٨]، لأن القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم، لا يمكن أن يأتى عن طريق القوة المادية، والغزو المسلح.

ولقد بدأت حركة "الغزو الفكرى" من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة، بعد هزيمة الحروب الصليبية - كما وجههم "لويس التاسع" - والعمل على ترجمة القرآن، والسنة، وعلوم المسلمين، للبحث عن الثغرات التى يدخلون منها إلى إثارة الشبهات.

وقد أعلنوا صراحة: أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن أكبر غاية لهم هى ضرب وهدم قواعده"[٩].

لقد فشلت الحروب الصليبية من الوجهة الحربية.. لكن بقى "الغزو الفكرى" ينفث سمومه، ويثير الشكوك، وبقيت النزعة الصليبية تتوارى خلف ستار من الدبلوماسية، والرياء السياسى، تحرك ما تريد تحريكه، وتقف خلف الغزو الفكرى، بكل ما لها من قوة وعلم. ولا شك أن العداء الصليبى للإسلام، هو الدافع الأساس والأصيل "للغزو الفكرى" الذى تسلط على مجتمعات الأمة الإسلامية، ونجد أن هذا العداء أخذ "شكل السعار الوبائى" لدى الأمم الغربية "الصليبية" فأخذوا مستميتين يوزعون السموم، ذات اليمين،

وذات الشمال، ويفترون الأكاذيب، ويطمسون الحقائق، ويدبرون المكائد، ويتصيدون السقطات. ثم يدخلون فى روع أنفسهم، وبنى جلدتهم أنهم أرقى عنصراً، وأفضل عقلاً، وأفلح ديناً، وأنهم أوصياء على البشرية، وسادة الإنسانية، وهداتها، ومرشدوها"[١٠]

ولقد اشترك الاستعمار الغربى، والجهد التبشيرى، والحقد الصليبى، فى حرب المسلمين، وتشتيت تراثهم، ونهب ديارهم، بحيث أصبح يخيم عليهم كسحابة سوداء، من البغضاء والكراهية. يتمثل هذا فيما حدث فى عام ١٩١٨م عندما دخل اللورد اللنبى القدس، وأعلن: " الآن انتهت الحروب الصليبية، كان هذا القائد يعبر عن الروح الأوروبية، الروح الصليبية، التى ظلت متوهجة فى أعماقهم طوال تلك الحقب.

وبنفس الحقد الذى صدر عن الجنرال الإنجليزى اللنبى، كان مسلك الجنرال الفرنسى "عورة" قائد الجيش الفرنسى فى دمشق حين ذهب إلى قبر صلاح الدين، بعد أن جاء راكباً سيارة مكشوفة، وترجل إلى القبر، وقال قولته المشهورة: " نحن هنا يا صلاح الدين".

وفى اليوم التالى عمل الشئ نفسه فى حمص، حيث ذهب إلى قبر "خالد بن الوليد" – رضى الله عنه – وقال: "نحن هنا يا خالد"[١١].

هذا الحقد، والضغن، والمقت، كان سبباً قوياً، فى الإغارة على المسلمين، بشتى الأساليب، والطرق والأشكال، والألوان.

وما زالت تلك الموجة، تعلو، وتشتد، وتمتد، ثقافياً وفكريا، لتخريب قواعد الإسلام، والأخلاق الإسلامية، وإشاعة الأفكار والتيارات الهدامة[١٢]، وشغل الأمة الإسلامية، بكل ما هو هامشى فى حياتها، حتى لا تدرك اليقظة الواعية، ولا تنتبه إلى ما يحاك حولها.

ثانياً: الاستعمار الغربي للمجتمعات الإسلامية:

لقد تعرض المجتمع الإسلامى فى آسيا، وأفريقيا، للطابع الأيدولوجى، للمجتمع الأوروبى، سواء الحديث منه فى القرن التاسع عشر، أو المعاصر فى القرن العشرين، ولم

تكن للمجتمع الإسلامى مناعة كافية فى رفض هذا الطابع وتحديه، وعدم تقبله.

فتعرض للغزو الأوروبى، من أجل الصناعة الغربية، منذ أثمر عهد النهضة الأوروبية ثمرته فى التحرر والخلاص، من سلطة الكنيسة، وفى استرداد الإنسان الأوروبى حرية الحركة فى التجارة، وفى شؤون المال على العموم، وحرية التفكير والتوجيه السياسى[١٣].

وكان الوضع فى البداية قبل الاستعمار تربصاً من جانب، بينما كان استسلاماً من أى مجتمع إسلامى، تعرض للتربص والانقضاض، وقبولاً للوصاية الأجنبية والاستغلال الأوروبى من جانب آخر[١٤].

ومما هو مسجل فى صفحات التاريخ: أن المجتمع الإسلامى وقع فريسة للاستعمار، فقد احتلت بريطانيا: الهند فى سنة ١٨٥٩م ومناطق الخليج الإسلامى، وجنوب شبه الجزيرة العربية فى سنة ١٨٤٩م، ومصر فى سنة ١٨٨٢م، والسودان فى سنة ١٨٩٨م.

واحتلت فرنسا: الجزائر فى سنة ١٨٣٠م، وتونس فى سنة١٨٨١م، والمغرب فى سنة ١٩١٢م. واحتلت إيطاليا: طرابلس الغرب فى سنة ١٩١١م. واحتلت هولندا: جزر الأرخبيل الاندونيسية تباعاً منذ عام١٩٠٣م.

وروسيا احتلت القرم قبل القرن التاسع عشر فى سنة ١٨٧٣م، وسيطرت بإشرافها على المجتمعات الإسلامية فى وسط آسيا، وهى: أذربيجان، وكازاخستان، وأوزبكستان، ونوركيستان، وكازيخستان.. سيطرة تامة فى القرن التاسع عشر، ولم يسلم من الاحتلال الأوروبى سوى: اليمن، والحجاز، وإيران، ووسط تركيا[١٥].

ولا يخفى: أن وقوع المجتمعات الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار زاد من اتساع السوق الاستهلاكية لمنتجات الغرب الصناعية، وهذا أدى إلى تفوق الصناعة الغربية. وكلما قوى المجتمع الأوروبى وتفوق صناعياً، كلما زادت رقعة استعماره فى قارة أفريقيا وقارة آسيا.

وكلما زادت قبضة أوروبا على ما تم استعماره، وكلما اتسع نفوذها السياسى والاستغلالى، وكلما زاد ضعف المجتمع الإسلامى، الذى وقع تحت سلطة الاستعمار، زادت تبعيته وتقبله لما يأتى من الغرب.

ويوم أن تحرك المجتمع الأوروبى لاستعمار المجتمعات الإسلامية، كان فى قمة مجده، بما أنجزه من الفصل بين الكنيسة والدولة، واستقلاله بالسلطة الزمنية، وبالحرية السياسية، كما كان فى أشد الأوضاع حرصاً على اتجاه (العلمانية) كمثال للإنسانية..

استصحب الاستعمار معه هذا الاتجاه، بما يستتبعه فى الحكم، والتوجيه، والتشريع، والاقتصاد، فى المجتمع الإسلامى الذى يتمكن منه.

وباستصحاب الاستعمار اتجاه العلمانية، ومحاولة تطبيق هذا الاتجاه، فى المجتمع الإسلامى، وهو مجتمع يغاير فى خصائصه، وتاريخه، وواقعه.. المجتمع الأوروبى، اضطر هذا الاستعمار إلى أن يسلك طريقاً يمكنه من هذا التطبيق.

وهو عزل المجتمع الإسلامى كلية عن ماضيه، وعن تراثه العقلى، والروحى، والتوجهى، والسلوكى.. فإذا ما تم عزله، أصبحت قيادته ميسرة، وطيعة للمستعمر، وبالأخص للأجيال التى تنشأ فى ظل هذه العزلة[١٦].

ثالثاً: تقدم الغرب العلمي

لقد كان الغرب يملك تقدماً علمياً فائقاً، وتقدماً مادياً هائلاً، وعبقرية تنظيمية مبدعة، وروحاً من الجلد والصبر على العمل والإنتاج، وروحاً علمية فى مواجهة المشكلات من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ[١٧].

ولاشك أن التقدم العلمى المذهل للغرب، كان قوياً دفاقاً، له من القوة والانتشار والاستيلاء، ما بهر العقول، وفتن الألباب، ولا غرو فقد بز بذلك كل تقدم علمى عرفه العالم، وسمعت عنه البشرية فى التاريخ المترامى الأطراف واستطاع أن يخرج من الأسوار،

ويكشف من الاختراعات، ما جعل أبصار الناس وعقولهم تتعلق به[١٨] وخاصة أن هـذا العلم أصبح فى خدمة الإنسان، فى كثير من مناحيه، فاتجهت الأنظار، والعقول، والقلوب إلى الغرب، تتطلع إلى ما فيه من اكتشافات تأتى بجديد[١٩].

رابعاً: الضعف الفكري، والتفكك الاجتماعي:

لقد أصيب المجتمع الإسلامى بالضعف الفكرى، والتفكك الاجتماعى، وذاق من جراء تلك الإصابة مرارة التأخر.

والضعف الفكرى، ما أصيبت به أمة من الأمم، أو مجتمع مـن المجتمعـات، إلا كانـت الحالة، انحطاطاً فى التفكير، واهتماماً بالخرافات والأساطير.

والتفكك الاجتماعى نتيجة حتمية للضعف الفكرى.

لأن الضعف الفكرى، لا يكتشف للإنسان مخاطر الانزلاق فى الهاوية.

ولهذا نجد أن المجتمعات الإسلامية، ابتليت بالطوائف المتعددة والمتنـاحرة، والمذهبيـة التعصبية، وتعدد السلطنات والدويلات، التى قامت على أساس شـعوبى أو مـذهبى، فى هذا المجتمع أو ذاك.

وهذا كله جر المجتمع الإسلامى إلى فوضى قاتلة، وتناحر حقيقى، ونهب وقتل، دون رادع أو وازع.

ومجتمعاً كهذا لابد وأن يتعرض لسيطرة المتربصين به. لقد كانت السلطة الـسياسة فى المجتمعات الإسلامية تعيش فى وضع مقلوب، "وفى ذلك الوضع لابد أن تكتمل الـصورة المقيتة لأى امبراطورية على وشك السقوط، بغض النظر عن اللافتة التى ترفعها، سـواء كانت امبراطورية بيزنطية، أو رومانية، أو عباسـية.لابـد أن تنفـشى الرشـوة، وتكثـر مصادرة الأموال، وتتفاقم الاضـطرابات الداخليـة، مـع الانحـلال الخلقـى، والانـشغال بالتوافه عن الخطر الذى يدق الأبواب"[٢٠].

وأساس انهيار الأمم، يبدأ من الداخل، وقد يأتى تدخل خارجى ليعجل بالسقوط. ولكن يظل الانهيار الداخلى هو بداية النهاية وعاملها الأكبر.

ويأتى الانهيار الداخلى حين تتكون طبقة مترفة تتحكم فى الثروة، وفى الجماهير، فتنشر الظلم، والانحلال، وتحيل حياة الأكثرية إلى جحيم تهون فيه الحياة"[٢١].

خامساً: تخلف الشعوب الإسلامية عن ركب الحضارة:

إن المجتمعات الإسلامية، حين أصابها الضعف الفكرى، والتفكك الاجتماعى، انشغلت بالتافه من الأمور، فقادتها التفاهة إلى التخلف عن ركب العلم، والتقدم، والحضارة..

ومعنى هذا: أن المجتمعات الإسلامية، انصرفت عن تعاليم الإسلام، التى تدعو إلى العلم، والمعرفة، واستعمال العقل، والفكر فى كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم، "وواكب هذا الانصراف انحطاطاً فى القيم، ودعوات إلى الركون إلى المتع، والعبث بالأموال، إلى حد السفه والجنون، والترف والفجور، حتى كان قواد هذا الركب فى كل ناد، وكل صحيفة.

مع جهل ضارب، ونفاق ناشب أظفاره، وفساد فى كل مجتمع وناد، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة، وخراب للذمم، وبيع للشرف، وكره للقيم، وضياع للحق، وهضم للحقوق، وذبح للفضيلة"[٢٢].

هذا التخلف أضعف الثقة بالنفس، وأوقف عجلة التقدم والانطلاق فى الشعوب الإسلامية، وجعلها تعتمد فى كل شئ على غيرها.

إن التخلف العقلى لا يكمن فى التبلد، والخمول، والنوم، والرضاء بالدون، وموت الهمة..[٢٣].

ومن المؤكد أن الأمة التى تفضل أو ترضى بالتواكل، والاستجداد، والكسل، والتبعية، أمة لا تستحق الحياة الكريمة، والحياة الحرة الكريمة لا تتأتى لأمة دون ثمن، والثمن هو التضحية.

ولا يتأتى لأمة أن تشق طريقها فى الحياة، وأن تستعيد وجودها وكرامتها، وتعيد صنع حياتها، دون أن تحاول جاهده أن تبنى نفسها بناءاً يتفق مع الاعتداد بالذات.

وقد يكون من المسلمات البدهية: أن فقر الأمة فى جوهره وجذوره ليس فقراً فى السلاح والمعدات، أو فقراً فى المال والإمكانات، وإنما يكمن فى فقر النفوس وعجزها، وضعف الإدارة واضطرابها.. [٢٤].

فالتخلف عن ركب التقدم والحضارة، يعود بالمجتمعات الإسلامية إلى الانحطاط، ويقودها طواعية إلى الهلاك، كما تقاد الشاه إلى حتفها بظلفها، ولذا كان هذا التخلف عاملاً من عوامل الغزو الفكرى، الذى اجتاح البلاد والعباد.

سادساً: الفراغ العقدي:

من المؤكد لدى الباحثين، أن العقيدة هى الأمر الذى تثق به النفس، ويطمئن إليه القلب، ويكون يقيناً عند صاحبه، ولا يمازجه شك فيه، ولا يخالطه ريب.

ويذكر العقاد: أننا نعنى بالعقيدة الدينية طريقة حياة، لا طريقة فكر، ولا طريقة دراسة، إنما نعنى بها حاجة النفس، كما يحس بها من أحاط بتلك الدراسات، ومن فرغ من العلم والمراجعة، ليترقب مكان العقيدة من قرارة ضميره. إنما نعنى بها ما يملأ النفس، لا ما يملأ الرؤوس أو الصفحات[٢٥] إن العقيدة التى يصح أن توصف بالعقيدة الدينية، هى التى لا يستغنى عنها من وجدها، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها، ولا يرفضها من اعتصم منها، بمعتصم، واستقر فيها على قرار[٢٦] ومن يتأمل العقيدة الإسلامية، ويتدبر ما جاءت به من مفاهيم تناولت معضلات الحياة، إن من يتأمل ذلك يحس بالاطمئنان، ويتخلص من الحيرة التى تواجه كثيراً من المفكرين[٢٧] والحقيقة التى أثبتتها مئات السنين الحافلة بالأحداث، والخطوب، والمحن، حقيقة أن العقيدة الإسلامية هى العقيدة الشاملة، والعقيدة المثلى للإنسان، والمجتمع، وهى رعاية للروح والجسد، وعمل للدنيا والآخرة،

وجهاد فى السلم والحرب، وتنظيم للعلاقات والصلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والأمم.

فالعقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة.. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد، وتطهر نفسه.. وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك، ويترفع وينهض..

فالفرد بغير عقيدة كالريشة فى مهب الريح، تحوله يميناً وشمالاً، فلا يسكن له حال، ولا يستقر له قرار، وليس به جذور تثبته[٢٨].

والعقائد فى الأمم تقف سدوداً بينها وبين الأفكار الوافدة، أو المذاهب المقتحمة، وتعطى أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد، كما تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان فى الحياة.

أما إذا تركت الأمم عقائدها، وتخلفت عن غذائها الروحى، وعن عمقها الإيمانى[٢٩]، فإنها تصبح فريسة لمن هب ودب..

الفصل الثاني: إرهاصات الظهور

بعد أن اتضحت لنا أبعاد ما أصاب المجتمع الإسلامى وتياراته، وحركاته، التى تعمل ليل نهار، يبقى أمامنا السؤال الكبير: ماذا فعلنا نحن؟ ما موقفنا من ما أصاب المجتمع الإسلامى؟

إن جزءاً كبيراً مما أصاب المجتمع، حركة فكرية هائلة، وما تنتجه هذه الحركة، يخصنا نحن المسلمين، ويخص عقيدتنا، ولغتنا، وتراثنا، وتاريخنا، وذاتيتنا.

وإن جزءاً كبيراً آخر مما أصاب المجتمع، حركة عملية هائلة، تأخذ المواقع، وتسيطر على القلوب.

وما أصاب المجتمع الإسلامى بحركته الفكرية والعملية، من أخطر ما نواجه فى حياتنا، لأن ما يقوم به من أهداف تقوض الدعائم، يتعلق بأعمق أعماقنا، عقدياً وفكرياً، وحضارياً، وليس هناك أمام المسلمين من سبيل إلا المواجهة وقبول التحدى وإثبات الذات و إلا فلسنا جديرين بالحياة.

ولا يخفى على أحد: أن السعى إلى إثبات الذات، والعمل على مواجهة هذه التحديات والتيارات الغازية دليل صحة، ودليل صحوة... إذن- لابد من منهج.

والمنهج الصحيح: هو أن نواجه الفكر بالفكر، ولابد من بناء شخصيتنا، وتحصين أنفسنا، لنصبح ممنوعين من تأثير الغزو، ليست عندنا قابلية له.. وإذا تحصنا، لم يعد للعقبات الكأداء تأثير فينا.

ولعل أخطر ما استهدفه الغزو الفكرى، الذى تسلط على المجتمعات الإسلامية هو هدم شخصية المسلمين، هدماً عقدياً، وثقافياً، وفكرياً.

ولا يخفى أن انهدام الشخصية، يساعد على قبول الزيوف والأباطيل. كما يدفع إلى التبعية والذوبان.

ولهذا كان لابد إذا رغبنا أن لا تؤثر فينا مخططات المتربصين، أن نبنى شخصيتنا. بحيث تكون مصبوغة بصبغة الإسلام. وموسوعة بميسم الإيمان، والشخصية المصبوغة بالإسلام، والموسومة بميسم الإيمان، شخصية إيجابية، تعيش فى حركة فكرية، ونفسية، وجسدية، بناءه، تعطى، وتأخذ، وتعطى أكثر مما تأخذ.

ولا شك أن إدراكنا لضرورة الإسلام لنا، ولغيرنا، يفتح أعيننا على مكانتنا، كما ينبهنا إلى موقعنا ومركزنا.

وجدير بنا، ونحن نخطو على مجد نسعى إليه، أن نتعرف على حقيقة الإيمان. فإذا وقفنا على هذه الحقيقة، وتعلقنا بها كان لنا دور.

ومن شأننا ونحن نتابع الخطى، أن نتعرف على الإرهاصات التى تكون فى مقدمة ما يهيئ الطريق للمهدى المنتظر.

أولاً: ضرورة الإسلام:

إن الإنسان آية الله فى خلقه، طبعه ربه على هذا النحو العجيب، وفطره على هذه

الصبغة الفذة، مقترنة بعديد من الغرائز والميول.

وحينما تشده الأولى إلى زكاة النفس، واستواء الفطرة، وقصد السبيل، فإن الثانية تشده إلى النقيض تماماً.

وبين هذا وذاك يتطلع الإنسان، ويرنو إلى ما يحفظ عليه نقاء معدنه، وصفاء جوهره، وزكاة نفسه، وطهارة قلبه، واعتدال خلقه، وقصد سلوكه، ويجعله على طول الخط سوى المنهج، قويم السبيل، زكى الباعث، نبيل المقصد، متعلقاً بمعالى الأمور، نائياً عن سفافها، يتطلع إلى ذلك ويهفو إليه، فلا يجده إلا فى رحاب الإيمان بالله وأحضان الطاعة له، وظلال القرب منه.

والإنسان بفطرته لا يملك أن يستقر فى هذا الكون الهائل، فلابد له من رباط معين بهذا الكون، يضمن له الاستقرار فيه، ومعرفة مكانه فى هذا الكون، الذى يستقر فيه، [٣٠] فلابد له إذن من عقيدة، تفسر له ما حوله، وتفسر له مكانه فيما حوله، فهى ضرورة فطرية، شعورية، تقوم بالتأصيل لجوهر الفطرة، ومتابعة بعثها، لضمان استمرار حركتها وعملها وانطلاقها.

ومن هنا: كانت حاجة الإنسان إلى العقيدة حاجة فطرية، مركوزة فى فطرته، ومغروسه فى شعوره، ومخلوطة بدمه وعصبه، ولكنه قد يضل عن إدراك هذه الحقيقة، فيشقى ويحار، ويفقد الاستقرار[٣١].

هذه الحاجة الفطرية فى الإنسان إلى العقيدة، هى التى يتحقق بها إدراك الإنسان لحقيقة مقامه فى هذه الحياة، ورسالته وعمله ودوره[٣٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِينا. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ [سورة النساء: الآية ١٧٤-١٧٥].

هذا الدين لا يزال العالم فى حاجة شديدة إليه، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به، فهو الآمر بالمعروف، والناهى عن المنكر والداعى إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم.

ثانياً: حقيقة الإيمان:

من المعلوم أن الإيمان هو نبع الفطرة فى صدقها وصفاتها.. وإذا صدق الإيمان فى القلب. كان لذلك أثره فى عقيدة المؤمن وشعوره، وفى صلته بالله تعالى، وفى جهاده فى الحياة، فلا يقبل إلا الحق، ولا يعبد إلا الله، ولا يخشى فى الله لومة لائم، ولا يرتبط بالباطل فى قول أو عمل، بل يكون شهيداً على الناس من حوله. يرشد ضالهم. وينصح مخطئهم، ويعطيهم من نفسه المثل والقدوة، بأخلاقه وسلوكه، مؤثراً فيهم بما فى قلبه من النور واليقين. غير متأثر بما لدى بعضهم من باطل.

وصاحب الإيمان الصادق لا تزيده الأيام إلا يقيناً، فإن أصابه خير شكر ربه، وأدى حق الله فى نعمته، وإن أصابه شر حمد الله، ورضى بقضائه، ولا يضعف ثقته بالله شئ..

قال تعالى فى سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٥].

وقال تعالى فى سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٢-٤].

وكما أن الخوف من الله ومراقبة جلاله أثر من آثار الإيمان الصادق، فإن حب الله، وحب الرسول ﷺ وحب الإسلام كمنهج للحياة بحيث لا يربو على هذا الحب شئ

أبداً، يدل على صدق الإيمان كذلك، وعمقه فى ضمير المؤمن..

ولاشك أن الإيمان الصادق العميق، يحيا به ضمير المؤمن، وتسلم به اتجاهاته..

فبينما يتخبط الملايين، فى دياجير الظلام الحالك، وسبل الضلال، ترى المؤمن بوحى من تفاعل الإيمان فى كيانه: مرهف الحس، صادق العزم، صالح العمل، لا تستذله الحياة، وما فيها، ولا تعصف به الشدائد مهما بلغت حدتها.

قال تعالى فى سورة الزمر: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر: الآية ٢٣].

فقوة الإيمان فى نفس المؤمن، ترفع مقتضيات الإيمان فوق كل شئ، وتجعل المؤمن وثيق الرابطة بما يمليه عليه إيمانه، لا يشغله عن ذلك شاغل.. ومهما اشتد البلاء، فإن المؤمن لا يزاد إلا ثباتاً ويقيناً، ذلك لأن قوة الإيمان فى القلب، تمد المؤمن فى كل أحواله بنور الاهتداء، وكمال الرجاء..

ذلك شأن المؤمن فى كل أموره، فى عبادته لله، وذكره إياه، وفى حرصه على مرضاة الله، مهما تكاثرت عليه مشاغل الحياة، وفى خضوعه دائماً لأمر الله وحكمه، وفى كمال ثقته بالله، قولاً وعملاً، وقلباً، وجسداً، وعقيدة، وسلوكاً.

كذلك من شأنه ألا يهادن أهل الباطل، أو يلين فى مقاومتهم..

ثالثاً: شعور الأمة بالحضارة:

والباحث: يجد أن مفهوم الحضارة فى العصور المتأخرة، قد امتد إلى ألوان من المعنى، هى أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون فى عصره، وفى البيئة العربية، وفى انتقالها الاجتماعى والسياسى والمدنى من البادية إلى الحضر.

إن لفظ الحضارة فى مفهومه العام والحديث المعاصر بصفة خاصة، قد أصبح أكثر

اتساعاً، مما يدل عليه اللفظ فى مفهومه اللغوى التقليدى.. ولذا جاء فى المعاجم الحديثة: أن الحضارة هى الرقى العلمى، والفنى، والأدبى، والاجتماعى، والاقتصادى فى الحضر.

وبعبارة أخرى أكثر شمولاً هى: الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر، ومجموع الحياة فى أنماطها المادية والمعنوية.

ولهذا كانت الحضارة، هى الخطة العريضة - كماً وكيفاً - التى يسير فيها تاريخ أمة من الأمم. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التى تصور انتقال الإنسان، أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة[٣٣].

فالحضارة بكل بساطة، معناها: بذل المجهود، بوصفنا كائنات إنسانية، من أجل تكميل النوع الإنسانى، وتحقيق التقدم من أى نوع كان فى أحوال الإنسانية، وأحوال العالم الواقعى.

إن الحضارة تنشأ حينما يستلهم الناس عزماً واضحاً صادقاً عن بلوغ التقدم، ويكرسون أنفسهم تبعاً لذلك، لخدمة الحياة وخدمة العالم[٣٤].

والحضارة باختصار شديد: هى جملة المظاهر المعنوية التى يخلفها التاريخ، والتى تبقى فى المجتمع على مر الأيام، دليلاً على القدرات الذهنية المميزة، وتعبيراً، عن روح هذا المجتمع والشعب، الذى يمثله.

ولا شك أن المظاهر المعنوية، تأخذ قوالب مادية مختلفة، تتجسم فيها تلك المعنويات، وتشكل المظاهر المعنوية فى صور مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف. ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد فى الآثار والعمائر وأسلوب الحياة، وآداب المعاش اليومى[٣٥].

فالحضارة تحقيق للراحة الإنسانية، فى جوانبها المتعددة، المتقابلة المتكاملة، جسدية، وعقلية، ونفسية، وروحية؛ والسلوك الحضارى هو جواب الإنسان على التحدى الموجه

له؛ تحدى الطبيعة المادية من جهة، وتحدى حاجاته هو من جهة أخرى، وتحدى الإنسان الآخر أو المجتمع من جهة ثالثة.

ويأتى هذا الجواب الإنسانى فى شتى مجالات الآداب، والعلوم، والفنون. كما تشمل أيضاً صور الإنتاج المادى من عمائر، وطرق، وجسور، وقناطر، وغيرها.

ومن مجالات الحضارة العقائد والعوائد والأدب الشعبى، وأدب الخاصة، أو الأدب الرفيع، والنظم السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية كما لا يخرج عنها تخطيط المدن والعمارة ووسائل النقل، وأساليب المأكل والمشرب والزينة والترفيه[٣٦].

والحضارة على أية حال، تمثل كل مظهر من مظاهر الإنتاج البشرى، وغالباً ما يحدوها سلوك الإنسان وطرق معيشته وتفاعله مع البيئة.

لذا كان من الطبيعى أن تختلف كل حضارة فى مظاهرها عن الحضارات الأخرى، فلكل حضارة من الحضارات قديمها وحديثها مظاهر مميزة[٣٧].

والعقل البشرى استطاع بما اكتسب من خبرة ودربة، ومرانة، أن يصنف المعارف الإنسانية، وأن يحكم ما بينها من وشائج، وأن يستفيد بما بينها من صلات وروابط.

والنتائج العلمية متصل بعضها ببعض، ويعتمد بعضها على بعض. والحضارات الإنسانية، ليست ملكاً لأمة بعينها، ولا هى وقف على جماعة من الناس. لأنها صرح هائل قد أسهمت فيه كل أمة بنصيب.

والحضارات الإنسانية، قد تتشابه فى مظاهرها، وفى عناصرها، وفى أسلوبها، ولا سيما إذا تعايشت فى وجهات متقاربة.

والحضارات الإنسانية، سلسلة محكمة متينة الحلقات، يؤثر سابقها فى لاحقها، ويتأثر حاضرها بماضيها، وينتفع بعضها من بعض[٣٨].

ولقد تواجدت حضارات مختلفة فى الزمان والمكان، وانتفعت من بعضها انتفاعاً أدى

إلى تقدمها عند الكثير.

وتشكل الحضارة مجموعة الصفات، والمزايا المشتركة لمجتمع، أو لمجموعة من المجتمعات، وهذه الصفات تمثل مجموع الحلول التى أوجدتها أو تبنتها مجموعة اجتماعية ما، تندمج بشكل عام، فى جو واسع جداً، ومكان جغرافى طويل جداً من التاريخ.

وتستخدم هذه الأساليب المادية، والتقنية، والمفاهيم لحل جميع المشاكل، التى يطرحها وجود هذه المجموعة: الاتصالات، وإصلاح وتوزيع الأراضى، واستثمار الثروات، وكذلك الحياة الاقتصادية، والفكرية، والسياسية، والدينية.

والفاحص المدقق: يجد أن تيار الفكر الحضارى الإنسانى، يتخذ طابعاً واحداً، لا ينحو كثيراً عن تاريخ الإنسان ذاته.

فالحضارات والثقافات المختلفة، تتفاعل مع بعضها. فتنتج للإنسان ما يشبع حاجته الفكرية والمادية..

وبذا فإن الحضارات الإنسانية على مر العصور، تكون كلاً متماسكاً. يترابط بنيانه العضوى، كحلقات السلسة الواحدة، التى لا تنفصم الواحدة منها عن الأخرى..

ولا يمكن أن تكون كل حضارة نشأت بمعزل عن غيرها من الحضارات الأخرى. أو أنها لم تتفاعل معها.

ونظرتنا الأساسية تقوم على أن الحضارات تأخذ وتعطى. تأخذ ما يتفق مع طبيعة البنيان العقلى والفكرى للأمة. وتعطى ما تجود به نوعيتها ونشاطها الفعال. وبطبيعة الحال، فإن هذا التفسير أقرب إلى فهم روح الفكر، والنشاط الإنسانى المتصل، الذى بدأ تاريخه ومسيرته مع بداية الإنسان على هذه الأرض[٣٩].

ولا يخفى: أن النشاط العقلى، والإنتاج الحضارى، لابد وأن يستند إلى أدلة ملموسة، والأدلة فى هذه الحالة.

إما مادية مثل النقوش والمعابد، والآثار والمنشآت، وكل شكل الإنتاج التكنولوجى. وإما فكرية مثل الوثائق، والمؤلفات، والكتب، والنظريات العلمية، والآراء المدونة كتابة.

رابعاً: العلم والدراسة:

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة فى الأرض. قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٠].

وقد فضل الله الإنسان وكرمه. كما وضح ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠].

وهذه الكرامة التى اختص الله بها الإنسان ذات أبعاد مختلفة. فهى حماية إلهية للإنسان، تنطوى على احترام حريته، وعقله، وفكره، وإرادته.

وهذه الكرامة تعنى فى النهاية: الحرية الحقيقة، وهى تلك الحرية الواعية المسئولة التى تدرك أهمية تحملها أمانة التكليف والمسئولية. التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٧٢].

وإذا كان الله قد اختص الإنسان بالتكريم، وجعله مكلفاً ومسئولاً، فإنه من ناحية أخرى قد خلق له هذا الكون، بما فيه، ليمارس فيه نشاطاته المادية، والروحية على السواء.

يقول الله تعالى:﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: الآية ١٣].

والتفكير الذى تنص عليه الآية هنا أمر جوهرى لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان[٤٠].

فإنه إذا كان الله قد سخر للإنسان هذا الكون. فلا يجوز له أن يقف منه موقف اللامبالاة، بل ينبغى عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفاً إيجابياً، وإيجابيته تتمثل فى درسه،

والنظر فيه، للاستفادة منه، بما يعود على البشرية بالخير.

والاستفادة من كل المسخرات فى هذا الكون، لا تكون إلا بالعلم والدراسة والفهم.

والنظر فى ملكوت السموات والأرض على هذا النحو، سيؤدى إلى الرقى المادى، وفى الوقت نفسه، إلى الرقى الروحى[٤١]. والحضارى.

والحضارة الإسلامية هى عمارة الأرض، وترقية الحياة على ظهرها خلقياً، وعلمياً، وأدبياً، وفنياً، واجتماعياً، وفق منهج الله وشريعته.

وبناء على هذا المفهوم. فإن المجتمع الإسلامى، - وهو المجتمع الذى يطبق شريعة الله فى كل جوانب الحياة- هو وحده المجتمع المتحضر.

والمجتمع المتحضر[٤٢]. هو الذى تكون القيم الإنسانية، والأخلاق الإنسانية التى يقوم عليها، هى السائدة فيه. وهذه القيم هى التى تنمى خصائص إنسانية الإنسان، وهى التى تميزه عن غيره من المخلوقات[٤٣].

وهذه القيم إنما هى قيم إنسانية، ذات ميزان ثابت. وهى مقررة فى الشريعة الإسلامية منذ جاءت، وما على الإنسان إلا أن يمضى فى بنائها وصيانتها فى كل المجتمعات التى يقيمها، حضرية كانت أم بدوية؛ صناعية كانت، أم زراعية.

فالمهم فى كل الأحوال هو الارتقاء صعداً بالحقائق الإنسانية وحراستها من النكسة إلى الحيوانية التى تؤدى إلى التخلف.

إن الحضارة الإسلامية تقوم بهذه القيم، وبهذه الأخلاق، فى كل مكان، وفى كل بيئة. أما أشكالها وصورها المادية، فهى كثيرة ومتنوعة، لأنها فى كل بيئة تستخدم المقدرات والمعطيات الموجودة بها فعلاً، وتنميها وفقاً لميزان الله الثابت، وقيم الإنسان المقررة فى شريعة الله[٤٤].

فالإسلام حين يدخل المجتمعات البدائية ينشئ الحضارة المناسبة لهذا المجتمع. وحين

يدخل المجتمعات المتقدمة صناعياً أو زراعياً أو غير ذلك، فإنه يستخدم كل ما لديها من معطيات. ويقيم حضارة هذه المجتمعات مستفيداً مما لديها.

وإذا كان هذا هو مفهوم الحضارة الإسلامية، فإن التخلف الحقيقى - فى مفهوم المجتمع الإسلامى المتحضر – هو تحويل منجزات العلم الهائلة إلى قوى باغية للتدمير والتسلط، وتسخير إمكانيات العلم غير المحدودة فى نشر الفوضى والعادات غير الخلقية، بدلاً من استخدامها فى إعلاء القيم الإنسانية، وفى خدمة الإنسان دون بغى أو ظلم أو تحكم أو إبادة.

إن مهمة العلم فى مفهوم المجتمع الإسلامى المتحضر ليست قهر الطبيعة أو الانتصار عليها، بل التلطف مع الطبيعة، والجد فى اكتشاف قوانين الله فيها[٤٥].

وإذا كان هذا هو عمل الإسلام حينما ينشئ حضارة، فإن هذه الحضارة التى دعا إليها الإسلام، تتميز بأنها منفتحة الحدود الفكرية، والنفسية، والمادية.

وسيراً فى ضوء هذا المنهج الإسلامى وجدنا العصور الذهبية للمسلمين، تفتح صدورها لامتصاص المعرفة الإنسانية المادية التى خلفتها فى الأمم والشعوب، وحضارات سالفة[٤٦].

خامساً: اللقاء الحضاري:

اللقاء الحضارى الإسلامى؛ مع حضارات الأمم المختلفة، تم بناء على: أن العالم هو أقرب ما يكون إلى "منتدى" عالمى لحضارات متميزة، تشترك أممها فى عضوية هذا المنتدى، ومن ثم فإن بينها ما هو "مشترك حضارى عام". وأيضاً فإن هذه الأمم تتمايز حضارياً[٤٧].

الأمر الذى يستدعى الحفاظ على الهويات الحضارية المتميزة، لا لمجرد الحفاظ عليها، رغم أهميته، إنما لأسباب وطنية، وعقدية، تلعب دورها، فى إنهاض أمم كثيرة من كبوتها وتراجعها.

لما لهذه الخصوصيات من قدرات على شحن شعوب هذه الأمم بالكبرياء المشروع، والطاقات المحركة، فى معركة الإبداع، ولما للتعددية الحضارية من دور فى إثراء مصادر العطاء العالمى"[٤٨].

والذين يعايشون حياة الشعوب والأمم ذات الحضارة الغنية، والتاريخ القديم، والتراث العريق، أو يغوصون فى تراث هذه الأمم وفلسفتها، ومذاهبها، وتقاليدها، وأعرافها، يدركون أن العالم الإنسانى به أمم متعددة، تتميز كل منها بشخصيتها القومية، والحضارية المتميزة.

إن العناصر الخارجية ضرورة حتمية، لا تستغنى عنها أى حضارة، مهما سمت وارتفعت. إنها تمتزج، لتكون وإياها صيغة جوهرية تختلف من تراث إلى آخر. وهذه العناصر الخارجية، تأتى بطريق الاقتباس الإرادى المباشر المقصود. والاقتباس والنقل، عملة متداولة بين الشعوب قاطبة، فكل حضارة أبدعت ونقلت وأخذت وأعطت، ولم توجد قط حضارة أبدعت ولم تنقل، فالنقل، ليس وباء وإنما هو غذاء، والاستعارة ليست عاراً، وإنما هى فخار.

فالتأثيرات الحضارية والاستعارات الثقافية والأفكار والآراء والنظريات المتبادلة بين الأمم والشعوب، إنما هى ظاهرة صحية طبيعية سليمة، لا خطر فيها ولا خوف منا[٤٩].

والمسلمون هم وارثو الحضارات القديمة، إذ لم يكونوا قبل الإسلام معزولين عن جيرانهم أصحاب الثقافات العريقة عزلة كاملة. فقد انفردت الصحراء العربية بين صحارى العالم أجمع، بأنها أحيطت منذ القدم بأرقى حضارات العالم.

ففى الشمال ازدهرت حضارة المصريين القدماء، وفى الشرق كانت الحضارة الفارسية، ومن ورائها الحضارات الآسيوية الأخرى. وفى الجنوب كانت حضارة اليمن.

سادساً: التفاعل الحضاري:

التفاعل الحضارى ضرورة إنسانية، لابد منها لقيام الحضارات، وتقدم الإنسان، فى كل

ما من شأنه أن يأخذ بيد الإنسان، ويشيع فى المجتمعات الإنسانية السلام والأمن.

أما الانغلاق الحضارى، فهو قاتل للإنسان. والتبعية الحضارية هى الأخرى قاتلة لكل إبداع، ولابد من حوار الحضارات.

وإذا تأملنا فى حالة الأمة الإسلامية وجدنا أنها- من وجهة نظرنا- محاصرة بين غُربتين: غُربة زمان، وغُربة مكان.

أما غُربة الزمان، فهى بُعد الأمة عن ماضٍ حضارى مشرق، لم تعد تربطها به عوامل الثقافة الفاعلة أو البانية. وأما غُربة المكان، فهى بُعد الأمة عن وضع حضارى معاصر.

تجهل عنه كل شئ. مما مثل فجوات حضارية كبرى، ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزها أو تجاهلها.

ولذلك كان لابد لهذه الأمة، أن تعود إلى التفاعل الحضارى، وتستفيد من حضارات الإنسانية، ولابد من خروج الأمة الإسلامية، من الاغتراب الزمانى، والاغتراب المكانى، وذلك بالرباط بين الواقع والثوابت الحضارة الإسلامية، وبين مصادر عوامل التقدم المعاصر وليس هناك من وسيلة للربط غير الدين، والعلم، والحياة، فى إطار من حرية الفكر، وسياسة عقلانية للتقدم، وتسامح مستنير[٥٠].

فإن فعلت الأمة ذلك، كان ذلك بداية فى طريق حضارى. والتقدم البشرى فى مختلف المراحل والمجالات، ليس إلا حصيلة الإبداع الفكرى والتعاون، والاحتكاك بين المجتمعات.

ولا عيب أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا. ولكن العيب أن نظل عالة على أمم الأرض، نأخذ منها ولا نعطى..

ويجدر ان ندرك أن الانغلاق ليس بالموقف اللائق بالعقلاء. ولا التبعية الحضارية بمفيدة، أو ملائمة لمن يمتلكون خصوصية حضارية إسلامية.

والعزلة الحضارية والجهل صنوان. كلاهما تخلف، وكلاهما حجاب يمنع وصول الضوء، وكلاهما عقبة كأداء فى طريق التطور والتقدم.

ويكاد يكون مؤكداً، أنه لا توجد حضارة قامت بذاتها، واكتفت بذاتها مستغنية عن غيرها. وإنما هى نتيجة تطور حضارى دائم، وتفاعل بين حضارات أخرى، تفاعلت هى بدورها وغيرها من الحضارات فى الزمان والمكان.

والنمو الحضارى إنما يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى.

وكلما ازدادت فرص الالتقاء والتفاعل بين الحضارات، ازدادت فرص الحياة والنمو والاكتساب والتعلم.

والأمة الإسلامية وهى تتطلع إلى مستقبل مشرق، لابد وأن تخوض معركة بناء الذات وتجديدها، مسوقة بقيم وأفكار ومواريث لها فى وعيها فاعليتها القوية.

ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تملك رصيداً ضخماً من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام، وهذه القيم كفيلة عند استثمارها، بأن تجعل الأمة الإسلامية فى وضع، يسمح لها بأن تنمى فسلفتها الحضارية الإنسانية، وتتسابق مع أمم الأرض فى بناء حضارة إنسانية.

ومما هو معروف انه ليس كل عمل يصدر من الإنسان يسهم فى الحضارة الإنسانية. وإنما ذلك العمل الذى ينمى الحضارة، وينطلق من الإنسان للإنسان.

سابعاً: إعداد القوة:

الصراع بين الأحياء من طبيعة الحياة، وقد ثبت بالتجربة، أنه أمر لابد من وقوعه بين الناس، مهما ارتقت أفكارهم، أو تقدمت وتطورت معارفهم وحضارتهم، والدليل الواضح على ذلك، ما يقع بين الأمم من الحروب العالمية، وهذا التسابق المحموم فى أسلحة الفتك والدمار والخراب، رغم ما توصلوا إليه من العلم والحضارة المادية، والتقدم[٥١].

فالحرب لا يمكن أن تزول من الدنيا، أو تخف حدتها، أو تحصر ويلاتها، ذلك أنها بكل ما فيها من مرارة وآلام، وبكل ما تنطوى عليه من قسوة، وبطش، وإخلال بالأمن والسلام، سر من أسرار الحياة، وجوهر من جواهره.. لأن الحياة هى الحركة، والحركة هى التى تحول المادة وتغيرها، بما تحدثه من احتكاك وصدام، وصراع مستمر..

إن كل ما فى الكون، من عناصر مركبة، أو بسيطة فى كفاح مستمر، بين أجزائه المختلفة.. فالماء، والهواء، والحرارة، وبقية العناصر، كلها فى حرب دائمة.. ومن هذه الحروب تنشأ جميع الظواهر الطبيعية والجغرافية، التى تؤلف مسرح الحياة..

فالرياح، والعواصف، والسحب، والبروق، والرعود، والصواعق، والسيول، والأمطار، والزلازل، والبراكين.. هى مظهر هذا القتال، فما من ذرة من ذرات الكون إلا ويجرى فيها هذا الصراع.

وحسبك أن تنظر إلى قطرة من الماء من خلال مجهر، أو ترى قطرة من الدم لترى فيها جيوشاً جرارة، فى كر، وفر، وإقبال، وإدبار، يلتهم بعضها البعض الآخر، بعد أن يصرعه.

وما كان الإنسان ليشذ عن هذه القاعدة، وهو أرقى صور الحياة، وأملها، غير أن العقل والأديان، قد نظمت قواه، وحدت من غرائزه، التى تدفعه للقتال، دائماً وأبداً.. لكنها لم تقض على هذه الغريزة.. وإلا لقضت على الحياة فى أساسها، فبقيت غريزة القتال كامنة فى النفوس، لا تلبث أن تحتدم، متى وجدت دواعيها، وتهيأت أسبابها.. وما أكثر الأسباب والدوافع، التى تفضى إلى المنافسة بين أبناء البشر[٥٢].

والإنسان حين يفقد سلامه النفسى فى داخله، يفقد سلامه الاجتماعى والعالمى فى خارجه، ويعدم الراحة، والهدوء، والانضباط، ويتلفت عن يمين وشمال، فلا يرى إلا جيوش الأهواء والنزوات، وفيالق الأثرة والمطامع تدق طبولها، معلنة، على قراره

الذاتى، وسلامه النفسى، حرباً ضروساً، لا تلبث إلا ريثما يضيق بهـا ميـدان وجدانـه، ومجال مشاعره، لتمد ألسنتها، حامية الوطيس، مشتعلة الأوار، خارج هذا النطاق، لتأتى على الأخضر واليابس، من علائق الأفراد والجماعات، والأمم، ومقدراتها، وممتلكاتهـا، ومناطق نفوذها، وما سطرته يراع الإنسانية من معالم الحضارة، ومشاهد التقدم، ووسائل المدنية، التى ترمى إلى ترقية الحياة، وتهذيبها..

والويل كل الويل، يوم يذر قرن الفتنة، وتشرئب الأهواء النافرة، والنزعات الشاردة، والمطامع الفاغرة، معلنة إصرارها على طمس الحق وأهله. لهذا كـان حـرص الإسـلام البالغ، على أن يتصف أهل الإيمان بالقوة، وعلى أن يكونوا دائماً على استعداد لمواجهة أهل الباطل، مهما تكن التضحيات فى النفس، والأهل والمال.. والتحفظ الوحيـد الـذى وضعه الإسلام على قوة المسلمين، هو أن تكون قوتهم فى خدمة العـدل والـسلام، وأن تنأى عن البغى والعدوان.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سـورة الحـج: الآيـة ٤٠].

ذكر القرطبى فى تفسيره: أنه لولا ما شرعه الله تعـالى للأنبيـاء والمـؤمنين مـن قتـال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وعطلوا ما بنته أرباب الديانات، من مواضـيع العبـادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال، ليتفرغ أهل الدين للعبادة.. فالجهاد أمر متقدم فى الأمـم، وبه صلحت الشرائع، واجتمعت المتعبدات[٥٣].

حقاً: إن الإسلام حين يضطر إلى القتال، فإنما يمارس أشـرف أنـواع القتـال وأنبلـه، ذلكم الذى لم ولن تعرف الدنيا عدلاً ولا نظيراً، من قريب أو بعيد، من حيـث أسـبابه، وأهدافه، وغايته، وملابساته، وظروفه..

الرجاء والأمل

لقد جاءت رسالة الله سبحانه وتعالى إلى خلقه، ونزل وحيه إلى عباده من كماله وعظمته ورحمته، ما يطبهم ويصلح شأنهم، ويرتقى بهم إلى ما فيه خيرهم جامعاً للفرائض، مبيناً للحدود، متوخياً من الأساليب أقوامها فى تربية الناس، ومن المناهج أقواها فى إصلاحهم.

ولقد كان الترغيب والترهيب من أبرز ما عالج به الإسلام شطط الإنسان وجموحه وتمرده على الحقوق وما يدور فى فلك ذلك من معصية وانحراف.

الأمر الذى يؤدى فطرياً إلى أن تتحرك نفس الإنسان من خمود، وأن تستيقظ من سبات، وإن تختلط فيها بواعث الرغبة بعوامل الرهبة وأن تمتزج فيها دوافع الخوف، وموجبات الرجاء. والرجاء فى اللغة: هو الطمع فيما يمكن حصوله، ويرادفه الأمل.

والرجاء فى الاصطلاح: تعلق القلب بحصوله محبوب فى المستقبل، وقيل هو توقع الخير ممن بيده الخير. والرجاء: الاستبشار بوجود فضل الرب تعالى والارتياح لمطالعة كرمه. وهو من أجل منازل السالكين وأعلاها وأشرفها.

والرجاء عبودية بالله من حيث اسمه البر المحسن. فذلك التعبد والتعلق بهذا الاسم والمعرفة بالله هو الذى أوجب للعبد الرجاء من حيث يدرى ومن حيث لا يدرى.

فقوة الرجاء على حساب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وغلبة رحمته على غضبه.

ولولا روح الرجاء لتعطلت عبودية القلب والجوارح، ولولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال فى بحر الإرادات.

فالرجاء يحفظ على النفس بسطها وتفتحها وتطلعها إلى الكمال، وتدرجها فيه وانطلاقها فى أفق أعلى تحلق فيه بكل أملها فى الله وأمنيتها عنده ورجائها إياه، لا تقيدها عقيدة، ولا يحبسها ذنب، ولا يوقف سعيها بأس، ولا يجمد حركتها قنوط.

ولا يقطع الطريق عليها إلى الله سعار المادة، ولا تعثر الفطرة، ولا يضيق عليها الخنادق أبداً مهما كانت قبضة المعصية أو ضراوة الخطأ أو شراسة الإثم.

والإيمان لا يزكو فى النفس، ولا يستقيم المؤمن بعبادته على الجادة، إلا إذا لفه الخوف من ربه، وغمره الرجاء فيه، وأيقن تماماً أن الجنة والنار كليهما أقرب إليه من أى شىء.

ولو يعلم الناس ما لدى الله من العدل والعقوبة، ما أقدم عل معصيته أحد، ولو يعلمون ما لدى الله من الفضل والمثوبة ما قنط من رحمته أحد.

فالله سبحانه وتعالى لم يطمعنا فى شئ قدر ما أطمعنا فى رحمته ولم يحذرنا ما حذرنا من عقابه، ولم يسرع بشىء قدر إسراعه بقبوله ورضوانه وقربه لأهل دعائه ورجائه، والأمل فيه والقرب منه.

والإيمان لا يكتمل، والعبادة لا تستقيم، إلا إذا حلق المؤمن فى دينه وأعماله بجناحى الخوف والرجاء. من حيث يدفعه الخوف إلى اجتناب التفريط والبعد عن القصور، والتراخى، وضبط النفس على حسن العمل، وإتقان أدائه والإخلاص فيه، ومراقبة الله فى جليله ودقيقه.

والإنسان لا يستوى يقينه ولا يكتمل إيمانه، ولا يصلح عمله، ولا تستقيم عبادته، ولا تزكو فطرته، إلا بخوفه من ربه ورجائه فيه، ولا يتزن الإنسان ولا تستقيم مسيرته فى الدنيا، ولا يصلح بين يدى ربه ومصيره يوم القيامه، إلا إذا كانت حياته مزيجاً من الخوف والرجاء، وأمشاجاً من رغبته فى ربه ورهبته منه.

لذا جاء الإسلام يدعونا إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى والرجاء فيه. الخوف الذى نستشعر فيه عظمة الله وجلاله وقيوميته ومواقبته وخشيته والشعور الموصول بهيبته إلى غير ذلك مما يقود إلى تعظيم محارم الله، واحترام حدوده، والتطبيق الكامل لأوامره، والانتهاء التام عن نواهيه.

والرجاء الذى يفتح للمؤمن بالله باب الأمل والتطلع إلى ما لدى الله من فضل ما أعده للعاملين المؤمنين من مثوبة، وما وعدهم به من أجر مضاعف ونعيم مزيد ثم ما يمنحه هذا الرجاء للإنسان من نعمة التعلق بالله واللجوء إلى: أن يقيله إذا عثر، وأن ينهضه إذا كبا، وأن يمد إليه يد العون بحبل الإنقاذ والنجدة ساعة الضيق ولحظات الحرج. فالرجاء والأمل جناحان بهما يطير المؤمنون بالله سبحانه وتعالى إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع المقربون كل عقبة كئود.

والمسلمون فى حاجة إلى الإدراك الواعى بعمق مفهوم الرجاء فى الرسالة الإسلامية ولا رجاء للمسلمين فى شرق ولا غرب ولا فى مذاهب دبجها سماسرة الفكر البشرى. فالرجاء كل الرجاء فى الله سبحانه وتعالى، وفى رسالة الإسلام التى جاءنا بها الرسول الصادق الأمين فى المهدى الموعود. ولعلنا ندرك فى وضوح أن الله سبحانه وتعالى ربط المسلمين برسالة الإسلام وبالاقتداء بصاحب الرسالة الكبرى محمد عليه الصلاة والسلام، حتى لا يضل المسلمون الطريق السليم ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١].

ومن هنا كان كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية الراجين لله سبحانه وتعالى صورة حية لحياة الرسول الصادق الأمين، بياناً، وجهاداً، وعبادة، وثباتاً، وإقداماً، وحزماً.

ولو يعلم الناس ما لدى الله تعالى من فضل ورحمة لأهل خشيته والخوف منه والإجلال له، وأصحاب القرب منه، وللجوء إليه، والرجاء فيه، لأوغلوا فى ذلك، وألحنوا فيه، وأكثروا من طمعهم فى الله.

ويوم أن كان المسلمون يرجون الله سبحانه وتعالى وحده كانوا سادة الدنيا بحق وكان العدو يتهيب بأسهم ويخشى سلطانهم وكان الشرق والغرب يعمل لهم ألف حساب.

الهوامش

١. عز الدين الخطيب التميمى وآخرين: نظرات فى الثقافة الإسلامية، ص٣١ دار الفرقان، عمان، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، الأردن.

٢. توماس إلاكوينى ولد سنة ١٢٢٦م وتوفى سنة ١٢٧٤م ويعتبر من أعظم الفلاسفة واللاهوتيين فى العصر المدرسى المسيحى، وفى ١٣٢٣م منحته الكنيسة الكاثوليكية لقب القديس.

٣. مالك بن نبى: إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى، ص٨، دار الإرشاد، بيروت ١٩٦٩م.

٤. مصطفى السباعى: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص١٨٧، ١٨٨ط. دار المكتب الإسلامى، بيروت ودمشق ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٥. انظر: د. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٢، ٤ ترجمة عادل زعيتر ط. الثانية ١٩٤٨م.

٦. لوثوب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى، ج١ ص٦٠، ترجمة نويهض.

٧. راجع نادية شريف العمرى: أضواء على الثقافة الإسلامية، ص١٦٤ ط. مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ بيروت.

٨. إبراهيم النعمة: الإسلام أمام تحديات الغزو الفكرى، ص١٢.

٩. أنور الجندى: المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر الهجرى، ص١٢٦، ط. دار الاعتصام بالقاهرة، ١٩٨٢م.

١٠. توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ص٧٠٤، ٧٠٥.

١١. انظر د/ توفيق الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص٧٠٧.=

وانظر كذلك: نجيب الكيلانى، الإسلامية والقوى المضادة، ص١٤٢، ط. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ

١٢. راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص٧٠٧، وراجع أنور الجندى: المد الإسلامى فى القرن الخامس عشر، ص٢٨٦.

١٣. انظر الدكتور محمد البهى: الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى، ص٥١، ٥٢ بتصرف، ط، دار الفكر، ١٩٧٣م.

١٤. المصدر السابق، ص٥١.

١٥. راجع هامش ص٥٢ من المصدر السابق.

١٦. راجع المصدر السابق.

١٧. انظر محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص٣٤٣، ط. مؤسسة المدينة، جده ١٤٠٧هـ

١٨. راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص٦٨٥.

١٩. أحمد السايح: أضواء على الحضارة الإسلامى، ص١٥٠.

٢٠. انظر الشيخ محمد الغزالى: تراثنا الفكرى فى ميزان الشرع والعقل، ص١١٠، ط. دار الشروق، بيروت.

٢١. راجع المصدر السابق، ص١١٣.

٢٢. راجع الدكتور توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص٦٩٦.

٢٣. انظر الدكتور توفيق الواعى: الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص٦٩٨.

٢٤. انظر الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح: معارك حاسمة فى حياة المسلمين، ص١٥٤، ١٥٥ط. دار اللواء بالسعودية ١٤٠٩هـ

٢٥. عباس محمود العقاد: العقائد والمذاهب، مجلد رقم ١١، ص٤٠٢، ط. دار الكتاب اللبنانى، بيروت.

٢٦. المصدر السابق: ص٤٣١.

٢٧. انظر الدكتور أحمد السايح: عباس محمود العقاد فيلسوفاً، رسالة "ماجستير" ص١٦٦.

٢٨. انظر محمد أمين حسن: خصائص الدعوة الإسلامية، ص٢٥٧، ط. مكتبة المنار، الأردن، - وانظر كذلك الدكتور أحمد السايح: العقيدة والإنسان، مجلة الخفجى، السنة العشرون، العدد الأول، ص٤، ٥ أبريل ١٩٩٠م السعودية - وانظر كذلك أبوالحسن الندوى، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٢١٨، ط. دار الكتاب العربى ١٤٠٤هـ

٢٩. الدكتور توفيق يوسف الواعى: الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الغربية، ص٧٠١، ٧٠٢.

٣٠. د. أحمد السايح: العقيدة فى الإسلام، مجلة جوهر الإسلام، العدد الثانى والثالث، ص١٦ من السنة الثانية ١٣٩٦هـ تونس.

٣١. المصدر السابق.

٣٢. أحمد محمد جمال: الدين فطرة وميثاق، كتاب ندوة المحاضرات لموسم حج سنة: ١٣٨٩هـ ص٢٠٠، ط. رابطة العالم الإسلامى، بمكة المكرمة.

٣٣. انظر الدكتور أحمد السايح: أضواء على الحضارة الإسلامية، ص١٨.

٣٤. البرت اشفيتسر: فلسفة الحضارة، ترجمه عن الألمانية الدكتور عبد الرحمن بدوى، ص٥، ط. دار الأندلس، بيروت، ١٤٠٠هـ

٣٥. المصدر السابق، ص١٨.

٣٦. انظر الدكتور محمد فتحى عثمان: القيم الحضارية فى رسالة الإسلام، ص١٧.

٣٧. انظر الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، ص٢، ط. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

٣٨. انظر الدكتور أحمد السايح: أضواء على الحضارة الإسلامية، ص١٨.

٣٩. الدكتور ماهر عبد القادر محمد: المشكاة، ص١٦٦، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.

٤٠. الدكتور محمود حمدى زقزوق: دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى، ص٩ط. مكتبة وهبه بالقاهرة.

٤١. المصدر السابق.

٤٢. الدكتور على أحمد مدكور: الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى، مجلة الدارة، ع٤، ص٥٢، السنة ١٤، السعودية ١٤٠٩هـ

٤٣. سيد قطب: معالم فى الطريق، ص١٣١، ١٣٣.

٤٤. المصدر السابق، ص١٣١.

٤٥. الدكتور على أحمد مدكور: الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى، مجلة الدارة، عدد رقم ٤، ص٩٩، س١٤.

٤٦. عبدالرحمن حسن حبنكه الميدانى: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، ص١٢٢، ط. دار القلم، دمشق ١٤٠٠هـ

٤٧. الدكتور محمد عمارة: الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ص٨.

٤٨. المصدر السابق، ص٧.

٤٩. انظر الدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا: أصالة الفكر العربى، ص١٥٢، ط. منشورات عويدات ١٩٨٢، بيروت فرنسا.

٥٠. الدكتور محمود قمبر: هدفية العلم فى الإسلام، مجلة حولية كلية التربية، عدد رقم ٨، ص٦٣، ١٤١١هـ ١٩٩١م، كلية التربية، جامعة قطر.

٥١. الدكتور أحمد السايح، "أضواء على الحضارة الإسلامية"، ص١٧٩، ط. دار اللواء بالرياض، ١٤٠١هـ

٥٢. الأستاذ أحمد حسين، "الحرب على هدى الكتاب والسنة"، ص١١، ط. المجلس الأعلى بالقاهرة، ١٩٧٤م.

٥٣. القرطبى، أحكام القرآن، جـ١٢، ص٧٠، ط. القاهرة.

أهداف الدولة المهدة للظهور

مريم كريمي تبار

نبدة

أشارت الباحثة في مقالها تحت عنوان «أهداف الدولة الممهدة للظهور» الي مصطلح الدولة؛ و النظرة الاسلامية حول الأهداف النهائية للخلقة؛ و أن تطبيق و إقامة الحكومة المهدوية يمهّد في الوصول الي الهدف الأخير للخلقة و معرفة أسرارها، و هو القرب من الله سبحانه و تعالي. و ألقت الباحثة نظرة علي المجتمعات الدينية، و اعتقادها بأن العالم المليء بالسلام و العدالة و الأمن و الرخاء، مرهون بظهور المنجي و المخلص العالمي، و استنتجت أخيرا في بحثها بأن ظهور المنجي و المخلص العظيم هو اعتقاد و أمل كافة الشعوب و الأمم المضطهدة، الباحثة عن الحرية و الأمن و السلام في العالم. إلا أن و جود هذه الرغبة، و تحصيل هذا الأمل، لا يكون متحققاً إلا من خلال التحضير و التمهيد لمقدمات أرضية خصبة لتحقيق هذا الهدف العظيم، و يستدعي هذا العرض برمجة صحيحة، و استراتجية و آليات دقيقة، و متابعة للاهداف المؤثرة، و إعداد الأرضية المطلوبة لتحقيق الظهور. ثم أكدت الباحثة علي دور الحكومات الاسلامية المؤثر و الهام في هذا المجال، و ذكرت بعض الاهداف التي ينبغي عليها أن تتابعها في مسيرة تطبيق و إقامة الحكومة العالمية العادلة. و ينقسم البحث الي قسمين أساسيين هما: الأهداف العامة: و تتضمن العدالة،

الأمن، الكفاءة و.. الأهداف الخاصة: و تضم جوانب المعرفة و..

المصطلحات الأصلية في البحث:

الدولة، العدالة، الأمن.

المقدمة

إن أيّ حركةإصلاحية و ثورية فى العالم إنما تكون مثمرة و مؤثرة و منتجة، فيما إذا وفّرت التمهيدات اللازمة و الأرضية المناسبة لها، و امتلكت فريقاً من الموالين و الأنصار الملتزمين المخلصين، و الأوفياء المضحّين المستعدين لنصرتها، و السير بها الى الأمام.

و لا تستثنى ثورة الامام المهدىﷺ عن هذا الأصل، خاصة عندما تكون هذه الثورة عالمية، و تتطلب أنصارا و مؤيدين فى كافة أرجاء العالم، من الذين يقبلونها و يدعمونها، بل و يدافعون عنها.

إن تربية مثل هؤلاء الكوادر و الأنصار بحاجة الى تمهيدات و توطئة عالمية، فعلى المنتظرين لها بذل أقصى جهودهم و طاقاتهم فى هذا الاتجاه، لتحقيق الطموحات و الأهداف الالهية المرسومة.

و على هذا: فان هناك وظائف و مسئوليات هامّة و معقدة ملقاة على عاتق الحكومات الاسلامية بهذا الخصوص، و عليها وضع الخطط المدروسة و المشاريع والبرامج المنظّمة و الصحيحة، و متابعة الاهداف العالية فى هذا المجال، و التاثير فى العمل.

إن على الدولة المهدة للظهور عرض كافة أنشطتها: الثقافية، و الاجتماعية، و السياسية على ضوء التعاليم المهدوية، و بذل الجهود و المساعى الحثيثة والمضاعفة فى هذا الاتجاه، فالعالم بأسره مهيّأ و مستعد لاقامة حكومة العدل العالمية.

إن الأهداف التى تتعقبها الدولة المهدة للظهور متعددة و متنوعة، و نشير فى هذا

المقال الى أهم تلك البرامج و الأهداف.

تعريف الدولة

مصطلح الدولة «state» له جذور لاتينية «staves»، و يعنى الوقوف، و أصلها فى المصطلح الدقيق «staves» و هى بمعنى:الوضع المستقر و الآمن و الثابت.

و كما دلّ عليه معناه اللغوى، فان له ارتباط و علاقة بنظام السيادة و الاقتدار و فروعها، و ارتباط القدرة بالمجتمع.

ذكر المفكرون و أصحاب الرأى تعاريف عديدة و مختلفة لمصطلح «الدولة»، منها:

١. الدولة: هى أعلى مظاهر السيادة و القدرة و الحكومة، و هى متوفرة فى كافة المجتمعات، و لها مفهوم واسع و شامل يضم المؤسسات التنفيذية و التشريعية.[١]

٢. الدولة: منظومة و إطار محاط بالقيم، تنبض من خلالها الحياة، و تستخدم القدرة والسلطة العامة فيها لغرض تحقيق تلك القيم.[٢]

٣. الدولة: بمنزلة القدرة المنظمة بتشكيلاتها الاجتماعية.[٣]

٤. الدولة:هى النظام غير الشخصى، و التسلط و السيطرة القانونية. حيث يتم تعيين أنظمتها الجماعية عبر الاقتدار، لإيجاد طبيعة و شكل الادارة، و الاشراف على نمط معين من المجتمعات.[٤]

الدولة: هى أهم و أكثر و أكمل المؤسسات و المنظمات السياسية، و الادارية، و القضائية، و العسكرية تجهيزاً و حداثة فى البلاد.[٥]

و تؤكد كل هذه التعاريف المذكورة على اقتدار عناصر المؤسسات الاجتماعية، و التشكيلات السياسية و التنفيذية، و القضائية و التشريعية.

و على هذا، يمكن القول فى تعريف آخر: أن الدولة هى جهاز اجتماعى منظم، يمتلك عناصرالقدرة و السلطة على ضوء التشريع و تطبيق القوانين، و تنظيم كافة العلاقات

الانسانية و التعاملات الاجتماعية على المستوى الداخلى و الاقليمى و العالمى.

و على ضوء هذا التعريف، فان الدولة هى منظومة حكومية مقتدرة و قوية، تضمن من خلال التشريع تنفيذ القوانين، و منع حصول حالات الاعتداء و العنف، و كل ما يفسد التعاملات الاجتماعية السليمة.

و هى القدرة المانعة عن ظهور المشاكل و الاختلاف، فتحاول أن تقلّل من ضياع حقوق الشعب، و تنهج قوانين محدّدة فى التعامل مع الأسرة الدولية، و الحكومات المحلية و الإقليمية و العالمية، و بلدان و دول العالم.

الأهداف المتوسطة والبينية و النهائية في الخلقة:

إن لبعض الحكومات أهدافاً محددة، و خطط و مشاريع إنمائية معينة أحيانا، و لها مراتب أحيانا أخرى. أى لها أهدافاً حيوية عالية و مصيرية.

أما الاهداف الأخرى: فهى وسائل و غايات تستخدم للوصول الى الهدف النهائى و الأخير.

و مع كل هذا، فقد وضعت أكثر الحكومات اليوم هذه الأهداف فى أولويات خططها و برامجها الراهنة و المستقبلية، و تتابعها باستمرار، و هى تتضمن جملة من القضايا و الاهداف الدنيوية و المادية: كالحرية، و الأمن، و الاستقرار، و البيئة، و التعليم، و إرضاء مطالبات الأكثرية الشعبية و غير ذلك، فان كل هذا يعود نوعا ما الى استقرار الحياة الدنيوية.

إن الحكومة النموذجية و المثالية فى نظر الامة و الشعب، هى الحكومة التى تحقق الأمن الداخلى و الخارجى و مطالبات الاكثرية فى المجتمع الواحد.فالحكومة التى عرضها الأنبياء، و الدولة التى وضع كيانها و أرسى دعائمها رسول الله ﷺ، تمتلك أهدافا و أساليب و خطط راقية هى أسمى من كل الأهداف المذكورة للحكومات. فانها و بمعدل متوسط و ضمنى تلحظ فى نهجها الوصول الى الهدف الغائى و هو: هدف خلقة الانسان،

و علل إيجاده فى هذا العالم. قال الله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا»، [٦] فالمراد بقوله «ليستخلفنهم فى الأرض» هو جعل الانسان «خليفة الله» أو «وصى و وارث الماضين»، أى وصى المؤمنين الذين يقومون بأداء مسئولياتهم و وظائفهم على أتم وجه، و يمكّنون فى الأرض، و يكونون حكّاما على الناس، و يرثون الأرض و من عليها، و يكبحوا جماح المخالفين، و من يقف بوجه تحقيق الأمن و العدل، و يعرقل مسيرة السلام، فيبدل الله بهم من بعد خوفهم أمنا.

و ستتحقق هذه الأهداف، يعنى الوصول الى القدرة و السيادة الكاملة، و السيطرة على العالم، و إرساء دعائم العدل و الأمن و السلام، و مقارعة الظلم، و مكافحة الفساد.

أما الهدف الأخير الذى يتحقق فهو: قوله تعالى «يعبدوننى لا يشركون بى شيئا»، و قوله فى محل آخر: «و ما خلقت الجن و الأنس إلا ليعبدون»، فالهدف الاخير و الغاية العظمى من خلق الانسان إذن هى «العبودية لله تعالى».

و على هذا الاساس، و من خلال التعاليم القرآنية و الدين الاسلامى الحنيف، فان الهدف الأخير فى الحياة الاجتماعية هو: تحقيق الهدف الأخير و الغاية المطلقة للخلقة، الى حد ترى البشرية نفسها «عبداً لله» و تصل مرحلة العبودية، فترى الله وحده مالك كل شىء، و له كل الفضائل و المنن و النعم.

إن تشكيل الحكومة و متابعة الأهداف الأخرى كالعدالة و الأمن و الاستقرار، و القضاء على الأعداء، و.... تعدّ كلّها مقدمات و آليات متطورة و قيمة للوصول الى الهدف الأصلى و الغاية المطلقة.[٧]

الاعتقاد بالمنجي، اعتقاد عالمي

إن الهدف الغائي و الاخير في الخلقة هو الوصول الى «العبودية و الكمال»، و اقتراب الانسان كثيرا من مصدر الكلمات، يعني الله تعالى.

فينبغي التحضير و التمهيد لمقدماتها و وسائلها لنيل هذه القيم المعنوية و المبادئ السامية.

و تسعى الحكومة العالمية لامام العصر عجل الله فرجه الشريف التحضير الى مقدمات التقرب الى الله، و إزالة الموانع عن هذا المسير. فاذا تحققت حكومة العدل العالمية، فقد تمهّدت أسباب الوصول الى هدف الخلقة و غاياتها. بل حتى المجتمعات التي لا تعتقد بالقرب الى الله و لا بالهدف النهائي للخلقة، فانها تبذل جهوداً و مساعي للوصول الى تحقيق العدالة و إرساء دعائم الأمن و السلام، و الاستقرار، و التحرر من الظلم و الجور، و مكافحة الفساد، و مواجهة الانحطاط و الانحراف.فما تقوم بها هذه الحكومات يعدّ بمنزلة الهدف و الغاية لها.

و يعتقد هؤلاءأن الحصول على هذه الخصائص مشروط بظهور منجي البشرية و مخلّصها. فهناك توافق و إجماع حول الأوصاف العامة و الأصول و البرامج و الخطط الثورية المعدّة، و إن كان كل منهم يذكره بتسمية محددّة، و لذلك فان مسئلة الايمان بظهور المنجي و المخلص العالمي الكبير، إنما هو لتضميد جراحات البشرية و نزيفها الدامي عبر التاريخ، و هو اعتقاد عالمي قديم. و قد أشار القرآن الكريم في وصف هذه المرحلة، فقال سبحانه و تعالى: «و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون».[٨] و قال تعالى: «و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين».[٩]

و تواترت الأخبار و الروايات بل استفاضت حول حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف على

الأرض فى آخر الزمان، و تناقلتها أخبار الفريقين.

لزوم التمهيد للظهور:

ينبغى التمهيد لظهور هذا المنجى و المخلّص و التحضير و الاستعداد و الإعداد لهﷺ و تهيئة الأجواء اللازمة لذلك.

و لكن هناك من ذهب فى متاهات عديدة فى معرفة كيفية تمهيد الأجواء و تحضير مقدمات ظهور المنجى و المخلص، فاعتمدوا على أخبار ادعوا فيها أن العالم فى عصر الظهور سيكون ملىء بالظلم و الفساد، و تخيّلوا أن انتظار المصلح العالمى يتطلب التزام جانب الصمت، و الركون الى الدعة، و الغفلة، و التفرج و السكوت على الجرائم و المجازر و المآثم التى ترتكب يومياً ضد الانسانية، دون تحريك ساكن، أو الانتفاض ضد الظلم، و مكافحة الفساد، لتساعد و تدعم أجواء الشر و إشاعة الفساد و الظلم، و بهذا توطّئ لظهور الامام المهدىﷺ، الذى سيظهر بعد امتلاء الأرض بالظلم و الفساد.

و أفرط آخرون و ذهبوا الى أبعد من ذلك، فتخيلوا: أن عليهم أن يشددوا فى إيقاع الجرائم و الظلم، و ممارسة الأساليب القمعية و العنف فى العالم، و عليهم أن يكونوا حجر عثرة فى ذلك، للتمهيد بتعجيل الفرج و الظهور.

و من هذا المنطلق، قامت بعض الحكومات الظالمة والمستبدة برفع هذه المبررات شعاراً لها لارتكاب الجرائم و الإبادة الجماعية، و تفشى الظلم و الفساد، و ادعت أن التمهيد و التحضير لهذه المقدمات سيدعم و يساهم فى عملية تعجيل ظهور المنجى و المخلص العالمى.

و ينبغى القول فى الاجابة عن هذه الشبهة و التصور الخاطئ: بأن ملأ العالم بالظلم و الفساد لأجل التمهيد للظهور كما تحدثت عنه الأخبار و استفاضت به الروايات، كان هو الوجهة الغالبة فى تلك الفترات من التاريخ، و هو أيضا نوع من التمهيد، لان طبيعة و

ماهية الشعوب كونها غير راضية لهذا الوضع بالتحديد، فيدعوها ذلك الى الرفض و السخط، و هذه الحالة بالذات تعطّش للثورة و الانتفاضة الشعبية، لأنها تنمّى حالة فكرية و معنوية لدى المجتمعات.

أما فى عصرناالراهن، فان وجود الأنصار و الأتباع الذين يتصفون بالنزاهة، و الصمود، و النضال، و يقفون الى جانب المصلح الموعود، و ينصرونه بأنفسهم و أُرواحهم، هو أمر لازم و ضرورى، تتطلبه طبيعة المرحلة الراهنة.

و لا منافاة فى أن تكون هناك حكومات و دول يقظة، تمّهد لإيجاد أجواء إيجابية، و إعداد الشعوب العالمية و تحضيرها لانتفاضة الثورة العالمية الكبرى للإمام المهدىﷺ. فقد صرحت عدة روايات و نصوص: بأن أناسا ينتفضون و يثورون قبل ظهور الامام المهدىﷺ ليوطّئوا لظهور دولته العادلة و سلطانه. قال رسول اللهﷺ: «يخرج أُناس من المشرق فيوطّئون للمهدى سلطانه».[١٠]

و يحكى هذا النوع من الروايات عن حضور الناس و استعدادهم التام فى شتى المجالات و مختلف الأصعدة للتمهيد لحكومة الامام المهدىﷺ و تحضير مقدمات الظهور، و تقديم الدعم و النصرة للامامﷺ فلا تتحقق دولة الامام المهدىﷺ دون سابق مقدمات، بل تتحقق هذه الحكومة من خلال هذه المقدمات و التمهيد للظهور.

و على ضوء هذا، سينتفض المنتظرون للامامﷺ فى مجتمعاتهم، و يثورون، و يشكلون حكومات على أيديهم، ستكون تمهيدات و دعائم للظهور، فتجتمع كلمتهم، و تتلاحم صفوف الأعوان و الانصار الموالين و الأتباع المؤمنين، الواعين، الناشطين، و سيشكلون النواة المقاومة الأصلية و الحقيقية، و سيكونون الطلائع المؤمنة و خلفاء الأرض، فيدافعون مجتمعين بقلوب حمية، و أنوف أبية، و برباطة جأش و صبر و صمود، عن ثورة الامام المهدىﷺ و يقوموا بمسئولياتهم و وظائفهم تجاه الحكومة العالمية.

و قد ذكرت الأخبار و النصوص الاسلامية: أن الامام المهدى عجل الله فرجه سيطلب الدعم و الاغاثة من الناس، فيقول: «يا أيها الناس! إنا نستنصر الله، و من أجابنا من الناس...»[11]

و يقول عليه السلام أيضاً: «إنا نستنصر الله اليوم، و كل مسلم...».[12]

و قد بيّن الامام الخميني قدس سره كثيراً من وجهات النظر حول فلسفة الانتظار فى مقابل التزام الصمت و السكون و الرضوخ الى الوضع الموجود، و قولهم بضرورة شلّ الحركة، و الوقوف عن السير و الحركة باتجاه التغيير، أو الدعوة الى الكفّ عن التعرّض الى الظلم و مكافحة الجريمة، و ترك الحديث عن التغيير دائما. و دعا سماحته قدس سره الى ضرورة المواجهة الجادة، و اتخاذ الخطوات الحاسمة و القرارات الساخنة و الهادفة للحدّ من هذه الظاهرة الخطيرة المنتشرة فى المجتمعات، فقال قدس سره «اعتقد البعض: أن انتظار الفرج يعنى الاعتكاف فى المسجد و الحسينية، أو الجلوس فى البيت و الدعاء و التضرع -و الرهبانية و لا رهبانية فى الاسلام-، و و طلبهم من الله تعجيل فرج الامام المهدى عجل الله فرجه!!.

و رأى جماعة أخرى ممن يقولون بانتظار الفرج: أنه لا يهمنا ما يحدث فى العالم!، و ما تعانى منه الشعوب و البشرية قاطبة! فلا يهمنا ذلك. نحن نعمل بتكليفنا و وظائفنا، و لاعليا من حصول مثل هذه الأمور، فالامام المهدى عجل الله فرجه سيأتى، و سيصلح الأمور بنفسه إن شاء الله!.

و قالت جماعة ثالثة: حسنا! ينبغى ملأ العالم بالمعاصى و الآثام و الجرائم إذن، لكى يأتى الامام!، و تسهل عملية الظهور!. فلا يجب علينا أن ننهى عن المنكر، و لا نأمر بالمعروف، و ليصنع الناس ما شاءوا و أرادوا، لتزداد الذنوب، ثم يعجّل الله بالفرج !.

و هناك جماعة رابعة تجاوزوا الخط الأحمر و أفرطوا فى الكلام فقالوا: ينبغى الابتلاء بالذنوب، و دعوة الناس الى ارتكاب المعاصى و الآثام، لتمتلأ الأرض بالظلم و الجور، فيظهر الامام المهدى عجل الله فرجه، و يملؤها قسطاً و عدلاً.

و قالت جماعة خامسة أخرى أيضا: لا يجوز تأسيس دولة و حكومة فى عصر الغيبة، و إن تأسست فهى دولة و حكومة باطلة، فاقدة للشرعية، و مخالفة للاسلام.[١٣]

و بعد ردّ سماحته‌ﷺ على هذه الآراء و الأوهام، بين سماحته‌ﷺ فلسفة انتظار الفرج و معنى الظهور، و دوره سلباً أو إيجاباً فى بناء المجتمعات، فقالﷺ كلنا ننتظر الفرج، و علينا أن نخدم فى هذا الانتظار، فلدينا مسؤوليات و وظائف فى عصر الغيبة.

الانتظار هو قدرة الاسلام، و مصدر نشاطه و قوته، و علينا أن نسعى جميعا لتحقيق قدرة الاسلام فى العالم، و التمهيد لمقدمات الظهور إن شاء الله).[١٤] نحن كلنا ننتظر قدومه الشريف، و لكن الانتظار وحده لا يكفى!!. فالوضع الذى يمتلكه الجميع فى عصرنا الراهن هو ليس انتظار. إن علينا أن نلحظ وظائفنا و تكاليفنا الفعلية الشرعية و الالهية، و لا نخاف فى الله لومة لائم، و لا نغفل طرفة عين أبداً.[١٥]

و على ضوء ما قيل، فان تحضير المقدمات و الاستعدادات اللازمة، و إعداد الكوادر المؤمنة و الواعية، تمهيداً لقيام المنجى الموعود، هو أمر ضرورى و لازم لا يمكن اجتنابه فى طبيعة هذه المرحلة، و ينبغى عدّه من أولويات الأهداف و البرامج و الخطط و المشاريع المستقبلية للمجتمعات، و حكومة المنتظرين للمنجى المخلص.

لكن ليس هذا التمهيد صمتاً و سكوتاً، و لا غفلة و عدم إعارة الأهتمام، و لا تمسّك بالظلم و الجريمة! بل هو حركة جوهرية إيجابية فاعلة و نشطة لتقريب الخطوات باتجاه القيم و المثل و المبادئ المعنوية السامية للحكومة العالمية.

و على الحكومات الاسلامية السعى و العمل على تحقيق كافة أهدافها و برامجها للتقرب الى أهداف الحكومة المهدوية، و الالتزام بتعهداتها أمام الله و الشعب، و توفير الأجواء المناسبة و الحماية و الدعم الكافى فى قوالب الأعمال و الأنشطة الانسانية الودية و العقلانية لقبول الحكومات، و تغيير مواقف الشعوب المناهضة للدين و الاسلام

و التعاليم السماوية.

و فى بيان آخر: لو طبّقت الحكومات الاسلامية أهداف حكومة العدل العالمية، فانها ستمهّد بأسلوب عملى و إيجابى لكافة البلدان و الحكومات و الشعوب المناهضة للدين و الاسلام، فتغير من مواقفها و عدائها، فتكون شعوباً و حكومات مسالمة و محبة للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف لكنهم رغم ذلك، يطالبون بالعدالة و السلام، و بشكل غير مباشر و مستمر، فهم من جهة، يمهّدون الأرضية الخصبة، و المناخ و البيئة و الأجواء المناسبة لمعرفة التعاليم الاسلامية الأصيلة، و خصائص النظام المهدوى، و الخلفية المناسبة للقبول و الرضا و التسليم.

و لا يتيسّر إجراء و تنفيذ أهداف الحكومة المهدوية بصورة تامة و كاملة، إلا فى ظل قيادة الامام المعصوم عليه السلام. و على الدولة الممهّدة للظهور أن لا تتوقف عن السعى و الحركة فى التقرب نحو الأهداف و الخطط و المشاريع الالهية، و المضى فى هذا المسير.

أهداف الدولة و الحكومات

يمكن تصنيف استراتيجية و أهداف الدول و الحكومات العالمية الى قسمين:

١- الأهداف العامة:

إن كل دولة و حكومة تبدأ عملها بشكل صحيح و مقبول، و ليس لديها نوايا سيئة فى حق مواطنيها، من تعدى و ظلم و إضاعة الحقوق أو الاضرار بمصالح الآخرين، ينبغى عليها و كما هو متعارف: أن تضع أهدافها أمامها، و تسعى الى تحقيقها و تنفيذها.

فمن جملة تلك الاهداف التى سعت الحكومة النبوية و العلوية، و كذلك الحكومة المهدوية و سائر الحكومات الاسلامية الى تحقيقها هى:إرساء دعائم العدل، و الأمن، و الاستقرار، و الحريات، و حقوق الإنسان و..

أما الحكومات الأجنبية، فانها و من خلال مشاهدتها هذا التحول و التغيير، فانها تحاول الوصول الى تلك الاهداف و تحقيقها و لو نسبياً، و تفهّم الدين بصورة واضحة و صحيحة.

٢. الأهداف الخاصة

و هى تصبّ فى إطار تمهيد الأجواء المناسبة و المساعدة لظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف مثل: مواجهة التبليغات المغرضة و المسمومة و المحاولات اليائسة للأعداء، و القيام بتنشئة و إعداد كوادر كفوءة و مخلصة للدفاع عن حكومة العدل العالمية.

لكن الفارق بين هذين القسمين هو: أن أهداف القسم الأول ستمهّد بصورة غير مباشرة للظهور. أما الوصول الى أهداف القسم الثانى، فهى خطوات عملية مباشرة للتمهيد لظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ألف) الأهداف العامة:

١- العدالة

يعد تحقيق العدالة فضيلة، يبتنى عليها نظام الطبيعة، و تعترف البشرية بها، باعتبارها معيارا و مناطاً للتعامل الاجتماعى؛ لذا، يمكن للحكومة أن تكون صالحة و ذات قيمة و أهمية بالغة و قصوى، فيما إذا قامت على أساس العدالة، و وضعت العدالة فى جدولة أعمالها، و أولتها أهمية و اعتباراً خاصّاً. أما إذا خططت الحكومة و وضعت مشاريعها على اساس التسلط و السيطرة و الظلم، فهى حكومة غير ناجحة و لا يكتب لها الدوام و الخلود، و ستهدد بالفشل، و يكون مصيرها الزوال.

و إذا لم تكن العدالة محورا لها، فستؤدى الى العنف، و الرفض الشعبى العام، أو عدم الرضا و السخط.

اعتقد الراغب الاصفهانی فی مفرداته: أن لفظة «العدالة» تقتضی معنی المساواة، و قد فسرّ الآیة المبارکة: «إن الله یأمر بالعدل و الاحسان و إیتاء ذی القربی»[16]: بأن «العدل» فی الآیة یعنی لغة: المساواة فی المکافأة، إن خیراً فخیر، و إن شرّاً فشرّ. ثم أضاف فی شرح الآیة و شرح هذه اللفظة فقال: «العدل» هو القسمة بالتساوی.[17]

و اعتقد ابن منظور أیضاً: أن العدل هو المساواة بین شیئین.[18]

و قال الشیخ الطوسی: العدالة فی اللغة هی أن یکون الانسان متعادل الأحوال متساویاً.[19]

و قال العلامة الطباطبائی فی تفسیر هذا المصطلح: العدالة: تعنی إعطاء کل ذی حق، و بلوغه حظه الذی یلیق به.[20]

قال الامام علی علیه السلام رجل العدالة و أسوة المظلومین: «العدل یضع الأمور مواضعها».[21]

إن أقرب معنی لتعریف الامام علیه السلام لفظة العدالة، هو ما ذکره العلامة الطباطبائی رحمه الله

إن ما یحدث الیوم فی عالمنا المعاصر یتناقض تماما مع مفهوم «العدالة» من جهات عدیدة. فالعالم المعاصر هو فی خدمة من تبنی مساعیهم علی التمحور و التقوقع الذاتی و الانحصاریة فی النظرة و السلوك.

إن أصل تنازع البقاء و توأم القدرة هو فی الحقیقة من الأصول التی تشکّل مبنی التعاطی بالأسلوب السیاسی، و الثقافی، و الاقتصادی لهولاء الأفراد، من خلال إضفاء الشرعیة و تثبیت حق «الفیتو»«النقض» للدول العالمیة الکبری الخمس الأعضاء فی منظمة الأمم المتحدة، و الدفاع عن اسرائیل الغاصبة اللقیطة، و کیان الاحتلال الصهیونی، و استغلال الثروات العالمیة، و استخدام شعارات مثل: مکافحة الارهاب، و حقوق الانسان، و الحریات، و حریة المرأة، و أمثال ذلك، لتأمین مصالحها و ثرواتها،

فهذه نفسها من أهم مصاديق الظلم المصطنع فى عالمنا المعاصر.

و لا تتوفر مواصفات القيادة اللازمة و المتكاملة لدى القادة و الحكّام فى العالم، بناء على صريح قوله تعالى: «لا ينال عهدى الظالمين»، فى الوقت الذى يمارس فيه هؤلاء الساسة المعنيون شتى أساليب الظلم و الاضطهاد بحقهم و بحقّ الآخرين فى عصرنا الراهن.

و بما أن القوانين الحاكمة فى العالم تبتنى على أسس و قواعد علمانية، فهى تتغاير مع القوانين الالهية من جهات كثيرة. و قد تسبّبت هذه القوانين فى تكثير و توسيع الفواصل و الطبقية و اللامساواة بين الشعوب و البلدان الفقيرة و الغنية يوما بعد آخر. و تسبّبت أساليب و سياسات القمع و الإبادة الظالمة و الدمار الشامل فى وضع البيئة و المجتمعات البشرية فى مخاطر حقيقية. و بهذا الدور، ينتهى الموقع الرقابى و الاشراف و الملاحقة القانونية للمجرمين و المفسدين لصالح الأقوياء ذوى النفوذ و الاقتدار. و على رغم تعدّد أنواع المصالح و الاستثمارات الرائجة لبعض البلدان، إلا أن حالات الفقر و الفساد قد ازدادت فى بعض المناطق من العالم، و تفشّت الأمراض المزمنة، و انتشرت أنواع كثيرة من الأوبئة، و كأن ما قاله ابليس فى حواره مع الله قد تحقق، بقوله: «قال ربّ بما أغويتنى لأزيننّ لهم فى الأرض و لأغوينهم أجمعين».[٢٢]

و على ضوئه، يتضح من خلال النظرة العامة للقضايا العالمية الرافضة: أن الحكام المتسلطون المسيطرون على العالم اليوم، لا يدّعون:أن الظلم فى العالم اليوم قد انقطع و انتهى، و أنه غير موجود !. فالعولمة، و مكافحة الفساد و الارهاب، و الدفاع عن حقوق الانسان، و مواجهة انتشار أسلحة الدمار الشامل، و الأسلحة النووية الفتاكة والمدمرة، و الدفاع الوقائى، و تأمين الأمن العالمى، و... هى كلها شعارات و مبرّرات و أعذار تصب فى مصلحة تثبيت الظلم و الفساد.[٢٣]

أما العدل: فهى صفة خاصة بالامام المهدى عليه السلام، و قد تواترت الأخبار و الروايات بل استفاضت فى وصف الامام عليه السلام بالعدل، و مقارعة الظلم، و مكافحة الارهاب و الفساد، كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوما، لطول الله تعالى ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلا منى – أو من أهل بيتى- يواطئ اسمه اسمى، يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً».[٢٤]

إن تطبيق العدالة فى العالم هى فلسفة بعث الأنبياء و الرسل عليهم السلام، و لكن هذا الهدف المقدس لم يتحقق بعد !.

لقد ذخر الله تعالى آخر إمام و حجة له فى الأرض، ليقوم فى اليوم الموعود، فيملأ الأرض قسطاً و عدلاً، بعد ما ملئت ظلماً و جوراً. إلا أن الهدف السامى لم يتحقق الى وقتنا الراهن، و لن يتحقق بعد ذلك إلا فى عصر الظهور.

إن هذا الأمل الكبير لا يتحقق إلا فى ظلّ الحكومة المهدوية وحدها، فهو وحده عجل الله تعالى فرجه الشريف القادر على تطبيق العدالة فى كافة أرجاء العالم بأمر من الله تعالى.

و لا يعنى هذا الكلام: أن لا تُبذل جهود و مساعى لاقرار و ترسيخ العدالة فى عصر الغيبة، و أن كل جهد يبذل فى هذا الاتجاه، فهو عديم الجدوى و الفائدة، أو أننا نرفض أىّ جهد و نشاط و حركة لإقامة النظام العادل حتى على المستوى النسبى و المحدود.

بل إن معنى هذا الكلام هو: أن أى حكومة قبل ظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف لا يمكنها أن تدعى أنها قادرة على إقامة النظام العادل الكامل فى العالم.

قال الامام الخمينى قدس سره: إننا غير قادرين على تطبيق العدالة فى العالم، و لو قدرنا لفعلنا ذلك، و بما أننا عاجزين عن ذلك، فينبغى عليه عليه السلام أن يأتى، و لكن علينا التمهيد للظهور، و الإعداد و الاستعداد و التحضير لتعجيل الفرج، و علينا أن نقوم بأعمال تجعل العالم مهيّئا و مستعدا لمجىء الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.[٢٥]

إن تطبيق العدالة فى كل مجتمع من العالم، هو بحاجة الى أركان و أسس و دعائم متعددة. فعدم وجود كل من هذه الاركان، سيكون سببا فى تهديد استقرار العدالة فى ذلك المجتمع.

و من أهم أركان العدالة هى:

١. الحاكم العادل

لا ريب فى أن طموحات و آمال كلّ حركة تأخذ بيد المجتمع و الحكومة نحو العدالة، إنما تتحقق، فيما إذا كان الامام و الحاكم نفسه يتّجه فى مسيرته نحو العدالة، و يتخذها أسلوباً و نهجاً له فى حياته الفردية و الاجتماعية.

أما النظام الحكومى الذى رسمه الشيعة نهجاً لهم: فقد عدوا وجود الامام العادل من أهم الشروط فى تحقيق العدالة. فلا شرعية أبداً بدون وجود هذا الامام.

٢. العاملون العدول

إن فقدان المنفذين و العاملين العدول، تعدّ من الموانع الاساسية فى إقامة العدالة التى يتحمّل أعباءها المصلحون الاجتماعيون.

و لهذا، ينبغى اختيار من تتوفر فيهم الكفاءة من ذوى الاختصاص، لتحقيق العدالة، و المضى فى هذا الاتجاه.

و اتسامهم أيضا بالعدالة و التقوى و التعهد و المسئولية.

٣. القوانين العادلة

إن وجود و توفر مجموعةالقوانين هى من الشروط الاساسية فى تحقيق العدالة الاجتماعية. فلا يمكن تحكيمها عند فقدانها و عدم توفرها فى المجتمع كما هو لائق بها.

و لا ريب فى أن الكتاب و السنة مبينان لأعدل القوانين، و ستتذوق المجتمعات العالمية

حلاوة العدالة عند تطبيقهما، و كانا أساساً و ميزاناً فى سياساتها العالمية.

و قد وصف الامام علىعليه السلام القرآن الكريم بأنه الصفحة الناصعة و المظهر الأتمّ للعدالة فقال: «فهو معدن الايمان و بحبوحته، و ينابيع العلم و بحوره، و رياض العدل و غدرانه».[٢٦]

۴. النظام العادل

إن تحقيق العدالة الاجتماعية بحاجة الى وجود نظام يبتنى على العدالة، أى النظام الذى يحدّد وظائف و مسئوليات كل شخص، حسب موقعه و قيمته بشكل صحيح، و يعرّف كل فرد بمسئولياته و وظائفه جيّداً، و يعمل بها، و يحسّس الجميع أخيراً بان هناك إشراف و رقابة على أعمالهم و أدائهم، فان أخطأوا و أساءوا، فسيتم محاسبتهم و مسائلتهم على الخطأ و سوء الأوامر و التنفيذ.[٢٧]

۵. أبعاد العدالة

لا تتحدد العدالة حسب تعاليم الدين الاسلامى بمجال الحياة الاجتماعية والعلاقات البشرية، و ارتباطهم مع الآخرين فحسب، بل أن مجالاتها و تطبيقاتها هى أوسع من ذلك، حيث تشمل ارتباط الانسان مع الله، و مع نفسه، و ارتباطه أيضاً بالآخرين.

أما ارتباط الانسان بربه: فعليه أن يواجه و يتحدى كل مظاهر الكفر و الشرك و البدعة و الباطل و الفساد، و يبذل جهوداً و مساعى حثيثة و جادّة فى هذا المضمار، و سعيه الى نيل الحق و الحقيقة، و إحياء دين الله تعالى.

و ارتباطه مع نفسه: يعنى أن عليه أن يلتفت الى قدراته و استعداده و قابلياته الجبّارة، و العمل على تطويرها و الارتقاء بها، و مواجهة و تحدّى كافة أنواع الذلّ و الهوان، و الاستكانة و العبودية، و الرقّية و الانحطاط و الانحراف.

و العدالة فى هذين البعدين: هى عدالة فردية. فعلى كل انسان بذل الجهد للوصول

اليها و تحقيقها. و لكن ما على الحكومة فى ما يرتبط بنطاق عملها، أن تسعى لاقامة العدالة فى بعد ارتباط الانسان بالآخرين، و يعبّر عنها «بالعدالة الاجتماعية».

فالعدالة الاجتماعية لها شعب و فروع و أجواء واسعة، و مجالات اجتماعية مهمة و متنوعة. و بما أن الالتفات لها و الاهتمام بها هو من جملة الأهداف و البرامج الأصلية للحكومة، فمن اللازم عليها أن توسّع البحث حول هذا الموضوع تحديداً. تشتمل العدالة الاجتماعية على مجالات عديدة، و أهمها:

أولا: إقامة العدالة فى مجال التشريع و تطبيق القوانين.

فكما أن الله تعالى وضع الأحكام الأولية لتدور حول محور عدالة التشريع، فعلى الحكومة الاسلامية أيضاً أن تجعل العدالة محوراً لها فى تشريع القوانين والملاكات و القرارات الحكومية، لتتناغم و تتجه القوانين مع الاوامر الاسلامية، و العقل، و الضمير و الوجدان، و الانسانية، من أجل ضمان سلامة المجتمع و سعادة البشرية فى تطبيقاتها الصحيحة. فلو حصل التمايز فى مرحلة التشريع، و لم يراع فيه الملاكات العقلية، و المبدئية، و الانسانية و الاخلاقية، ففى النحو الأول: سيكون تحقيق العدالة فى مرحلة التطبيق و التنفيذ أمراً مستحيلاً. فهناك مئات القوانين و الأحكام التى تصدر و تصادر يومياً فى العالم، حيث ينسجم جزء ضئيل منها مع العقل والعدالة، و لكن الكثير منها يتنافى مع القيم و المبادئ الانسانية و العقلية و الأخلاقية و الدينية، بل حتى مع تعاليم الأديان السماوية، كقانون حريات الشذوذ الجنسى، و هتك الاعراض، و الانحرافات الجنسية، و تناول الكحول و المسكرات، و مزاولة الأعمال الربوية.

و تعدّ المخالفة الصريحة لهذه القوانين، و مناهضة الحق و العدالة و الانسانية، هى أحد الموانع التى تواجه الحكومة العالمية للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و تعرقل مسيرتها.

فعلى الدولة الممهدة للظهور تصفية الأجواء، و تنقية هذه القوانين، و حلول القوانين

العادلة الانسانية و الاسلامية بدلها، لتتجلى العدالة على منصة الظهور.

إن إيجاد العدالة فى مراحل تطبيق القوانين هى شواخص أخرى فى هذا المجال.

إن كافة البشر من أى فئة أو طائفة أو قبيلة أو قومية أو جنسية أو لون أو لغة متساوون أمام القانون، فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، و القانون حاكم بالتساوى على الجميع. قال الامام الصادق عليه السلام: «الناس سواء كأسنان المشط».[٢٨]

ثانياً: إرساء دعائم العدالة فى مجال الثقافة و التعليم:

إن هناك ضرورات ملحّة تفرض نفسها على الرجال السياسيين قد فرضتها طبيعة المرحلة، عليهم أن يولوا لها اهتماماً كبيراً و رعاية خاصة، و هى: الارتقاء بمستوى الثقافة و التعليم فى داخل المجتمع، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية.

و تستلزم رعاية العدالة هذه ايجاد الأرضية و الاجواء المناسبة للتنمية الفكرية و الثقافية، و توسيع المناهج العقلانية، و تعليم كافة أفراد المجتمع بصورة متساوية، و تقسيم شروط و إمكانات المعرفة و التعليم على أساس محور العدالة.

و من الواضح هنا: أن هذا التوزيع العادل، و تساوى أفراد المجتمع فى التعامل العادل معهم، سيؤدى الى فوارق فى الاستعداد و القابليات و القدرات، و الجهود و المساعى و التدبير و التفكير، و استخدام ذلك فى منافع و فرص مختلفة. و ترتبط هذه الفوارق بميزان الاستعداد و القابليات و القدرات، و الجهود و المساعى و التدبير و التفكير، و هى أمور تتنافى مع العدالة. بل هى فوارق و اختلافات طبيعية تماماً، و هى من لوازم المجتمع الانسانى.

و ينبغى إتاحة و تحضير الفرص كتحصيل مشاغل و أجواء فى المعرفة، و تنمية الكفاءات، و تطوير كافة المجالات لأجل الوصول إلى إيجاد العدالة فى هذه المقولة،، و لكى يحقّق كل واحد من هؤلاء الافراد موقعا و شهرة حسب ما يمتلكه من لياقة و

كفاءة و استعداد و جهد.[٢٩]

ثالثا: إرساء دعائم العدالة فى المجال السياسى:

المراد بالعدالة السياسية: هو إيجاد المساواة التوازن، و دعم و ضمان الحقوق، و رعاية القوانين فى المجالات الاجتماعية المختلفة، و التوزيع العادل للقدرة بين أفراد المجتمع.

و يتحقق مفهوم إعطاء و ضمان الحقوق السياسية بإصلاح النظام الادارى، و إعطاء المناصب و الرتب و المسئوليات المهمة و الحساسة فى إدارة البلاد الى أشخاص كفوئين، و تهيئة أجواء المشاركة السياسية الفاعلة للافراد، و امتلاك حق البيان، و حق النقد و الانتخاب و الترشيح له و لغيره، و....

و تدل عليه آيات كثيرة فى القرآن الكريم، كقوله تعالى: «و أمرهم شورى بينهم»، [٣٠] و آيات الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، كقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر».[٣١] و هى تدل على الحقوق السياسية للأمة.

أما الحقوق السياسية لرجال السياسة و الحكّام على الناس، فهى تعنى: لزوم الاجابة و الطاعة لها، كما قال سبحانه و تعالى: «اطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم».[٣٢]

و قد وصف الامام على عليه السلام الوفاء، و طلب الخير، و الطاعة بأنها حق من حقوق الناس، فقال عليه السلام: «أيها الناس، و أما حقّى عليكم، فالوفاء لى بالبيعة، و النصيحة فى المشهد و المغيب، و الإجابة حين أدعوكم، و الطاعة حين آمركم».[٣٣]

رابعا: إرساء دعائم العدالة فى جانب القضاء و الحقوق:

يعدّ تطبيق القضاء العادل من أهم القيم و المعانى السامية و الشعارات و الآمال التى تطالب بها كافة المجتمعات البشرية. فالعدالة فى القضاء تعنى الحكومة و الفصل بين الناس

على أساس القوانين، و هى تنجز بتوجه كامل، و قصد تام، دون الانحيار الى جهة معينة، للحدّ من تضييع حقوق الناس.

و من شواخص القضاء العادل المهمة هى: عدم المساس بكرامة الافراد، و رعاية عواطفهم و مشاعرهم، و احترامهم، و الحفاظ على القانون، و تطبيقه بصورة صحيحة، و رعاية الانصاف، و عدم الانحياز الى طرف أو جهة معينة فى أمر القضاء، بل ينبغى أن يبقى القضاء مستقلاً، و التنديد بالتصرفات و الأساليب الفردية و الانانية التى تصدر دون استشارة.

و قد أكد القرآن الكريم على هذا المعنى فى آيات عديدة:

منها: خطابه لداود عليه السلام، و هو أول نبى قام بتشكيل حكومة دينية، فقال سبحانه و تعالى: «يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق و لا تتبع الهوى»، [٣٤] و قال عز و جل أيضاً فى موضع آخر: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل».[٣٥]

و تحدّث قائد الثورة الاسلامية الامام الخامنئى «دام ظله» حول هذا الموضوع فقال: إن وجود القضاء فى بلد ما، دليل على سلامة مجتمعه و نشاطه. فلو كان جهاز القضاء نزيهاً، فيستنتج من ذلك: أن الأجواء العامة فى المجتمع من خلال امتلاك العدالة، و الابتعاد عن التمايز العنصرى، و الظلم و الاجحاف و الاعتداء، و سائر العناصر الكبرى للبشرية، هى نزيهة أيضاً. فلو افترضنا أن أحداً لا يعلم عن بلد شيئا، ثم انطلق للتعرف على الجهاز القضائى، و البحث و الفحص عن مواده، و رأى أن لهذا البلد قضاة عدول، لهم صرامة و حزم فى إصدار الأحكام و القرارات المستقلّة، فسيصل الى هذه الحقيقة و هى:أن لهذا البلد نظام و مؤسسات فاعلة و مستقلة، و قوانين مدروسة و منظمة عادلة. و إذا رأى جودة عمل قضاة هذا البلد، و دقتهم فى أدائهم، فسيستنتج بصورة طبيعية: أن

وضع و أجواء البلاد تبشر بخير و جيدة.[٣٦]

خامساً: إرساء دعائم العدالة فى القطاع الاقتصادى:

العدالة الاقتصادية هى من أهم شواخص العدالة الاجتماعية، و هى تعنى التوزيع العادل لكافة الامكانات المادية و الترفيهية، و الصحية، و العمرانية، و المعيشية، و الخدمية فى المجتمع.

و السعى الى القضاء على الفقر و الفساد المالى و الإدارى.

إن إيجاد الاستقرار الاقتصادى و تحسين الوضع المعيشى للناس، سيمهد الأرضية المناسبة للوصول الى الاهداف الانسانية، و الالهية، و التكامل المعنوى، لان وجود الفقر و العوز و الاحتياج المادى سيسلب فرصاً كثيرة، و فقدان قدرة التفكير فى المفاهيم العليا السامية، و سيمنع من الوصول الى التكامل و البناء.

و قد أكد الدين الاسلامى كثيراً على هذا الموضوع، قال سبحانه و تعالى: «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط».[٣٧]

و قد أصرّ الامام على عليه السلام بشدة على ضرورة التقسيم العادل و المتساوى فى بيت المال بين الناس، و استدل على ذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «و أعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطى بالسوية، و لم أجعلها دولة بين الاغنياء».[٣٨] و قال عليه السلام فى موضع آخر أيضاً لما عوتب على التسوية فى العطاء:« أ تامرونى أن أطلب النصر بالجور، لو كان المال لى لسوّيت بينهم، فكيف و إنما المال مال الله !!».[٣٩]

و ينبغى الانتباه هنا: الى أن مقتضى العدالة هو ليس تساوى الأجرة و الدخل الاقتصادى الفردى، كالسهم العام من بيت المال، بل أن من مستلزمات تحقيق العدالة فى هذه المرحلة هو اختلاف و تعدد استثماراتهم من مصادر و إمكانات المجتمع، تناسباً مع جهد كل فرد منهم، و تنوع أساليب قابلياتهم، و تأثيرها فى المجتمع.

و على ضوء هذا، فقد مهّد النظام الاسلامى العادل أيضاً و من خلال الجهود و المساعى المبذولة، لتوسيع أجواء التكامل بشكل مماثل و متساوى، لدعم الانجازات الاقتصادية للافراد على أساس الابداع و الكفاءة، و القابليات و التجارب التى يمتلكونها فى المجتمع، و نظر الى نتاج عملهم و أدائهم الخاص بنظرة احترام و تقدير، و احترم مواردهم المالية و استثماراتهم المشروعة.[٤٠]

و من أهم الأبحاث المطروحة حول موضوع العدالة، لبيان دورها و أهميتها، و درجتها الرفيعة من جهة، و تبعية تحققها و إيجادها بآليات حكومية من جهة أخرى.

و نشير هنا أيضاً الى أنه ينبغى أن يكون السعى لتحقيقها فى كافة الأبعاد، بمنزلة السياسة العامة، و وضع الحلول الاساسية للبنى التحتية فى برامج و عروض الدولة الاسلامية، لتنهج الدول و الحكومات العالمية و الشعوب هذا المنهج، و تحتذى بهذا الاسلوب فى مجال تطبيقاتها حذوها، ليكون نموذجاً رائعاً و ناجحاً لها فى هذا الاقتداء، و مناسباً أيضاً فى التمهيد لظهور الحكومة العالمية العادلة للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف

٢. الأمن

يعدّ الأمن و الاستقرار الفكرى و الفردى و الاجتماعى مقولة مهمة، بسبب ارتباط جزء أعظم من حياة الانسان فى الحقيقة به، و بدون امتلاك هذا الجانب الحيوى و المهم، لا يمكن أن تتحقق الأهداف الأخرى للبشرية، كالعدالة، و الحرية، و التطور العلمى و المعنوى. و على هذا فقد صبّت جلّ الاهتمامات منذ القدم بهذا الجانب، عند وضع القانون لأول مرة فى حياة الإنسان، و تشكيل الحكومة فى المجتمعات البشرية، لتوفير هذه الضرورة و الحاجة الاساسية و الملحّة.

إن توفير الأمن الفردى والحفاظ على حرمة الاشخاص و كرامتهم، و الدفاع عن حقوقهم و حرياتهم، و كذلك الأمن الاجتماعى، الذى نعبّر عنه «بالامن القومى» هى

من جملة الاهداف التى بذلت فيه الحكومات جهوداً حثيثة و مكثفة و مظنية لتحقيقها، و قد أولى الاسلام اهتماماً بالغاً و تركيزاً خاصاً بكلا المجالين.

و يختلف مفهوم الأمن فى الرؤية الاسلامية عن فهم المذاهب المادية البشرية لهذه المقولة، فالامن فى المفهوم الاسلامى المتعلق بالانسان، يعنى: ضرورة تأمين الحماية و الدعم اللازم فى حياته الدنيوية، و كذلك قدرته على عبور مراحل الكمال، و اجتياز سلالم الرقى المعنوى بأمان و اطمئنان.

قال الامام علىعليه السلام فى تضرعه الى الله: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا منافسة فى سلطان، و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنرد المعالم من دينك، و نظهر الاصلاح فى بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، و تقام المعطلة من حدودك».[41]

و قال الامام الرضاعليه السلام أيضاً: «بالامام.. إمضاء الحدود و الأحكام، و منع الثغور و الأطراف، و يقام حدود الله، و يذبّ عن دين الله».[42]

و تبنّياً لهذا القول الواعى و الواضح، فان سيرة النبىصلى الله عليه وآله و الامام علىعليه السلام فى عصر حكمهم، تشير الى أن توفير الأمن و الحماية اللازمة و الدعم الكافى للشعوب فى العالم من أهم المخاوف التى كانت و لازالت تفكّر بها الحكومات فى العالم، فهى تتخذ خطوات احتراسية دائماً تجنباً لتهديد أمن الشعوب و استقرارها، و وقوعه فى مخاطر عديدة تؤدى الى نتائج وخيمة، تنعكس آثارها على المجتمعات العالمية، أو تعرّض الأمن القومى الى تهديدات جدّية و حادّة من الخارج و الداخل.

لقد ذكرت النصوص الروائية و التاريخية: أن النبىصلى الله عليه وآله كان إذا خرج الى دار الحرب من المدينة، أقام لهم وصيا فيها، لإدارة أُمور الناس و شؤونهم، و القيام بمسئولياته تجاههم، فيختارصلى الله عليه وآله من هم أكفاء فى حراسة المدينة لكى لا تتعرّض لغزو طامع أو تهديد معتد، فينصّب القادة ليسمع الناس أمرهم و يطيعوا كلامهم.[43]

و كان على عليه السلام قلقاً على تهديد مصالح الاقليات الخاضعة لحكومته الاسلامية أيضاً. أو تعرضها للخطر، فقد قال عليه السلام: «و لقد بلغنى منهم أن الرجل كان يدخل على... المعاهدة فينتزع حجلها...فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان عندى به جديراً».[٤٤]

و هنا أمر مهم ينبغى توضيحه و هو: اتساع دائرة الأمن فى الرؤيةالاسلامية. فالحكومة الاسلامية ليس أنها تفكر فى الانظمة السياسية الاخرى، كتوفير الامن المالى و الثقافى و السياسى للاشخاص فحسب، بل تفكر فى الاهم من ذلك أيضاً، و هو حفظ و صيانة كرامات الناس و حيثياتهم، و توفير الامن لممارسة معتقداتهم، و الثناء عليهم.

و على الحكومات الاسلامية وضع الملف «الأمنى» فى أولويات خططها و برامجها، و أهدافها المستقبلية، لان توفير الاجواء المناسبة للنمو و التعالى الفكرى و المعنوى فى المجتمع مرهون بتوفير الأمن لهم فى كافة الأبعاد.

إن سعة نطاق القوانين و القرارات و الموانع و المحدوديات فى أبعاد مختلفة و عديدة فى الدين الاسلامى، يوسّع من دائرة «الأمن» فيه أيضا، فعدم التصرف فى أموال الآخرين دون إذن من المالك، و حرمة التطفيف، و عدم الاجحاف، و منع البيع بأسعار باهضة و كلفة عالية، و الاضرار بالمواطنين، و حرمة الاحتكار، و السرقة، و التحايل، و الرشوة، و.. هى كلها الغرض منها دعم و توفير الأمن الاقتصادى لحماية المواطنين من حالات الاستغلال و الجشع.

و كذلك وضع قوانين القصاص، و الحدود و التعزيرات و أنواع المجازاة و... هو لتوفير الأمن لأرواح المواطنين.

و أما حرمة التجسس على الآخرين، و حرمةالغيبة، و التهمة، و سوء الظن و... فهى قوانين تشريعية للدفاع عن كرامة الناس و حيثياتهم الاجتماعية.

و كذلك حرمة القمار و الموسيقى و اللهو، و تبليغ الشرك و الكفر و المذاهب الانحرافية، و ترويج و نشر المذاهب المادية، و عقائد السحر... فهى للمحافظة على الأمن الفكرى و الإيمانى و الاعتقادى للأفراد فى المجتمع.

أما وجوب الجهاد، و حفظ الثغور، و عدم إقامة العلاقات الودية و الحميمة مع الكفار و المشركين، و نفى السبيل، و سيطرة الكفار على المسلمين و... فهو للمحافظة على الأمن الوطنى و القومى، الذى أولى له الاسلام اهتماما و توجّهاً بالغاً.

إن التكاليف المذكورة متعلقة بكل فرد من أفراد المجتمع، و بآحاد المسلمين. و إن العديد منها هو من شئون الحكومة و مسئولياتها و وظائفها تجاه شعوبها و مجتمعاتها، و هى خارجة عن نطاق و قابلية المواطنين. فعلى الحكومة الاسلامية مسئولية توفير الأمن للمسلمين، و اتخاذ التدابير اللازمة و السبل الكفيلة و الدعم المستمر فى هذا الاتجاه.

و ينبغى الانتباه هنا: الى أن توفير الأمن ينبغى أن لا يتحقق بأى وسيلة ممكنة، حسب ما ورد فى التعاليم الاسلامية، بل إن الأمن الذى له قيمة و أهمية قصوى فى الاسلام، هو الذى يمكن إنجازه فى ظلّ العزّة و الكرامة و الحرية و التحرر، فهذا «الأمن» دائم و خالد الى يوم القيامة. و لذلك فان الأضواء التى تسلط اليوم على موضوع دعم «الأمن» فى العالم، و يسبب متاعب و أضرار و كلفة باهضة، هو غير مطلوب ذاتا.

روى: أن عبد الله بن جعفر، لما سمع بخروج الحسين عليه السلام من المدينة الى العراق، أرسل الى الامام عليه السلام رسالة فورية و عاجلة، أصرّ فيها على ضرورة بقاء الامام فى مكة و عدم تعريض نفسه الى الخطر، و المجازفة بأهله و كان فى ركبه الى الضرر، ليأخذ للامام الحسين و أهل بيته أمانا من يزيد، فأجابه الامام الحسين قائلاً: «لقد دعوت الى الامان و البرّ و الصلة، فخير الامان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه، فنسأل الله

مخافة فى الدنيا، توجب أمانه يوم القيامة».[٤٥]

إن «الامن» لا يختصّ ببقاء المال و النفس بعيدان عن التعرّض و التعدى و الاستغلال، و صيانتهما من التلف، بل إن الايمان و العزة و الكرامة و الاستقلال، لها قيمة و أهمية أكثر بكثير من صيانة المال و النفس.

إن الأمن له قيمة، و ذلك فيما اذا استظل بظلال الايمان و الاستقلال و العزة. فالمجتمع الذى لا يملك حكامه استقلالية فى اتخاذ القرار، بل يتبعون آراء الدول و الحكومات القوية و السياسات الاستكبارية فى العالم، و يكونوا لهم عملاء، فلا يمتلك هذا المجتمع خصائص «الأمن».

و كذلك الدول و الحكومات التى يمنح ساستها امتيازات و استثمارات للدخلاء الأجانب و العملاء، لتحميهم من تعرّض الشعب أو مسائلة القانون، و صيانة أنفسهم من التهديد، لغرض استمرار حكوماتهم، فلا أمان لهذا المجتمع.

و من العوامل المهمة فى تزايد الأمن القومى، هى حالات المشاركة الشعبية الواسعة فى المجالات الاجتماعية و السياسية، فالمشاركة السياسية و التواجد و الحضور الشعبى الفعل و النشط فى إدارة المرافق الحياتية المختلفة فى البلاد، ستكون سبباً فى دعم و حمايةالشعوب من اضطهاد الحكّام، و ستدار شؤون البلاد بصورة ناجحة و مطلوبة، و سيؤدى أخيراً الى الحصول على الاستقلال الوطنى و الأمن القومى.

لقد ابتنت السنن الالهية عبر التاريخ على هذا الأصل و هو: أن بقاء و حياة الشعوب فى العالم يتعلق بارادتها القوية و حيثياتها، فليس القصد هنا أن تتدخل قوى غيبية مثلا لتدافع عن كيان أو قوم أو شعب، و تصدّ عنه الاعداء، فتعرض عنه!!. قال تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيرّوا ما بأنفسهم».[٤٦]

و يحذّر القران الكريم الناس: أنهم إن استقاموا و ثبتوا فى عزيمتهم و إصرارهم للدفاع

عن دين الله، و عزتهم و كراماتهم و هويتهم الدينية و الوطنية و استقلالهم، فسيؤيدهم الله بنصره، و سيمدّهم بقوى غيبية، لتحميهم و تنصرهم، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم».[٤٧]

و على هذا، فان على كافة أفراد الأمة المشاركة السياسية النشطة و الفاعلة، و التواجد و الحضور فى الساحة السياسة و الاجتماعية، و الدفاع عن كيان الدولة الاسلامية، و الاحساس و الشعور بالمسئولية و الغيرة على الحكومة أيضاً، و توفير الحماية و الدعم اللازم لها، لتوفر لهم أجواء تواجدهم و مشاركتهم السياسية الفاعلة، للمحافظة على الأمن و الاستقرار فى المجتمع.

و الأمر الآخر الضرورى و المهم هو: أن للمسلمين ثقافة إسلامية مشتركة و موحدة، فهم كالجسد الواحد. و لهذا، فان الهدف الأصلى هو: إيجاد «الأمن» لكافة المسلمين فى العالم، و فى سائر البلدان الاسلامية.

فلا معنى للحدود الجغرافية المصطنعة المرسومة على الخرائط المتواجدة فى العالم، بعد أن رفضها الاسلام بضرس قاطع، و لم يعترف بها بداً.

إن الحدود الاعتقادية و الدينية هى التى تفصل الناس و تبعد بعضهم عن البعض الآخر، و إن كان التمسك بالحدود الجغرافية المرسومة أمراً لازماً أيضاً. لكن على الحكومات الاسلامية أن لا تغفل عن توفير الحماية و الأمن و الاستقرار لكافة المسلمين فى أقصى أرجاء العالم، و عليها أن تعى و تتفهم أهمية ما يجرى على المسلمين من ظلم و استبداد و انحراف، و إبادة جماعية، و خروقات أمنية، و تجاوزات و تعدّى على حرمات المسلمين و مقدساتهم فى العالم.

و قد حذّر القرآن الكريم المسلمين من هذه الظاهرة، فقال سبحانه و تعالى: «و ما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله و المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان الذين يقولون

ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها و اجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً»[٤٨ و٤٩]

لقد أكدت المفاهيم و التعاليم الاسلامية على ضرورة توفير «الأمن» لكل المسلمين فى كافة أرجاء العالم. و قد كان هذا من أهم أهداف حكومة النبى ﷺ و الامام على عليه السلام، فعلى الحكومة الاسلامية الممهدة للحكومة المهدوية أن تضع موضوع «الأمن» فى لائحة أهدافها، و أولويات برامجها المشروعة، و أن تبذل قصارى جهودها، و تتخذ السبل الكفيلة فى تحقيق ذلك، و لا تتوانى عن ذلك أبداً.

فاذا نجحت الدولة الاسلامية فى الوصول الى هذا الهدف، فستكون نموذجاً رائعاً، و أرقى الحكومات فى تعاطيها مع الملف «الأمنى» فى الحكومة المهدوية. وستزداد لهفة الحكومات و الشعوب المتعطشة لتحقق الأمن الكامل فى العالم و شوقها الى حكومة إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف العالمية.

و بهذا الأسلوب، ستمهدّ هذه الحكومات لظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٣. القدرة و عدم التبعية

من الوظائف و المسئوليات المهمة الملقاة على عاتق الدول و الحكومات الممهدة للظهور هو متابعة أهدافها المهمة و تعريفها للناس، و منها: الوصول الى الاكتفاء الذاتى فى المجالات الاقتصادية، و العسكرية، و السياسية و غيرها. إن الدولة المقتدرة و القوية ستترك آثاراً واضحة و مهمة فى داخل المجتمعات العالمية، و هى جديرة بأن تمهّد للحكومة المهدوية العالمية.

أما الحكومات الضعيفة والعميلة التى تنفعل مباشرة أمام رغبات و مطالبات الحكومات الاستكبارية و القوى الكبرى، لكى تحافظ على وجودها و مصالحها الخاصة. فلا يمكن الثناء على القيم و الشعارات الاسلامية المعروضة فى هذه الأجواء، أو

المحافظة عليها، أو التبليغ لها على الصعيد العالمى و المستوى الرفيع.

و بناء على هذا، فان الشرط الأساسى فى التمهيد لظهور الثورة العالمية هو: الاكتفاء الذاتى و سياسة الاقتدار، و رفض التبعية.

ان على الدولة الاسلامية فى بُعد قدرتها الاقتصادية: أن تسعى بالطرق المشروعة و السلمية السريعة الوصول الى الاكتفاء الذاتى فى القطاع الاقتصادى و اتخاذ سياسة الاقتدار، لان حفظ الاستقلال و الحرية و العزّة و الكرامة على الصعيد الداخلى و الإقليمى و العالمى، و كذلك المحافظة على الدين و الثقافة الدينية، هى أصول أساسية و مهمة للتمهيد الى دولة الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف. أما توسيع و نشر المبادئ و القيم الاسلامية و الانسانية، فهو مرهون بتواجد القدرة المالية و الاقتصادية. و قد وصف القرآن الكريم «المال» بأنه قوام استمرار الحياة الفردية، و الاجتماعية، و الثقافية، و السياسية، فقال سبحانه و تعالى: «و لا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً».[٥٠] فعلى الحكومة الاسلامية و المعنيين بها بذل الجهود الحثيثة و المضاعفة للوصول الى الاستقلال الاقتصادى و الاكتفاء الذاتى فى كافة قطاعات الحكومة.

و على الحكومة الاسلامية أيضاً أن تصل الى مصدر القدرة و القوة فى بُعدها الدفاعى و العسكرى، لتكون قادرة على تحدّى أعداء الله و التصدّى لأعداء الاسلام، و الصمود و المواجهة بوجه المعتدين.

و ينبغى على هذه الحكومات أن تشجّع المسلمين على امتلاك قدرات و قوى رادعة، و جهاز عسكرى منظم و متطور، لا لفتح الشعوب و احتلال البلدان و إفقارها، و نهب و سرقة ثرواتها، بل لمنع الاعداء من عودة التفكير فى سيطرة الحكومات و القوى الاستكبارية الغربية، و صدّ أطماع الغزاة و الطامعين. و الغرض من هذه المناورات هو زرع الخوف و الرعب فى قلوب الاعداء، و بث الهلع فى صفوفهم، و قد عبّر القرآن

الكريم عنها بمرحلة عدم السقوط فى «الفتنة». قال سبحانه و تعالى:«و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله».[٥١]

و تتحدث الآية التالية بوضوح، و انسيابية عالية، و منهج يتناسب مع كل زمان و مكان، عن ضرورة القدرة العسكرية فى المجتمع الايمانى. قال سبحانه و تعالى: «و أعدّوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم».[٥٢]

و أما القدرة العلمية على ضوء الجهود و المساعى المبذولة، و دعم أنشطة الحكومة الاسلامية، للسير و الحركة باتجاه التمهيد للثورة العالمية للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فان طبيعة هذه المرحلة تقتضى ضرورة حصول التغيير و التطوير العلمى العظيم فى هذا القطاع، و التكامل، و إيجاد المعارف التربوية التى تتضمن معلومات كافية حول المذاهب الفكرية الحيّة، و مبانيها الايدلوجية فى كافة المجالات، أمام ظهور و نشوء الأفكار المادية المعروضة، و التنظير حول الرؤية الدينية، و إيضاح أفضلية الحقائق و التعاليم الدينية، و حقيقة الوعى و التفكير الدينى، قال سبحانه و تعالى: «ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن».[٥٣] أما لو حصل غير هذا، فسيكون مصداقها الآية التالية و الآيات المشابهة لها، و هو قوله تعالى: «و من الناس من يجادل فى الله بغير علم و يتّبع كل شيطان مريد».[٥٤] و ينبغى أن تكون تأكيدات الأئمة المعصومين عليهم السلام حول لزوم المناظرة المذهبية و العقائدية للخبراء و المختصين، و كسب الكفاءة و التجربة اللازمة، و الخبرة و التخصص و الاستعداد فى هذا المجال، مستوحى من هذه النظرة، و عبر هذه الرؤية المتقنة و المتكاملة، لتكون درساً و نهجاً و أسوة للجميع، و للباحثين و المفكرين تحديداً فى المجال العلمى.

و قد أكّد الامام الخمينى قدس سره كثيرا على أصل الاستقلال و عدم التبعية، و رسم سماحته

هذا الأصل، و اعتبره مسئولية و هدف لكافة الحكومات الاسلامية و المنتظرين الحقيقيين. و العدول عن هذا الأصل يعنى: هزيمة و فشل الاسلام، و الخيانة العظمى لقيمه و مبادئه السامية، فقال: «لقد كان شعارنا «لا شرقية، لا غربية» هو الشعار الأصولى و المبدئى للثورة الاسلامية، فى عالم ملىء بالاضطهاد و المجاعة و المحرومين. و قد تمّ رسم السياسات الحقيقية من قبل دول عدم الانحياز الاسلامية، و الحكومات و البلدان التى ستقبل فى المستقبل القريب و بعون الله الاسلام على أنه دين قادر على إنقاذ البشرية و تخليصها من معاناتها، و عدم العدول لحظة عن هذه السياسة.

إن على البلدان و الشعوب الاسلامية أن لا تكون أداة لتنفيذ مآرب الغرب و أوربا و أمريكا، و لا تبعاً و عملاء الى الشرق و الاتحاد السوفيتى السابق و روسيا، بل هى تبع و أداة لله و لرسوله صلى الله عليه و آله و ذريته الطاهرة أئمة الهدى عليهم السلام؛ و الامام المهدى عجل الله فرجه إمام العصر و الزمان عجل الله فرجه. فالمخالفة لهم و عدم الانصياع لأوامرهم و عدم الاستجابة و الطاعة لهم، أو عدم التسليم المطلق لسياسات الاسلام العالمية و مبادئه، يعدّ خيانة عظمى لأوامر الله تعالى، و لرسول الله صلى الله عليه و آله و أئمة الهدى عجل الله فرجه، و تنكّرا للقيم و المبادئ الاسلامية البتة، و نهايات لبلدنا و شعبنا، و لكلّ الشعوب و البلدان الاسلامية.

و لا يظن أحد أن هذا الشعار ذا طبيعة مرحلية أو موسمية، بل إن هذه السياسة من الثوابت الحقيقية، و الاستراتيجية الخالدة لشعبنا الإيرانى المسلم، و لجمهوريتنا الاسلامية، و لكل المسلمين فى أقصى بقاع العالم، لان شرط الدخول الى الطريق الحق و الصراط المستقيم، هو البراءة من أعداء الدين، و الابتعاد عن صراط المضلّين. و ينبغى على الحكومات الممهدة لدولة الظهور أن تطبّق الاسلام فى كافة الميادين، و المجتمعات الاسلامية».[55]

۴-مكافحة الفساد و إحياء الاخلاق الاسلامية:

إن من جملة النقائص التى ذكروها فى هذا الموضوع و لا يمكن إنكارها، هو وجود

الكثير من المفاسد و الانحرافات الدينية، و التفسخ الاخلاقى، و الشذوذ و الانحطاط الثقافى و الاجتماعى، و اتساع رقعة الفساد السياسى و الاقتصادى، و عدم التوجه للقضايا الاخلاقية و المعنوية، و اتساع الظلم، و سوء التوزيع و فقدان العدالة، و زيادة الشهوات و الميول الشيطانية و التمايلات النفسانية، و انتشار الخرافات و الجهل و التخلف، و الهروب من الدين.

إن كافة هذه النقائص و الانحرافات، نتجت عن عمل أتباع و عملاء الشيطان المخادعين، ممن تظاهروا فى أفعالهم بمظاهر التمدن و الأساليب الانسانية، بعد أن أقصيت القيم الاسلامية و الفضائل و المحاسن الاخلاقية، و تمّ تهميشها عن المجتمعات، و أخذ العالم يسير نحو الانحطاط و التفسخ و الهاوية و السقوط، و ابتعد كثيراً عن الكمال و السعادة الحقيقية و التكامل الانسانى و البشرى. و هذه الحالة تقف فى مواجهة هدف خلق الانسان تماماً، لان الهدف من خلقه: هو الرقىّ و الوصول الى الكمال الحقيقى، و السعادة الحقيقية ليتحقق مفهوم «العبادة» و «العبودية» و «الحركة الى الله» و القرب منه.

و قد رسم القرآن الكريم هذا الهدف للأجيال البشرية بقوله سبحانه: «و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون».[٥٦] و يستلزم الوصول الى هذا الهدف، نوعاً من التربية الأخلاقية و تنمية الفضائل و السجايا الحميدة، و المسارعة الى الخيرات و الأعمال الصالحة، و العبادة و العدالة و التقوى.

و قد دعا الانبياء و الرسل فى بعثتهم، و الإئمة فى وصاياهم عليهم السلام، الناس الى الفضائل و الصفات الحميدة، و الأخلاق النبيلة. فقد ذكرت الروايات و النصوص الاسلامية: أن من أهم أنشطة و إنجازات الحكومة المهدوية العالمية هو قيامها بإصلاح و تغيير أسس التعامل الاجتماعى، و الأقوال و الأفعال و الممارسات اللاخلاقية لدى الشعوب العالمية. و قد ركزت هذه التعاليم و القيم و المبادئ الاسلامية فى النظام السياسى الاسلامى على

الجوانب التربوية، و تعزيز الأجواءالايمانية و الروحية، و النمو و التعالى الاخلاقى و المعنوى لأفراد المجتمع.

إن إعداد و تحضير الآليات اللازمة فى الثقافة الاسلامية للوصول الى تحقيق هذا الهدف، و إزالة الموانع و العقبات، هو من وظائف و مسئوليات الحكومة و الدولة الاسلامية، لأن حصول هذا الأمر يتم عبر تحسين و إنعاش الوضع الاجتماعى.

أما البيئة الملوّثة و الفساد الاجتماعى، فانها أجواء لا تساعد على الوصول الى الكمال و القيم و المبادئ السامية.

و من جهة أخرى، تؤثر المعتقدات و أخلاق الأمة بصورة مباشرة على سلوكها و تعاملها الاجتماعى، فالاعتقاد بالتوحيد أو الشرك أو الفضائل و الرذائل الاخلاقية، يؤثر فى تعامل البشرية و ممارساتها.

و على الدولة الاسلامية: أن لا تغفل عن معرفة و دراسة الأوضاع الاجتماعية و معتقدات الأمة، و تتقبّل مسئوليات و وظائف تقوية و ترسيخ المبانى و الدعائم الاعتقادية و الأخلاقية فى أوساطها.

و عليها أن تهتم بالجوانب التربوية و الاخلاقية و المعنوية لها، و إصلاح الوسط الاجتماعى، و تطوير الخطط و البرامج التنموية و المشاريع الخاصة.

إن من خصائص عمل الحكومة الممهدة للظهور هو وضع الخطط و البرامج الصحيحة للمجتمعات العالمية فى كافة المجالات، و الحركة باتجاه النمو الاخلاقى و الفكرى، و التكامل المعنوى و التطور العلمى.

و على الحكومة الممهدة للظهور أيضاً إصلاح المعتقدات و تعامل الأمة ليتجه المجتمع بحركة تكاملية صحيحة نحو التعالى و التطور و الرفاه، لترفع موانع النمو و الكمال الانسانى.

و من هنا، شرّع الدين الاسلامى فريضة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و الحجاب، و التقوى، و تهذيب النفس، و إجراء الحدود و الديات، و أحكام القصاص، و منع انتشار الفحشاء و المنكر و الفساد فى المجتمعات، و انتشار كتب الضلال و الصحف و المجلات الخليعة و الإعلام المنحرف، و تطهير المجتمعات من النفاق الاخلاقى و السياسى، و حالات التلون و الدجل و الفساد، و ذلك فيما إذا طبقت الأحكام الالهية وحدها، و اتجهت المجتمعات من خلال توفير المناخ و الأجواء الروحية و النفسية المناسبة، للسير نحو السعادة و الكمال الانسانى.

و لا تتحقق هذه الأهداف و المنجزات إلا بقيام حكومة نزيهة و صالحة و فاعلة، تسعى جاهدة الى تمهيد شروط و مقدمات ظهور ولى العصر «عج».

٥-مقارعة الظلم و رفض المساومة:

إن المواجهة الصريحة والجادة و رفض المساومة مع الباطل، و مكافحة كل مظاهر الظلم المتمثل بالطواغيت و الأحبار و الرهبان، أو الجهل و التخلف و الغرور، هى من جملة أهداف و خصائص عمل الحكومة التى تخطو خطوات عملية لغرض استمرار أهداف الرسالة المحمدية و الولاية العلوية. فالاسلام يرفض كافة أشكال الظلم و التعدى حتى على الأعداء، و لا يراه جائزاً.

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:« و لقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة...المعاهدة فينتزع حجلها و قلبها و قلائدها و رعاثها.. فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان به عندى جديراً».[٥٧]

و قد عدّ الامام الحسين عليه السلام أصل عدم المساومة، و رفض الطاغوت، و مقارعة الظلم، من أهم أهداف ثورة عاشوراء الخالدة، فقال عليه السلام: «هيهات منّا الذلة».

و من أهم انجازات الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو طرد و إبعاد كافة أشكال الشرك و وجوه

الكفر فى المجالات السياسية و الاقتصادية و الثقافية و العالمية و غيرها، و إيجاد الفكر و الثقافة التوحيدية، و إخراج المجتمع من حالة قبول الظلم و الاستسلام و الاستعباد، و وجوب الخروج على الحاكم الجائر و الكافر، و مواجهة و تحدّى الاستكبار.

و على الدولة و الحكومة الاسلامية الممهدة للظهور، وضع أصل مقارعة الظلم و عدم المساومة و المهادنة مع الجبارين والمستكبرين، فى جدولة أعمالها و أولويات قراراتها، و ذلك من خلال تمهيدها لقبول حكومة الامام المهدىﷺ العالمية.

و عليها أن لا تتوانى عن بذل و تقديم أىّ جهد و تدبير حكيم فى تحدّى و مواجهة سلطة الغاصبين الأقوياء فى العالم.

و قد ظهر هذا النهج و أسلوب التحدى و المواجهة واضحاً فى آثار و سيرة الامام الخمينىﷺ فقد اعتقد سماحته فى هذه المرحلة: بأن مواجهة و تحدى حكومات الجور و الظلم المعاندة للاسلام هو تكليف و وظيفة إلهية. مؤكداً فى ذلك على ضرورة إزالة حكومات الجور و الفساد و الاستبداد، و اقتلاعها من جذورها قائلاً: «إن لم نكن قادرين، فان الرضا و التسليم بحكوماتهم- يعنى الحكومات الظالمة- و لو يوماً واحداً، بل و لو لساعة واحدة، هو رضا و استسلام و قبول للظلم!. فنحن كلنا مكلفون بتحدى و مواجهة هذا النمط من الحكومات و معارضتها، وأن أىّ أعذار و مبرّرات فى ذلك، فهى مرفوض تماماً».[٥٨]

و شرح سماحتهﷺ أهداف الدولة الممهدة للظهور فى موضع آخر فقال: «لو وصلت أيدينا و قدرنا على التغيير، فعلينا أن ننطلق جميعا لإزالة الظلم و الجور عن العالم، هذا هو تكليفنا الشرعى، فسنقطع بحول الله و إرادته دابر الظالمين و المتكبرين، و أيدى المعتدين و الغاصبين فى كافة البلدان الاسلامية و أقصى بقاع العالم، و سننهى بتصدير ثورتنا -الذى هو فى الحقيقة صدور للاسلام الواقعى و الحقيقى، و بيان للأحكام

المحمدية- سيطرة و تسلّط الظالمين المتآمرين المجرمين فى العالم، و نوطّئ الطريق بعون الله و قوته لظهور المنجى و المصلح العالمى، و نعدّ العدّة للامام المهدى عجل الله فرجه و حكومته المطلقة.[٥٩]

٦-توزيع و إيصال الخدمات الي الناس:

إن الاحتراز عن توسيع القدرة و النفوذ لمصالح شخصية و فردية، و الاهتمام بقضايا الأمة و حلّ مشاكلها، و بذل الجهود و المساعى الحثيثة لإزالتها و رفعها، هى من أهم أهداف الدول و الحكومات الاسلامية الممهدة للظهور، و ينبغى عليها أن لا تغفل عنها، لأهميتها.

و على المعنيين فى أمر الحكومة، فيما إذا استلموا السلطة و الحكم، العمل على خدمة المسلمين، و حل مشاكلهم و قضاياهم، و الاهتمام بأمورهم، و التركيز على رفع معاناتهم. فقد ركّز رسول الله صلى الله عليه وآله فى أداء حكومته، و كذلك أكّد الأئمة المعصومين عليهم السلام فى وصاياهم على هذا الأمر كثيراً، و حرصوا على تطبيقه بشدة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أصبح و لم يهتم بأمور المسلمين، فليس بمسلم».[٦٠]

و روى سعد بن قبيس الهمدانى: أن علياً عليه السلام وقف فى يوم قائض شديد الحر الى حائط، فسأله سعد: لماذا وقفت فى مثل هذا الوقت هنا؟ فقال عليه السلام: ما خرجت إلا لأعين مظلوماً، أو لأغيث ملهوفاً».[٦١]

إن توزيع و إيصال الخدمات العامة الى الأمة و إغاثتها هى مسألة حيوية و مهمة، تمتلك قيمة ذاتية بنفسها. فكما أن إغاثة المؤمن و قضاء حاجته لها قيمة و أهمية كبيرة فى الاسلام، فكذلك إغاثة غير المؤمن و تقديم العون و الدعم له، له معطيات و تداعيات كثيرة، و قيّمة أيضاً، و ذلك من باب أن:«الخلق عيال الله». فقد روى عن الامام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إن لله عباداً فى الأرض، يسعون فى حوائج الناس، هم الآمنون يوم

القيامة..».[٦٢]

و روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله، أو أدخل على أهل بيت سروراً، و مشى مع أخ مسلم فى حاجته».[٦٣]

إن توزيع الخدمات و إيصالها إلى الأمة، و السعى فى إصلاح عملها، هو من مسئوليات و وظائف الحكومة الاسلامية الممهدة للظهور، و تكاليف الأفراد فى المجتمعات الاسلامية أيضاً.

فعلى الجميع الاهتمام بهذا الأمر و الاحساس بالمسئولية، و عدم الغفلة أو التقصير فى ذلك، و على الأمة و المسئولين المعنيين فى الدولة الممهدة للظهور فى اقتدائها و تأسّيها بالمعصومين: أن يرى كل منهم مسئولاً أمام الآخر، و يسعى كل منهما بإخلاص من أجل إيصال الخدمات العامة دون خداع أو تضليل للشعب، أو المنّ عليهم.

إن بامكان هؤلاء عبر هذا الأسلوب الوحيد أن يكونوا قدوة و قادة، للتأسى بهم فى العالم، فإن تقريب أفكار شعوب العالم، و رغبتها فى الدين الاسلامى، و اتجاهها نحوه، لا يتم الا عبر هذا الطريق، و ارتضاء الحكومة العالمية للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٧-السعي لإرساء دعائم الوحدة و إيجاد الانسجام و التلاحم بين المسلمين:

لا ريب فى أن لمفهوم «الوحدة» دور إعجازى فى تطوير الاهداف و تنميتها، و مضاعفة القدرة و التسلط أيضاً.

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً».[٦٤] فلو صافح كل مسلم الآخر، و توحّدوا، و تحرّكوا صفّا واحداً و بانسجام فى كافة الأطراف و الاتجاهات حول محور الاسلام و ركنه المنيع، فسيكونون كالبحر المتلاطم الموّاج، و سيقفون متحدين للسهام المغرضة والمسمومة.

و لو استخدمت الحكومات الاسلامية كافة إمكاناتها، لتحقيق القيم و المبادئ

الاسلامية و تلك الاهداف، من خلال تشكيلها المؤتمرات الجادة، و التخطيط و البرمجة الدقيقة، فانها تتحرك باتجاه تحقيق أهداف الحكومة العالمية.

و إن توحدت الشعوب الاسلامية، و تناست خلافاتها الفرعية و الموسمية، و استعادت رصّ صفوفها و تلاحمها، وأصبحت كتلة عالمية واحدة و منسجمة، فستمهّد حينئذ لظهور المصلح العالمى فى آخر الزمان.

يعيش فى عصرنا اليوم أكثر من مليارد مسلم فى العالم، و لهم قدرة و نفوذ عظيم فى كثير من بلدان العالم. فلو اتحد هؤلاء المسلمون، فلا تقدر أى حكومة مستبدة و مستكبرة أن تستهين بهم، و تفرض هيمنتها عليهم دون رضاً منهم، أو تظلّ مستمرة على مواقفها المتعنتة، و إصرارها على تمرير خططها و مؤامراتها، و فرض دعاواها و مشاريعها التسلطية على الشعوب و استغلالها.

و على الدول و الحكومات الاسلامية التوحد و الانسجام، ليشكّلان هدفاً مهماً و مؤثراً لها فى الوصول الى ذلك، و قوة إسلامية عالمية عظمى، تمهّد لإمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف و تدعمه و تنصره.

ب) الاهداف الخاصة للدولة الممهّدة للظهور:

إن ما ذكرناه لحدّ الآن، هو عدد من الأهداف المهمة التى ينبغى على الحكومات و الدول الاسلامية فى طبيعة عملها الدعوة لها، و تبليغها الى الدين الاسلامى، و عرضها للقيم و المبادئ الاسلامية السامية و الراقية الى العالم، لتتأسى بها سائر الحكومات و الشعوب العالمية، فتتعرف على حقيقةالاسلام.

فلو بحثت فى تحقيق هذه الأهداف، فستؤدى الى اتساع نفوذ الاسلام فى العالم بشكل مباشر و متصاعد.

و قد أعدّ المطالبون بالعدل – و دعاة الحرية و السلام، و المناهضين للظلم – العدّة،

ليكون العالم فى حال ترقب لظهور الإمام المهدىﷺ و استقبال ثورته المجيدة، و من ثم قبولها.

و بعبارة أخرى: لو شاهدت الشعوب و الحكومات المتحررة فى العالم، تطبيق و أداء البلدان و الحكومات الاسلامية، بإحياء القيم و المبادئ الاسلامية للدين الاسلامى الحنيف، فستنهج نفس الأسلوب، و تتفهم أحقية الاسلام، و بطلان المذاهب المادية و المناهج الأخرى، و تتشوق الى تحقيق الحكومة العالمية التى وعد الاسلام بتطبيقها.

لكن على الحكومات و الدول الاسلامية أن تتابع أهداف أخرى لها فى مسألة التمهيد للظهور.أى الاهداف التى لا تتسم بطابع التأسى و الاقتداء فى حكومة العدل الالهى العالمى، بل يكون تحقيقها من لوازم التمهيد المباشر للظهور، و الاستعداد التام لنصرة الامام المهدىﷺ و تلك هى:

١-ضرورة معرفة الفكر المهدوى، و حفظ و نشر هذا المنهج من الناحية الاعتقادية و العملية فى عصر الظهور، لأن الأمة التى تمتلك اعتقاداً صحيحاً و معرفة واضحة و راسخة، قادرة على تشخيص الحق من الباطل، و لا يعتريها الشك و الترديد فى ذلك أبداً.و ستبادر فى عصر الظهور الى التصديق و التأييد للامام المهدىﷺ و دعمه و نصرته.

إن الأكثرية الساحقة من شعوب العالم المعاصر، تنظر الى مسألة المهدوية نظرة سطحية و هامشية و غير مدروسة، و لها توجهات و اهتمامات أقل بالنسبة للمقولات المعرفتية و المعلوماتية فى ما يخص عصر الظهور، فالاحتفالات التى تقام فى النصف من شعبان سنوياً هى شاهد واضح على صدق هذا الادعاء، حيث يتم فى هذه المناسبة الاحتفال و الابتهاج الشعبى بولادة الامام المهدىﷺ فى إيران، فتزين لأجلهﷺ كافة المدن و الشوارع و الأزقة العامة، و كل المعابر و الطرقات، و تلقى الكلمات و المدائح

فى المساجد و تقام المؤتمرات و منتديات الشعر بهذه المناسبة، و يرجح عامة الناس استماع الخطب و الكلمات و قصائد الشعر و المديح و الثناء التى تتلى فى ذكرى الامام المهدىعجل‌الله‌فرجه و ولادته الشريفة، و التعريف به و بحكومته العالمية، و فهم فلسفة الانتظار، و تعجيل الفرج، و ما تتضمن ثورته المباركة من شعارات و أطروحات عملية تصب فى الصالح العام.

إن الاحتفال الظاهرى بهذا الشكل و المحتوى جيد و مستساغ، و قد دعا اليه الاسلام، فلا بأس به بهذه الصورة، و لكن ينبغى أن يكون الى جانبه أنوار معرفة و إلمام تام بصاحب هذه الذكرى تخليداً له، و كسب و تحصيل المعارف والعلوم و الفهم الصحيح لقائد المسيرة و الثورة الاسلامية العالمية الكبرى عبر التاريخ.

قال رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله: «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية »[٦٥]

و لاشك فى أن المعرفة المذكورة فى الرواية، و التى دعا لها رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله و أوجبها، هى ليست المعرفة السطحية الهامشية! أو معرفة اسم الامام المهدىعجل‌الله‌فرجه و نسبه!، بل المعرفة الحقة لولاية الامامعليه‌السلام فى كافة الجوانب و الشؤون، كمعرفة الولاية التكوينية و التشريعية، و مقام خليفة الله، و الولاية الالهية المطلقة، و القيادة السياسية، و صدور الأحكام و القضاء، و المرجعية العلمية و الدينية و غيرها من الأمور. و من ثم معرفة سيرة الامام المهدىعجل‌الله‌فرجه و الصفات و الخصائص التى تتمثل فى شخصيته المباركة، و مرتبته الرفيعة فى المنظومة الوجودية و الكونية، و متابعة أعماله و تطبيقها.

روى عن الامام الباقرعليه‌السلام أنه قال: «أما لو أن رجلاً قام ليله، و صام نهاره، و تصدق بجميع ماله، و حج جميع دهره، و لم يعرف ولاية ولى الله، فيواليه، و يكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز و جل حق فى ثوابه، و لا كان من أهل الايمان».[٦٦]

فهذه هى المعارف التى تعطّشت لها البشرية عبر التاريخ، و ضاعفت فى اشتياقها لظهور

الامام المهدی عجل الله تعالى فرجه الشريف.

كما أنها بحاجة الى الامام عليه السلام فی كافة وجودها، فهی تسعى لهذا الفهم: و هو تحدی الشبهات التی يثيرها الملحدون، و الوقوف بوجه الاعمال و الممارسات الاجرامية واللاأخلاقية، و القيم و المبادئ اللادينية.

و لا يخفى أن من دلائل غيبة الامام المهدی عليه السلام هی: عدم معرفة الأمة بالامام عليه السلام، و جهلها بحقيقته، فلم تعرف الأمة قدره عليه السلام فی زمان حضوره و تواجده، و لم تستفد من هدايته، فأخفى الله تعالى آخر حجته عنهم. فكما أن عدم المعرفة كانت سبباً فی غيبته، فكسب و تحصيل المعرفة الصحيحة، و العمل الصالح سيكون سبباً فی الظهور أيضاً.[٦٧]

و سيعرض سبحانه و تعالى هذا المنجی الموعود و الدرة الالهية المكنونة على المجتمعات البشرية فی آخر الزمان، و قد امتلأت قلوب منتظريه بالمطالبات و الأمانی الحقيقية.

خرج توقيع من الناحية المقدسة الى الشيخ المفيد جاء فيه:« و لو كان أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب فی الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، و لتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا، على حق المعرفة، و صدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم، إلا ما يتصل بنا مما نكره، و لا نؤثره منهم».[٦٨]

إن من مسئوليات الدولة الاسلامية هو إحياء و نشر الثقافة المهدوية الصحيحة فی المحافل العلمية و إقامة المنتديات العالمية و العروض فی الداخل و الخارج للتعريف بالامام المهدی عجل الله تعالى فرجه الشريف.و على أجهزة و وسائل الاعلام الحكومية و دور النشر و الصحافة المؤثرة القيام بمهامها فی تغطية هذا الحدث الالهی المهم، و تزريق المعارف المهدوية فی المجتمع، و إصلاح المعتقدات البدائية و المنحرفة حول الامام المهدی عجل الله تعالى فرجه الشريف فی أوساط الأمة، و رفع و استخلاص الشبهات.

و على الحكومة أن تقوم بهذه الانشطة و الاقدامات المؤثرة فى نشر الفكر المهدوى، باتخاذها الأساليب التالية:

- إقامة دورات تخصصية مهدوية فى سطوح تعليمية مختلفة.
- الدعم المالى للمؤسسات الثقافية المهدوية. و التكفل بها، و تغطية كافة أنشطتها.
- فتح قنوات مهدوية (على الصعيد الداخلى و العالمى).
- حماية و دعم المبلغين و الدعاة فى العمل المهدوى (على الصعيد الداخلى و العالمى).
- تزريق المعارف المهدوية الى المجتمع عبر وسائل الاعلام و الاجهزة الحكومية.
- إقامة مؤتمرات (داخلية و عالمية)، و دعم الدولة الخاص لها، و متابعة أعمالها.

و على الحكومة الاسلامية بذل الجهود الحثيثة و المكثفة عبر هذه الاساليب المذكورة و أساليب أخرى، لاستئصال جذور الاستضعاف الفكرى و المعرفى على الصعيد العالمى، و نشر و توسيع هذا الاعتقاد بين المسلمين فى كافة أرجاء العالم، و التمهيد المعرفى و الفكرى و النفسى، ليكون عاملاً مساعداً و علامة من علامات ظهور الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف

٢- تربية الكوادر و الكفاءات اللازمة:

إن هناك ضرورة و حاجة ملحة الى وجود الانصار فى الحركة الاصلاحية، و التعرف على برامج و أهداف تلك الحركة، و الاعتقاد بها، لكى لا يحصل تقاعس و إحباط عن نصرة قائد هذه الحركة الكبرى العالمية أو التخلف عنه.

فلا يمكن الحركة والعمل دون مناصر منتظر أو معين ! وإن كان القائد على أهبة الاستعداد!.

إن الحاجة الى المناصرين و المؤيدين للثورات الاسلامية عبر التاريخ الاسلامى، هو شاهد واضح على أهمية هذا الحدث الالهى العالمى و الانجاز الكبير. فعندما أمر الله

سبحانه نبيه ﷺ ليعلن عن دعوته جهاراً، أمره بدعوة عشيرته و أقربائه و هم من وجوه القوم و رؤساؤهم، فأبلغهم دعوته و رسالته، قائلاً لهم: «أيكم يؤازرني على هذا الأمر..».

و نتساءل هنا: لماذا أصبح علي عليه السلام قعيد البيت، و عزل نفسه عن السياسة و المجتمع بعد وفاة رسول الله ﷺ؟ رغم بطولاته و تضحياته في إعلاء كلمة الاسلام، و وصفه بالشجاعة التي شهد له بها الاعداء، و الفضل ما شهدت به الاعداء؟!.

و لماذا قبل الامام الحسن المجتبى عليه السلام الصلح مع معاوية، و فرض عليه قبول ذلك؟!

و كم من العبر و المواعظ في في كلام زينب عليها السلام ليلة عاشوراء، و قد خاطبت أخيها الحسين عليه السلام قائلة له: أخي حسين! هل استعلمت أصحابكم نيّاتهم؟ لكي لا يسلموك عند الوثبة؟!

إن نظرة خاطفة و سريعة الى التاريخ، تجعلنا نلمّ و نتعرف فيها جيداً على دور و منزلة ظاهرة «الأنصار» في الحركات التحررية و الثورات العالمية.

فلماذا حصلت الغيبة؟!. فلو لم تتخل الأمة عن دورها الحقيقي في نصرة أهل البيت عليهم السلام، و لم يتخلف الناس عن ركب الأئمة المعصومين عليهم السلام، أو يتركوهم لوحدهم، فهل تحصل الغيبة أيضاً ؟!.

فكما أن عدم المسايرة و المتابعة سبب في الغيبة، فان المسايرة و المتابعة سبب في الظهور أيضاً.[٦٩]

إن من أهم شروط ظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو وجود الأعوان و الأنصار الأقوياء الأوفياء و الأكفاء، الذين لا يخافون في الله لومة لائم، و يمتلكون استعداد و قابليات عالية في البعد الجسدى، والروحى، و الفكرى، و المعنوى، لتحمّل أعباء المسؤولية، و الكفاح و الجهاد، و التصدى و المواجهة، في كافة الأصعدة، و من خلال التحولات

العالمية، و الغلبة على أعدائهم. و من ليس لهم هذا الاستعداد و التهيوء، فانهم يتركون الساحة بأقل الضغوط من جهات و أطراف عالمية أخرى، فيتركون إمامهم عليه السلام وحيداً فى ساحة الصراع و المواجهة و التحدى.

إن تدارك القوى الكفوءة التى تمتلك إعداداً و استعداداً و تجهيزاً عالياً يتناسب مع عظمة الحركة المستمرة للامام المهدى عجل الله فرجه و ثورته العالمية الكبرى، هى ضرورة و حاجة ملحة فرضتها طبيعة المرحلة و الظروف السياسية القائمة، التى لا يمكن تجاوزها و عبورها بسهولة.

و على الدولة الممهدة للثورة العالمية القيام بأدوار و أنشطة عالمية واسعة فى تربية الكوادر و القوى التى تعتمد عليها فى حركتها.

و تتصف هذه القوى بقدرات إيمانية و نفسية، و لياقة بدنية، و إعداد و تنظيم عسكرى، و ثقافة علمية ونبوغ فكرى، و اختصاصات عالية، و قد مارست فى هذا النهج اختبارات صعبة، و مجاهدات عملية شاقّة، و تعليمات أخلاقية و اجتماعية، و ظهرت من طبيعة هذه المرحلة قيادات سياسية مثالية، لتكون على أهبة الاستعداد لأى عمل طارئ، و يكون لها القدرة على المشاركة فى الثورة العالمية الكبرى و الفريدة للامام المهدى عليه السلام.

و تتصف هذه الكوادر أيضاً من خلال تفهمها الناضج، و أسلوبها الواضح، و استيعابها للأحداث، و بلوغها و نموها الفكرى و الروحى: أنه لا يمكن إزالة و رفع المعاناة و المشاكل الكبرى فى العالم البشرى، و الظلم و الجور بسهولة و بدون عناء، بل ينبغى التضحية بالغالى و الرخيص، و بذل أقصى الجهود، و تحمل المشاق و الصعاب و الآلام فى طريق ذات الشوكة.

و عندها ستصدّق هذه الكوادر:أن انتصار ثورة هذا المنجى و المخلص العالمى، لا

تحصل بسهولة دون تضحية و قتال، و إراقة الدماء، و لا يتيسر الأمن و الاستقرار و تحصيل النعم إلا عبر هذا الطريق.

إن على الشيعة فى ظل هذه الجهود و الخطط و البرامج التى تقوم بها الدول و الحكومات الاسلامية الممهدة للظهور، الحركة الدؤوبة و المستمرة للوصول الى مرحلة البلوغ، و القدرة على نصرة الامام عليه السلام فى إدارة المجتمعات العالمية، و القابلية على تغيير العقائد و الثقافات، و القيم و المبادئ المحلية، و و استبدالها بقيم و مبادئ إسلامية، و التبعية لها، لان الاسلام الذى يعرضه الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف مجهول للأمة، و بعيد عن تصوراتها، و هو يختلف تماماً عما اشتهر و عمّ فى أوساطها.

و من هذا المنطلق، فان من أهم و أكبر مسئوليات الحكومات الشيعية فى عصر الغيبة، هو التمهيد للظهور عبر تربيتها للكوادر الانسانية، التى تنسجم و تتلائم مع مسئوليات حكومة العدل العالمى للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إن هذا الاستعداد و تربية الكوادر، ينبغى أن يكون بصورة فاعلة و حيّة فى المجتمع الاسلامى، و تسرية و تصدير هذا الأداء المدبّر و الحكيم من قبل الحكومات الشيعية الى المجتمعات الاسلامية الأخرى أيضاً.

و نشيد هنا بدور العلماء و المفكرين و النخب و الكتل السياسية الواعية و الملتزمة فى العالم السنّى و العالم الشيعى تحديداً، حيث ألقى على عاتقهم أعباء و مسئوليات خطيرة فى هذه المرحلة، فعليهم مضاعفة الجهود على الصعيد العالمى أيضاً.

٣- مواجهة التبليغات السلبية المغرضة و اليائسة من قبل الاعداء و إحباطها:

يمكن القول بشجاعة: أن الاعتقاد بالمهدى الاسلامى و الشيعى الموعود معرّض اليوم الى تهديدات، و محفوف بالمخاطر أكثر من أى زمن آخر، أى: تهديدات الاعداء العقلاء، و أضرار الأصدقاء الجهلاء. فمن خلال مشاهداتنا لحجم الكتب فى المطبوعة و المنشورة

فى السنوات الأخيرة فى الردّ على المعتقدات الشيعية، و تحديداً على موضوع المهدوية و الانتظار، و دور أجهزة المخابرات الصهيونية العالمية التى تدعمها قوى الاستكبار، كأمريكا و بريطانيا و الكيان الصهيونى، فقد أقدمت هذه الأجهزة العميلة على نشر هذه الكتب، و نشط عمل الصحافة و دور الإعلام بشكل واسع و مكثّف فى كافة أرجاء العالم. و كان الهدف من نشر و بثّ هذا الحجم الهائل و الأعداد الكبيرة من الافلام الدعائية و الأفلام السينمائية المنتجة فى العقدين أو الثلاثة عقود الأخيرة فى العالم، هو نشر و ترويج فكرة آخر الزمان المسيحى اليهودى، و تقبيح فكرة آخر الزمان، و الاعتقاد بالموعود الاسلامى.

و لو شاهدنا حجم و أعداد الكتب المتدنية و الفاقدة للمحتوى العلمى، و على مستوى العوام، المبتنية على معتقدات ضعيفة و خرافية، و التى كتبت فى بلدنا فى السنوات الاخيرة حول فكرة المهدوية، و شاهدنا الأعداد المتزايدة للمجالس و المحافل الاكاديمية و غيرها، التى تعقد بين آونة و أخري باسم الامام المهدىﷺ فى أطراف مترامية من هذه البلاد أيضاً، فبدل تنمية و بثّ روح الأمل، و الحيوية و النشاط، و الكفاح و السعى، فى قلب الشباب فى هذه البلاد، و الارتقاء بمستوى المسؤولية و المعرفة، وأخذ الحيطة و الحذر، و التهيؤ و الإعداد و الاستعداد للظهور، فانها تزرع بذور الشقاق و اليأس و القنوط، و العزلة و الرهبانية، و عدم الشعور بالمسئولية، والغفلة، و الضعف و الوهن و الارتخاء فى قلوبهم.

و لو أردنا أن نرفع رؤوسنا قليلا الى الأعلى لدرأ الشبهات عنا، و الإجابة عن التساؤلات التى تنشر فى كل زاوية من زوايا مجتمعنا الاسلامى حول الامام المهدىﷺ فسنرفض كافة الادعاءات و الأقاويل التى أثيرت حول هذا الموضوع. فإن كل ما قيل هو عار عن الصحة تماماً، و لا أساس له على الاطلاق.

إن يتامى آل محمدﷺ هم أكثر حاجة اليوم من أى زمان آخر الى قيادة علماء الدين و مفكريهم، و على رأسهم دولة الامام المهدىﷺ.

إن من أهم مسئوولیات و وظائف الحكومات الاسلامية فى الظرف الراهن، و علماء الدين كذلك، هى:

١- تأليف و تدوين الكتب و النشريات، و استخدام المصادر الشيعية الأصلية المتقنة، و المعارف المهدوية، بعيداً عن الأوهام و الشكوك و الالتواء، و وضعها فى متناول جماعات مؤثرة و مفيدة، بسنين و أعمار مختلفة تضم أعمار «الاطفال البراعم، و الأحداث، و سنين الفتوة و ريعان الشباب، و كبار السن »و شرائح اجتماعية مختلفة تضم طبقات «المثقفين الواعين، و العلماء، و الباحثين و المفكرين، و الموظفين، و العمال، و الفلاحين، و الشريحة النسوية، و ربّات البيوت، و..»، و تعريف كل من هذه المجاميع و الأصناف الشعبية بوظائفهم و مسئولياتهم تجاه إمام العصر والزمانﷺ.

٢- نشر الكتب و الآثار التى تستعرض شبهات وأسئلة فى قسم البحوث و الدارسات المهدوية، و رفع الابهامات و الغموض الذى طرأ و يطرأ فى خصوص فكرة المنجى و المخلص العالمى، و إجابة الشيعة بصورة عالمة و واعية عن تلك الاستفسارات و الغموض و الابهام، متناسبة مع ذهن المخاطب، و لغة الأجيال المعاصرة.

٣- رصد المواقع الانترنيتية و الالكترونية الدائم، و القنوات الفضائية، و المطبوعات، و الكتب الأجنبية، و تحضير الإجابات المناسبة على الشبهات المعروضة.

٤-نشر الكتب و النشريات التى تتناول المعارف و المفاهيم و الاطروحات المهدوية، و تعريبها و ترجمتها بلغات أجنبية معاصرة، و وضعها فى متناول الراغبين لهذه المعارف فى كافة أرجاء العالم.

٥- مواجهة الانحرافات و البدع، و الاعوجاج و سوء الفهم، و حالات الافراط و

التفريط، فى مجال البحوث و الدراسات المهدوية التى شاعت و انتشرت فى مجتمعاتنا الاسلامية.

٦- معرفة سبق الأحداث، و المواجهة و التصدّى الجاد لكافة المجريات السياسية و الثقافية المشبوهة، و ذلك فى عروض:الكتاب، المنشورات، و الاجهزة والبرامج الكامپيوترية، و مواقع المعلومات الانترنيتية و الالكترونية، و.. التى تواجه فكرة الموعود الشيعى.

٧- نقد و تحليل آراء المفكرين الغربيين حول عالم المستقبل و مستقبل العالم.[٧٠]

إن تحقق هذه الانجازات و المجاهدات فى المجال العلمى و الثقافى، و مواجهة أصحاب الشبهات، لا يختص برجال الدين وحدهم، أو الدعاة المبلغين، و الأساتذة، و المسئولين العاملين و المعنيين فى القطاع الثقافى الحكومى، و الدولة الاسلامية فحسب، بل على الأمة أيضاً أن تتسلح بسلاح العلم و المعرفة و المنطق الصحيح، عبر جهود المعنيين فى القطاع الثقافى فى البلاد، و الاسراع فى مواجهة حزب الشيطان.

و على الدولة و الحكومة الاسلامية أن لا تكتفى بالحركات المعتدلة، و الأنشطة و الفعاليات الهامشية و الجانبية و المقطعية، فى مواجهة الهجمة الشرسة المتمثلة فى أمواج الضلال و الفساد و الانحراف، حتى لا يصاب المجتمع المنتظر بحالات من الاكتئاب و العزلة، و الاضطراب و التشكيك، أمام التبليغات المسمومة و الممارسات المخادعة و المضللة، و المؤامرات التى تحاك من قبل الاعداء و الأصدقاء الجهلاء، بل عليها أن تساهم من خلال الجهود المستمرة و الحثيثة المظنية: فى إيجاد حالات عالية من الاستعداد و التهيؤ التام لاستقبال رسول العدالة المرهفة، و أسوة التقوى، الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف

٤- الإعداد العسكري و الدفاعي:

أكّدت التعاليم الدينية و المبانى الاعتقادية على ضرورة الاعداد العسكرى و الدفاعى فى مواجهة تهديدات الأعداء، و دفع شرّهم و كيدهم الى نحورهم. و قد صرّح بذلك فى

القرآن الكريم، فقال سبحانه و تعالى: «و أعدوا لهم ما استعطتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم».[٧١]

إن هذه المبادئ و التعاليم السامية هى عامة للجميع، و تضم كافة العصور و الأزمنة، و لا تختص بطائفة أو فئة و شريحة معينة، و لا كيان أو تيار سياسى محدّد، و لا عصر من العصور.

و لكن أهمية و حساسية عصر الغيبة، و لزوم الإعداد و التحضير أكثر فى هذا العصر، سيكون له غاية الأهمية، و قد ورد التأكيد على ذلك فى أقوال المعصومين عليهم السلام، و وصاياهم و سيرتهم العملية المشرقة.

روى عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «ليعدّن أحدكم لخروج القائم عجل الله فرجه و لو سهماً، فان الله تعالى إذا علم ذلك من نيته، رجوت أن يُنسأ فى عمره حتى يدركه [فيكون من أعوانه و أنصاره].[٧٢]

و قد صرحت الأخبار و النصوص الاسلامية: أن الامام المهدى عجل الله فرجه يقيم الحجة على البشرية فى كل العالم، ثم يعلن عن حربه الدموية المصيرية و الاستنزافية الكبرى ضد الأعداء و المعاندين، و استعانته بأنصاره و أعوانه فى هذه المواجهة، فيستعدون لهذه المنازلة الكبرى، و يجاهدون أعداءه ببسالة و شجاعة.

إن إلقاء الانسان نظرة فى التاريخ الشيعى، سيجعله يغور فى عمق اعتقاد الأمة حول موضوع الظهور، و الإعداد الدائم و الخالد له تحقيقاً لهذه الأهداف.

كتب ابن بطوطة فى مذاكراته عن رحلته حول العالم فقال:«يقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب، و قد قدموا مركباً مسرجاً ملجماً، و بأيديهم السيوف و الخيول و ينادون: اخرج الينا يا مولانا يا إمام، فان الناس منتظرون، و الخلق حائرون، و الظلم عام، و الحق مفقود، فاخرج الينا، فتقرب الرحمة من الله فى آثارك، ثم

يقولون بسم الله ثلاث مرات، فيهتفون باسمه، و هم على ذلك لهذا العهد بجهازه و حليته، ينادون بأصوات متوسطة، و يكررون ذلك الى أن تبدوا النجوم ثم ينصرفون الى الليلة القابلة هكذا دأبهم ».[٧٣]

أما كيفية هذا الإعداد و التهيؤ للظهور، فهو مرهون باقتضاء الزمان و المكان، فالروايات و النصوص و إن تحدثت حول إعداد الخيول و السيوف لظهور ولى الأمرﷺ و ذكرت له فضائل و سجايا كثيرة، إلا أنها لا تعنى أن لهذه الأمر ماهية و طبيعة موضوعية، بل إن الدقة وإمعان النظر فيها قليلاً يوضّح:أن ذكر هذه الموارد هى على سبيل المثال لا سبيل الحصر، و هو بيان للزوم الإعداد العسكرى و الدفاعى لنصرة آخر حجة الحق فى الأرض.

و على الشيعة فى هذا العصر تعلّم فنون التدريب و التسلّح بأحدث الأجهزة العسكرية و الدفاعية المتناسبة مع تكنولوجيا العصر، و الاستعداد للمنازلة الكبرى مع أعداء قائم آل محمدﷺ

إن من أهم وظائف و مسؤوليات الحكومة الاسلامية، و القوى المسلحة فى البلاد، هى: أن تكون فى أتم استعداد أمنى و عسكرى، للاستعانة بها فى النفير العام فى أى لحظة ممكنة بفضل الله و قوته، و إرادته بتعجيل الفرج، و ظهور المنجى و المخلص للعالم البشرى، لتقوم بمسؤولياتها و وظائفها، و دعمها لهعليه السلام بأتمّ الوجوه و أكملها.[٧٤]

النتائج:

اتضح لنا مما سبق: أن التعاليم الدينية و القيم و المبادئ الاسلامية ذكرت أن الهدف الغائى و الاخير من خلق الانسان هو الوصول الى العبودية و التقرّب الى الله، و أن الطريق الوحيد هنا: إظهار آخر حجة للحق، و التبعية له، و تطبيق أوامره و إرشاداته و هدايته.

و ليس عنصر النجاة و الانقاذ فى ظل ظهوره عليه السلام خاص بالدين الاسلامى، بل إن كافة الشعوب المتحررة فى العالم هى فى انتظار و شوق و لهفة لمجىء هذا المنجى و المخلص العالمى، إلا أن ظهوره عجل الله فرجه يتطلب إعداداً و تهيّؤاً و استعداداً عالمياً، كما أن عدم الإعداد و التهيؤ و الاستعداد سيكون سبباً فى غيبته عجل الله فرجه. فاذا لم يكن لهذا الاستعداد و التهيّؤ مفهوم و حقيقة، فسوف لن يخرج الامام عجل الله فرجه من وراء حجاب الغيبة أبداً، إلا أن يشاء الله.

أن هذا التهيّؤ و الإعداد و الاستعداد هو بحاجة الى التمهيد و التحضير و التوطئة، فعلى كافة منتظرى الظهور، المساهمة و المشاركة فى هذا النوع من التمهيد و الإعداد.

و على الحكومات و الدول الاسلامية الممهدة للظهور دوراً مهماً و خطيراً فى هذه المرحلة. فعليها أن تخطو خطوات بعيدة المدى و مؤثرة للإعداد و التهيّؤ العالمى، عبر عرض البرامج و المشاريع الصحيحة و الهادفة.

و يلزم على الدول و الحكومات الاسلامية الممهدة للظهور متابعة هذه الأهداف فى جهتين:

الأهداف العامة.

الأهداف الخاصة.

أما الأهداف العامة، فهى موازية لأهداف الحكومات النبوية و العلوية.

و على كافة الحكومات و الدول الاسلامية، أن تكون نموذجاً فى التجربة الناجحة للحكومة المهدوية و لو نسبياً، و عليها أن تعرّف العالم على خصائص النظام المهدوى، و تعدّ العالم إعداداً قوياً لقبول حكومة الامام المهدى عجل الله فرجه.

و من أهم هذه الأهداف:

١. السعى لاقامة العدل و الأمن.

٢. القدرة و عدم التبعية.

٣. مكافحة الفساد.

٤. إحياء القيم و المبادئ الأخلاقية الاسلامية.

٥. مقارعة الظلم و عدم المساومة.

٦. توزيع و إيصال الخدمات الى الأمة.

٧. الدعوة الى الوحدة و الانسجام بين شرائح المجتمع و فصائله.

أما الاهداف الخاصة:

فهى عبارة عن أهداف الحكومات الاسلامية و الدول الممهدة للظهور، فعليها أن تبذل أنشطة مكثفة و جهود مضاعفة و شاملة للوصول الى هذه الاهداف و تحقيقها، و التهيؤ و الاستعداد الخاص و اللازم لنصرة حكومة الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

و من أهم أهداف و عناوين المعرفة المهدوية:

١. تربية الكوادر الكفوءة.

٢. تحدى و مواجهة التبليغات و الثقافات الدخيلة السلبية المسمومة، والهجمة الشرسة و المغرضة للأعداء، و الاعداد العسكرى لها.

الهوامش

١. رحيم كارگر، مستقبل العالم (الدولة و الساسة فى الفكر المهدوى)، ص٨٧، الطبعةالأولى: دار نشر المؤسسة الثقافية للامام المهدى عليه السلام قم ١٣٨٣ ش.

٢. المصدر السابق نفسه.

٣. نيراجاندوك، المجتمع المدنى و الدولة، ص٦٢، ترجمة فريدون الكاظمى و وحيد بزرجى، نشر المركز، طهران ١٣٧٧ ش.

٤. السيد جواد طاهائى، فكر دولة الحداثة، ص٢٥، الطبعة الأولى: انتشارات عروج، طهران ١٣٨١ ش.

٥. عبدالحميد أبو الحمد، المبانى السياسية، ص١٤١، الطبعة العاشرة: انتشارات طوس، طهران ١٣٨٤ ش.

٦. سورة النور، الآية ٥٥.

٧. اقتباس من بيانات آية الله مصباح يزدى، المجلة الخبرية فى تقريرها الصادر عن المؤتمر العالمى للنظريةالمهدوية العالمية، (المستقبل المضىء)، ش ٦، اسفند ٨٦، ص٩.

٨. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٩. سورة القصص، الآية ٥.

١٠. العلامة المجلسى، بحار الانوار، ج ٥١، ص٨٧، الطبعة الثانية: انتشارات مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ ق.

١١. المصدر السابق نفسه، ج٥٢، ص٢٣٨.

١٢. المصدر السابق نفسه، ص٢٢٣.

١٣. صحيفة النور(مجموعة إرشادات الامام الخمينى ﷺ)، ج ٢٠، ص١٩٦-١٩٧، الطبعة الأولى: انتشارات تنظيم وثائق و أسناد ثقافة الثورة الاسلامية، طهران ١٣٦٩ ش.

١٤. المصدر السابق نفسه، ج٧، ص٢٥٥.

١٥. المصدر السابق نفسه، ج١٩، ص٣.

١٦. سورة النحل، الآية ٩٠.

١٧. الراغب الأصفهانى، مفردات ألفاظ القرآن، تحت عنوان «عدل».

١٨. ابن منظور، لسان العرب، تحت عنوان «عدل».

١٩. الشيخ الطوسى، المبسوط فى فقه الإمامية، تصحيح و تعليق محمد باقر البهبودى، ج٨، ص٢١٧، انتشارات المكتبة المرتضوية.

٢٠. محمد حسين الطباطبائي، الميزان فى تفسير القرآن، ج١، ص٣٧١، الطبعة الثالثة: انتشارات مؤسسة الاعلمى للمطبوعات، بيروت ١٣٩٣ ق.

٢١. نهج البلاغة، الحكمة ٤٣٧.

٢٢. سورةالحجر، الآية ٣٩.

٢٣. نجف لك زائى، مقال تحت عنوان «العدالة المهدوية استمرار لرسالات الأنبياء» مجموعة حوارات فى المهدوية؛ الحوار السادس، ص٨٢-٨٤، الطبعة الأولى: باهتمام مؤسسة البحوث و الدراسات المختصة فى انتظار النور، نشر المكتب الاعلامى الإسلامى، قم ١٣٨٥ ش.

٢٤. على بن عيسى الأربلى، كشف الغمة فى معرفة الائمة، ج٢، ص٤٧٦، انتشارات مكتبة بنى هاشمى، تبريز ١٣٨١ قمرى.

٢٥. صحيفة النور، ج٢٠، ص١٩٨-١٩٩.

٢٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

٢٧. مواضيع و بحوث هذا القسم موجزة عن: إبراهيم شفيعى السروستانى، معرفة إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف و تكاليف المنتظرين، ص٣٠٣-٣٠٥، الطبعة الاولى: انتشارات موعود العصر، طهران.

٢٨. بحارالانوار، ج٧٥، ص٢٥١.

٢٩. السيد جواد الورعى، حقوق و وظائف المواطنين، ص٤٤١، الطبعة الاولى: انتشارات أمانة مجلس خبراء القيادة، قم، ١٣٨١ ش.

٣٠. سورة الشورى، الآية ٣٨.

٣١. سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٣٢. سورة النساء، الآية ٥٩.

٣٣. نهج البلاغة، الخطبة ٣٤.

٣٤. سورة ص، الآية ٢٦.

٣٥. سورة النساء، الآية ٥٨.

٣٦. حديث الولاية، مجموعة إرشادات سماحة ولى أمر المسلمين الإمام الخامنئى(دام ظله)، ج٧، ص١٧٥، الطبعة الاولى: إخراج و تنفيذ و تنظيم مكتب سماحة ولى أمر المسلمين الإمام الخامنئى(دام ظله)، انتشارات منظمة الاعلام الاسلامى، طهران ١٣٧٦ ش.

٣٧. سورة الحديد، الآية ٢٥.

٣٨. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، تحقيق على أكبر غفاري، ص٦٠- ٦١، الطبعة الثانية: انتشارات دارالكتب الاسلامية.

٣٩. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦.

٤٠. إسماعيل برور، مركز معلومات العدالة، ص١٢٦، الطبعة الاولى: انتشارات مكتب الاعلام الاسلامي، قم ١٣٨٢ ش.

٤١. نهج البلاغة، الخطبة ١٣١.

٤٢. ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، تصحيح و تعليق على أكبر غفاري، ص٤٣٨، الطبعة الثانية: مؤسسة النشر الاسلامي، قم ١٤٠٤ ق.

٤٣. بحار الانوار، ج ٢١، ص١٢٥.

٤٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٤٥. موسوعة كلمات الامام الحسين عليه السلام، ص٣٣١-٣٣٢، الطبعة الاولى: معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام انتشارات دارالمعروف، قم ١٤١٥ ق.

٤٦. سورة الرعد، الآية ١١.

٤٧. سورة محمد صلى الله عليه و آله و سلم: الآية ٧.

٤٨. سورة النساء، الآية ٧٥.

٤٩. مواضيع هذا القسم مواضيع و قبسات من كتاب: حقوق و وظائف المواطنين، ص٥٢٩-٥٣٨.

٥٠. سورة النساء، الآية ٥.

٥١. سورة الانفال، الآية ٣٩.

٥٢. سورة الانفال، الآية ٦٠.

٥٣. سورة النحل، الآية ١٢٥.

٥٤. سورة الحج، الآية ٣.

٥٥. صحيفة النور، ج ٢٠، ص١١٤.

٥٦. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٥٧. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٥٨. صحيفة النور، ج٣، ص١٩٨.

٥٩. المصدر السابق نفسه، ج ٢٠، ص١٣٢.

٦٠. بحار الانوار، ج ٧١، ص٣٣٨.

٦١. المصدر السابق نفسه، ج ٤٠، ص١١٣.

٦٢. المصدر السابق نفسه، ج ٧١، ص٣١٩.

٦٣. المصدر السابق نفسه، ص٣١٦.

٦٤. تفسير أبو الفتوح الرازى، ج٢، ص٤٥٠. برواية: محمد اشتهاردى، الامام المهدى عليه السلام، إشراقة الولاية، ص١٣٨، الطبعة الثالثة عشر: انتشارات مسجد جمكران الشريف، (قم ١٣٨٥ ش).

٦٥. بحار الانوار، ج٨، ص٣٦٨.

٦٦. الكافى، ج ١، ص ١٨٥.

٦٧. محمد أمين بالا دستيان، و آخرون، شذرات الخلقة، ص١٤٧- ١٥١، الطبعة الثانية: انتشارات مؤسسة المهدى موعود عليه السلام الثقافية، قم ١٣٨٤ ش.

٦٨. الطبرسى، الاحتجاج، ج٢، ص٣٢٥، انتشارات النعمان، النجف الأشرف ١٣٨٦ ق.

٦٩. ذخيرة و نفائس أنصار المهدىﷺ ص٢١٣- ٢٢١، الطبعةالأولى: إخراج و تدوين مركز المهدوية التخصصى، انتشارات مؤسسة الامام المهدى موعود عليه السلام الثقافية، قم ١٣٨١ ش.

٧٠. إبراهيم شفيعى السروستانى، معرفة إمام الزمان و تكاليف المنتظرين، ص١٨٢ و ص٣٨٩- ٣٩٠.

٧١. سورة الانفال، الآية ٦٠.

٧٢. ابن أبى زينب محمد بن إبراهيم بن جعفر النعمانى، الغيبة، تحقيق و تصحيح على اكبر غفارى، المترجم محمد جواد غفارى، ص٣٢٠، الرواية العاشرة، الطبعة الثانية: انتشارات مكتبة الصدوق، تهران ١٣٧٦ ش.

٧٣. رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص٢٧٢. برواية: إبراهيم شفيعى السروستانى، انتظار ما يجب و ما لا يجب، ص٤٤، الطبعةالاولى: انتشارات مؤسسة الموعود الثقافية، قم ١٣٨٣ ش.

٧٤. المصدر السابق نفسه، ص٤٤- ٤٥.

سوق المهدوية في عصر الغيبة و تبعيته لحوار منهج الحداثة في قوانين الطبيعة

الدكتور محمد جواد جاويد

نبذة

لا تعيش البشرية في آخر الزمان، إلا أنها تتعامل في نهجها و كأنها تعيش في آخر الزمان، و كأن القيامة ستحلّ عليها عن قريب!. فهل هذا الأسلوب في التعامل هو انعكاس طبيعي و حقيقي لسبل و طراز الحياة البشرية المعاصرة؟ اصطلح بعض الفلاسفة و علماء الاجتماع المعاصرين تسميتهم هذه الفترة بعصر «تعددالقراءات» و عصر تنوع الروايات، لكن أغلبهم يري أننا نعيش في برزخ، مستقبلنا ظلام دامس، و ماضينا مليء بالانحرافات و الأخطاء. فالبشرية المعاصرة لا تدعي لنفسها العبودية، و لا ترتضي التألّه، بل فصلت نفسهاعن ماضيها، و هي غير متفائلة بحاضرها و مستقبلها. لذا، فهي تقبل أيّ شيء، و لا تختار كل شيء، و اصطلح الفلاسفة و علماء الاجتماع علي هذه الفترة «بعصر الحداثة» أو عصر «ما بعد التجدد». فهل هناك فترة تتصف باليأس، و أخري بالخوف، نراها تختلف تماماً عن ماهية طبيعة الفترة التي سبقتها، حيث تكون محتاجة أكثر ما يكون الي «نبي» ينشر فيها القيم و

المبادئ؟! أو هناك عصر يسمّي الانسان فيه نفسه «بالاله» و ينعزل عن إرادة السماء؟!. يبتني أساس و فكرة هذا البحث حول فرضية «عدم خاتمية الدين بالنبي»، و أن إحدي علائم الحياة الأبدية و الخلود هو «أصل المهدوية»، حيث يظهر هذا الأصل في إطار قوانين الطبيعة.

المفاهيم الأصلية في البحث:
القوانين الطبيعية، عصر الحداثة، المهدوية، النبوة، الاسلام، المجتمع، آخر الزمان.

المقدمة

اصطلح كثير من الكتاب الغربيين و المفكرين تسمية عصر الأنبياء و أوصيائهم الى عصر القرون الوسطى فى أروبا «بالعهد القديم» أو «العصر الكلاسيكى التقليدى»، حيث تأثرت هوية الفرد و المنظومة الاجتماعية و الدينية و المعنوية بهذا العهد، و اتسمت بطابعه العام، فتشكّلت الملوكية و الحكومة اعتماداً على الواقع العملى و الحقيقى للأمة، فعلى رغم وجود عدم تساوى درجات الخلوص لهذا الجوهر المثالى المتعالى و الروحانى عبر التاريخ، إلا أنه لم يكن أى تصور لدى أحد بموته، لأن كل واحد يراه معين الحياة فى هذه الملوكية؛ و يتعرف على تمهيد الهوية الموحّدة لبقاء الجميع، ليكون ميزاناً للحق و الباطل، و مفسّراً لكل ذلك فى وحدته.

إن قيمة قبول و نجاح هذا الجوهر المتعالى المثالى تدريجياً، أصبح سبباً فى أرباح و منافع محبى الدنيا و المشغوفين بها، المتظاهرين بالزىّ المعنوى والزهد، الذين صنعوا لأنفسهم سلالم المجد و الرقىّ السياسى و الاقتصادى و الاجتماعى، بتحضيرهم نسخ كاذبة و مزيفة تستهدف الدين ابتداء، فكان ظهور المنجى بهذه النسخ الكاذبة و الموضوعة علائم و إشارات واضحة فى سوق عكاظ، فلا تتردد البشرية طرفة عين أبداً فى التصديق بنداء الوحى السماوى و الالهى، و وجدت نفسها أمام هذا النداء السماوى و الالهى، بما هى فيه من كمال اجتماعى، و توسعة و ازدهار، و تحضّر بشرى و

اقتصادى.

لقد خلق هذا الفكر المتطور و منهج الحداثة و التقنية و التكنولوجيا المتطورة مواقف و أساليب مضادة بين الانسان و ربّه، و الأرض مع السماء، و الروح أمام الجسد، و العلم اللامنسجم مع الدين و المذهب، و العقل ضد الوحى، و السياسة فى مواجهة الدين، فكانت الاثنينية وليدة فكر الحداثة و التقنية المتطورة.

إن رقى الانسان و تطوره، و صعوده بآليات العقلانية الاقتصادية، و سيره باتجاه قمم و سفوح روح الاستثمار، كان سبباً فى الاهتمام بالجوانب و القضايا «الالهية»، و أوامر «الله» من زوايا و وجهات خاصة، و منظار محدد. و استيقنت البشرية أن نجاحها معلول لازاحة القيم و المبادئ عن شؤون الحياة فى كافة المجالات المتسمة بطابع منهج الحداثة، و كون شكل الحكومة مصطبغاً بالصبغة الشعبية، و ليس للحاكم أى صبغة دينية أو مذهبية و إلهية. و هكذا ابتعد الانسان فى عصر الحداثة فى أوربا من خلال النظرة السيئة فى التفكير عن السماء و الوحى، و ضعفت العلاقة بينه و بين ربّه، و سعى الى محورية ذاته و تقوقعها فى هذه العلاقة، و حرّم على نفسه عطاءات السماء بنظرة ملؤها الأمل، و لكنه قرّر أن يبدأ الحركة و المسير.

و فى الحالة الأولى: سمّى نفسه أنه «الله» و ادعى الألوهية، و فى الحالة الثانية: اعتقد أنه «خليفة الله» فى الارض.

إن دعوى البروتستانية المسيحية فى إيجاد «الاقتصاد الرأسمالى » فى رسم السياسة الصهيونية نابع عن طبيعة تفسير الثورة المثالية الكلاسيكية و التقليدية، فبدون هذا التصور، سيؤدى الى حالة من الوهن و الضعف، و ستكون خطوة باتجاه الفهم الجديد لدنيا المعانى و القيم، و محصول عصر آخر، و امتداد لجسور الثقة بالمستقبل، و ربطه بتراث الماضى. لقد استيقظت البشرية من غفلتها، فغيّرت من نظرتها نحو الماضى فى

عصر التجدد و الحداثة، و شاهدت بياض هذه اللوحة المنقوشة بألوان زاهية، إلا أنها غفلت عن الخطوط السوداء و النقاط المظلمة فيها. و لو نظرت البشرية الى واقعها فى الماضى القريب، لانتبهت الى ما حلّ بها، و لحقها من كوارث و أضرار مادية و معنوية فى العهد القديم، و قد تم انتاجها و فبركتها فى أبعاد كبيرة جداً، و هى أكثر تنوعاً فى عصر التطور المفتوح و التقنية الحديثة، بدرجة أن أقل ما يحدث لها، سيوجّه ضربة قاسية و مؤلمة بفأس حديدية قويّة و حادّة، تهدف الى اقتلاع جذور الانسانية و علاقاتها و رواسبها الممتدة عبر التاريخ، و ستمضى البشرية باتجاه القيم و المعانى و المبادئ الراقية و السامية، التى تبعث الأمل فى أعلاها ليصل الى ذروته.

و من هنا: فهى لا ترى أى نظرة و رؤية دينية تؤكد على الأخلاق كمحور لها، على أن نهاية هذا العالم و نهاية التاريخ فى رؤيتها و تصورها هو: حلول الظلام الدامس، و بقائه على هذا الحال، دون أن تسلط الأضواء على كل أزمة فى العالم، لتوجد بريقاً من الأمل و التفاؤل بالمستقبل.

إن حوار المهدوية تابع لفهم حوار النبوة، لاقتضاء ضرورة و طبيعة هذه المرحلة أكثر من أى وقت آخر.

و من جهة أخرى: فقد حصلت إساءات و إهانات مقصودة و متعمدة أو غير متعمدة فى هذه المرحلة أكثر من غيرها عبر فترات التاريخ البشرى، و هى موجهة نحو القيم و المبادئ المهدوية و فكرها الراقى، لان قيمة و أهمية هذا الجوهر النفيس و الدرّ النضيد فى عصر الحداثة هى أكثر وضوحاً و تجلّياً من العصور و الأزمنة الأخرى.

و سيتم تسليط الأضواء فى هذا المقال من خلال قراءة هذه الأزمة ابتداء، بتوصيف المفاهيم الأساسية، ثم الاشارة الى أصول عقد رابطة المودة بين الايمان و ملتقياته مع العقل، و الحب، و الشعور و العاطفة، ثم مع الدين. و سيتم دراسة و تحليل السياسات

الحقوقية في مجالات خاصة، لمعرفة حقوق الانسان، و دور الدين في تحليل كلا الجهتين. و ستتضح الغاية من هذا البيان من خلال اجتياز الأدلة النقلية، و حركة البشرية حركة طبيعية و عقلانية، بعيداً عن التعلقات و التأثيرات الفردية أو التملّقات السياسية، و السير باتجاه اعتقادات أكثر رسوخاً و عمقاً في المهدوية، و ترجيح أصل ملاكات الخير على الشر في آخر الزمان عبر تلك الحركة.

إن القوانين الطبيعية في العالم هي عبارة عن اجتياز للاعتقاد الظاهري و الباطني للبشرية، و فرض العقوبات و المكافئات، بهدف الوصول الى العدالة و التعادل و التوازن الطبيعي في العالم، لأنها ابتنت على سنن إلهية و كونية، و السنن الالهية و الكونية هي خارجة عن نطاق القوانين الطبيعية، كما قال سبحانه و تعالى: «سنة الله، و لن تجد لسنة الله تحويلاً و لن تجد لسنة الله تبديلاً»[1].

مفاهيم القيم و المعاني في الحوار المعاصر

لا يعدّ فهم المفاهيم السابقة لدى كثير من الكتّاب المعاصرين أمراً سهلاً و ميسوراً، و كذلك المفاهيم الحاضرة و المستقبلية، فهي غير مفسرة، بل غامضة و مجهولة. و تثير ظاهرة وهن و ضعف فهم الاجيال – من خلال انتقادهم لغة الخطاب و التحاور، و فقدان اللغة المشتركة في عصرنا– ظهور حلقات الاتصال و التواصل بين أجيال الماضي و الحاضر و المستقبل.

فالشعور بعدم الفهم المتقابل بين أفراد الأسرة الواحدة أو جماعة الأصدقاء، هو في الحقيقة وليد أزمة فقدان الخطاب و لغة التحاور و الفهم المشترك، و هذه اللغة و الخطاب هي أصعب بكثير في عصر الحداثة و التقنية، و أكثر تعقيداً [2]، فهي ليست لغة الفم، بل لغة الفهم و العقل. و لأجل الهروب من منازل الفكر الأعمّ و الاكمل من منهج الحداثة،

فلا ضير فى تنشيط الحركة و التسريع لايجاد حالة من الشفافية فى حدود الذهن و لغة الخطاب و التحاور، لأنه يمكن أن يحصل نوع من التغيير فى هذا العصر حول المعتقدات. أما المعتقدات الأخرى و الروايات التى هى أبعد نطاقاً عن حدود المجتمع، فلا يمكن تلقيها و اعتبارها كلاماً أخيراً. فعلى سبيل المثال: يعتبر مقارعة الظلم و مكافحة الفساد، و عدم تصديق العقل و المنهج الذهنى، و سوء ظن الأمة فى العلم، و إمكان الوصول الى السعادة الحقيقية، هى كلّها بوادر و إشارات على ضعف ما هو أبعد من نطاق روايات المجتمع فى التطور السابق، و هذه حقيقة خالدة لا تتحدد بزمان و عصر معين، و هى ماضية باتجاه نتاج خاص سهل و ميسور، بل ممكن[٣].و هذا الموضوع بهذا المقدار قابل للتحليل فى الظواهر الاجتماعية أو المعنوية، و كذلك فى الامور الطبيعية أو المادية.

و بعبارة أخرى: لو تضاعف ملاك النطق و الكلام حول ظاهرة الحق أو عدم الحق، فستمهد الحاجة أو عدم الحاجة الى تلك الظاهرة بطريقة و أسلوب أكثر من ظواهر أخرى فى إيجاد أمواج اجتماعية.

فاذا دار حديث الساعة مثلاً حول زيادة أسعار البضائع و السلع التجارية و المواد الغذائية كأسعار الأرز، أو شحّة بعض المواد الانشائية أو الشرائية كالشاى مثلاً فى المجتمع، فلا شك فى أن الخروج عن إثبات صحة أو سقم ذلك الخبر فى القطاع الاقتصادى فى المجتمع، هو أمر له واقع و حقيقة، و هو: وقوع حالة إيجابية أو سلبية حول تلك البضاعة فى المجتمع، أو هى فى حال الوقوع.

و الحالة الايجابية تعنى: أن الزيادة غير الطبيعية هى عرض فى الطريق. و لعل هناك مستثمرين من أصحاب المطامع و النوايا السيئة ممن يصطاد هذه الفرص لبيع بضائعهم، و عرض أمتعهم فى الأسواق العامة و بأسعار باهضة و هى مجحفة بحق المواطنين.

أما الحادثة السلبية: فهى تعنى الحس و الشعور بعرض البضائع و السلع التجارية

بخلاف المتعارف، لأسباب و دلائل طبيعية، كنمو و تزايد التعداد السكانى، أو قلة العرض و زيادة الطلب، أو شحة الانتاج و قلّة المحاصيل، و عوامل أخرى فى هذا الاتجاه.

و على كل حال، فان لغة المجتمع و طبيعة الحوار الحاكم، ينطلق من الخدمة الطبيعية أو الخيانة غير الطبيعية فى هذا المضمار، لأن المجتمع يتحسس ذلك، بحقّ كان أو باطل. و الحوار بهذا الخصوص يعنى الالتهاب العام، و تصعيد المخاوف و القلق على الصعيد الشمولى و العام، و هى و إن سببت إثارات و ردود تجاهها، إلا أنه لا يمكن لأى أحد تجاهلها، أو الاغماض عنها، و عدم التعرض لآثارها و مخاطرها، ليكون فى أمان عن عوارضها و أضرارهاالجانبية، لأن تصور عدم السماع هو سماع فى نفسه.

و على كل حال، سوف لن تكون نتيجة هذا الاقدام على العمل الجيد أو الردىء فى هذا المضمار، مانعاً عن ظهور الحوار الطبيعى أبداً. و ظهور هذا الحوار يعنى الحساسية و الشعور النابع عن حاجة المجتمع، و المهدوية من هذه الزاوية و بهذا المنظار هى نوع من الحوار، يمكن عدّه فى مقارنته بحوارات معنوية أخرى فى المجتمع بانه حوار حاكم، اصطبغ بدعم أكثر.

و اشتهرت هذه الحكاية فى عصرنا الراهن فى مرحلة عصر الحداثة، و أصبحت مقدورة و فى متناول الجميع أكثر من أى عصر آخر، بسبب توسع و تطوير تكنولوجيا دنيا المعلومات، و التقنية الحديثة، و زيادة وكالات المعرفة و عالم الاتصالات.

فى سوق دين منهج الحداثة:

إن من خصائص و سمات هذا العصر، هو رجوع و عودة كثير من الأمور التى اعتقدنا أنها قد انتهت، و غلقت ملفاتها نهائياً.[٤] و لكنها مع ذلك عودة حقيقية و واقعية للأمور السابقة، و قد عبّر «نيكولا دوكوز» عن هذه العودة و الرجوع بالمرحلة التى

سبقتها، نظير حركة الحلزون[5]. و هذا نفسه علامة جيدة لنمو و توسيع الفهم الانسانى، ولكن ليس النمو و التوسعة فى قالب الرواية الواحدة التى تهدف النظر الى عصر الحداثة، من خلال وضع ملاكات فى العقلانية الاقتصادية فى الغرب. و اعتقد «ماكس وبر» الكاتب و الباحث الألمانى: أن مرحلة توسيع العقلانية الآلية هى من سمات و خصائص التكامل الغربى. بمعنى: ضرورة البحث عن جذور و رواسب هذا التكامل، و العثور عليه فى اليهودية فى العهد القديم، و عن هيكلها و إطارها العام فى البروتستانية، و الرأسمالية النامية، أو فى حال النمو فى أوربا[6]. و إن رأى بعض المفكرين: أن أساس الاخلاق الرأسمالية بدأت من اليهودية[7]، و أوجدت مفاهيم عديدة مثل: العقلانية على أساس هذه المرحلة. أما نموها فى هذا الاطار، فقد نتج عن مضاعفة قابلية و قدرة الانسان، و ذلك من خلال المحاسبة و الدور الرقابى و الاشراف الكامل على كافة مرافق الحياة و شؤونها العامة.

أما دور الدين فى هذا الأنموذج، فهو أداة للتوسعة و النمو المادى. و على ضوء الاعتقاد بمنهج الحداثة، فان الدين و إن عدّ فى هذا العصر من أبرز و أهم مظاهره و تجلياته، و كونه محرك عجلة الاقتصاد الأوربى، و أسباب عقلانيته الآلية، إلا أن حصر نتائج أدائه و عمله فى هذا القالب، سيعود ثانية أيضاً الى منطق النظرة العامة. و ان لم نقل أنه غير صحيح، فلا ندعى بذلك مرغمين أنه كامل أيضاً.

و من جهة أخرى: عدّ «نيشه» المبدع لفكر منهج الحداثة فى بعض الأبحاث، كانخفاض معدلات الحق و الباطل، و جانب القدرة و القيم و المبادئ و المعانى. فقد كان منطق استدلاله و اعتقاده هو: أن الله قد مات، لكنه اعترف حالياً بوجودالالهة فى هذا الفكر، بسبب التناقض و التضاد الملموث الموجود، و قد انتشر بلباس العرفان[8]، و التصوف.

و بعبارة أخرى: رؤية الكثير من المفكرين و الباحثين و غيرهم فى عصرنا الراهن هى:انتعاش «سوق الدين»[٩] و «الرأسمالية المذهبية و الدينية»[١٠] فى عصر الحداثة، أكثر من أى عصر و زمان آخر.

و هذه المفاهيم أيضاً كمفهوم عصر الحداثة، هى مرحلة الصيرورة و التأسيس، بمعنى: أن انقضاء مرحلة التطور، و الانتقال الى مرحلة الحداثة، ليس لها معنى واضح و صريح، فكل ما عرفوه هو: أنهم لم يكونوا موجودين، فوجدوا، و لكن الى أين ذهبوا؟ و من هم؟ فهذا غير واضح و معروف أبداً، بل غير محدّد.

و انطلاقاً من هذا المفهوم، رأى «مانسولى» الكاتب و الباحث الفرنسى فى علم الاجتماع، و الخبير بدراسة عصر الحداثة فى فرنسا، أن هذه الفترة و المرحلة هى ليست من مراحل عزل الاعجاز و إبعاده، كما جاء ذلك فى كلام «ماكسى وبر»[١١]، و ليس خروجاً عن الدين[١٢]، أو هزيمة و فشل و خجل و استحياء الدين[١٣]، كما قال «مارسل كوشه»[١٤]، بل هو عصر الرجوع و العودة الى الاعجاز و الاعتقاد[١٥]. و قد ظهرت معتقدات الالهيات الاجتماعية و السياسية، كالهيات «التحرر»[١٦] من أمريكا اللاتينية، و إلهيات «مينجانک»[١٧] من كوريا، و إلهيات «الوطن»[١٨] من تايوان، و إلهيات «المجاهدة»[١٩] من الفلبين، بمنطق حديث و أسلوب متجدد[٢٠].

نعم، الحقيقة هى: أن هذه الروايات و القراءات، ليست قراءات و روايات عامة و شاملة، بل أشكال جديدة من حالات التدين و الالتزام، ينبغى دراستها و تحليلها، و ضمها الى مجاميع الفرق.

إن «سوق الدين» اليوم هو الأكثر رواجاً و ازدهاراً من أى مرحلة أخرى، فالفردية الدينية، و الطبيعية، و الجماعية، و الاجتماعية، و الوطنية، بل الدولية أيضاً، و الشمولية العالمية أو العولمة..هى كلها مؤثرات و دلائل على تنوع المحاصيل و المنتوجات فى

تسويق المعتقدات، و نشرها.

تعدد القراءات و الانتخاب العقلانى:

إذا اعتقدنا بأن«اكوست كنت»[٢١] هو أول مفكر و باحث فى علم الاجتماع، قد أعاد الدين الى محور النسيج الخرافى و الاسطورى، أو معثورات الفلاسفة، لتؤدى فى النتيجة الى فشلها فى توسيع العلم بمفهوم المنهج الثبوتى[٢٢]، فكذلك «ماكس وبر»[٢٣] يعدّ من أوائل المفكرين الذين ساقوا الدين نحو واد و جهة هى الأقل تديناً، و كان ناتج عمل مادى للدين، و لكن «كوست كنت» أقرّ أخيراً بضرورة تواجد الدين فى المجتمع الانسانى، و انتشر مذهب «عزل الاعجاز»[٢٤] المادى عن العالم، و تدارك السعادة الانسانية بعيداً عن أنظمة تأسيس الأديان أيضاً، من خلال منطق التطور، إلا أنه أذعن بقبوله النقد اللاذع و الشديد بنظرة منهج الحداثة.

و سعى «ستارک» عالم الاجتماع الأمريكى فى العقد الثمانين و بنوع يختلف عن «وبر» الى تسليط الأضواء على مبحث الانتخاب العقلائى للدين على أساس منطق التشجيع و المكافأة و الجزاء و العقاب فى الأديان المختلفة، و رأى أن الأديان فى منافستها للأديان الأخرى تابعة لمنطق العرض و الطلب من وجهة اقتصادية. و حلّل كل من «ايناكن» و «فينک» و «استارک» فى العقد التسعين ميزان عرض الأديان فى المجتمعات، فكلما كان أكثر تنوعاً، كان تسويق التدين و الالتزام أكثر حرارة و انتشاراً، و كلما كان عرض المنتوجات الدينية فى مجتمع القطب الواحد مطلقاً، فستنخفض حالات الحماس الدينى و الانفعال و الوهج المذهبى، و حالات التدين و الالتزام[٢٥]. و انتقد «بروس» فى عام ١٩٩٢م الانتخاب العقلانى[٢٦] للدين فى نطاق تعدد القراءات فى المجتمع الواحد[٢٧]، و اعتقد أن المنطق الاقتصادى باتجاه الدين قد تم دراسته فى المجتمع الغربى كأمريكا مثلا، و لكن لا يمكن تعميم نتائجه على الشعوب و البلدان الأخرى،

فعلى سبيل المثال: كان تطبيق مبدأ تعدد القراءات فى بريطانيا عام ١٨٠٠م أقل بكثير عن عام ٢٠٠٠ م، و كذلك الاتجاه نحو منطق الحداثة، فينبغى أن تكون أعداد المتدينين الملتزمين على ضوء منطق الانتخاب العقلانى أقل من عام ٢٠٠٠ م، إلا أنه تبقّى ٨٪ بالمائة فقط بناء على احصائية لأعداد المتدينين الملتزمين، و هى بمعدل ٦٠٪ بالمائة فى عام ١٨٠٠ م[٢٨].

أما النتائج التى أظهرتها الاستطلاعات و الدراسات الانتقادية لمنطق فهم الدين، فقد أعطت الحلول فى منهج الحداثة عن الدين نفس تلك المعتقدات الالتقاطية التى استوحاها «ماركس وبر».

و لهذا السبب، فان نظام الرؤية العامة فى هذه النظرية أيضاً، كان قد جعل الأبعاد الاعتقادية الفردية لا تعّم حالات التمايز و الاختلاف الثقافى، و نظام خصائص و سمات الدين، و هى رؤية مستبعدة و مطرودة من قبل علماء الاجتماع الموحدين الملتزمين المتأخرين.

و من هذه الجهة، فهو يهدف الى تحميل قراءات عديدة و مختلفة فى الرؤية العامة لا روايات الآخرين.

أما وجهة مرحلة الحداثة، فان قيمة المنطقة، و حتى الزمان، متوفرة و موجودة فى منطقة و ليس أكثر[٢٩]. و بناء على هذا، فان توجيه الانتقاد السياسى لمنطق تعدّد القراءات و تسويق الدين، سوف لا يتحدد بالمنطق الاقتصادى، و سوق العرض و الطلب، و البضائع و السلع و المنتوجات الدينية، بل هو اعتراض على نظام مرحله الحداثة فى الانتخاب العقلانى أيضاً. بمعنى أنه لا يكون التمركز المحض فى سوق الأديان فى عصر الحداثة على المعطيات، و أن الخروج الاقتصادى للدين وحده هو ليس أبعد نطاقاً عن حدود منطق الحداثة، بل تلحظ فيه مخاوف مادية و قلق نفسى أيضاً.

إن مرحلة عصر الحداثة اليوم هى الأكثر أصالة و رسوخاً من جهة، و هى متواجدة أساساً فى مبانى الانتخاب الأول للدين. فظهرت تساؤلات و استفهامات حول طبيعة ماهية ذلك و علله، و ليس حول كيفيته و ظهوره الخارجى.

و من جهةأخرى: و كما عبّر فى المنطق الاقتصادى الأخير و على سبيل المثال: عن قضايا الشمال و الجنوب بعبور أزمة التضاد و التناقض الكمّى، و السير باتجاه التضاد و التناقض النوعى، فكذلك فى منطق القيم و المعانى و المبادئ المعاصرة أيضاً، فان أداء و عمل« التضاد و التناقض الكمى» يتناسب مع منطق عصرالحداثة، و يرى أن الدين منافس لتوسيع و تطوير المجتمع المدنى المتحضر، و حكم و إرادة الشعوب، و هذه مقولات عديدة مثل: الدين، الثقافة، القيم و المبادئ الاجتماعية فى عصر الحداثة، فان لها منزلة و موقعاً اجتماعياً مهماً، و هى متخلصة من المنطق العددى.

و على هذا الأساس، فان مراحل عصر الحداثة هى السؤال الأصلى و الأساسى فى هذه الفترة، و كذلك فى الاستفادة من الحقيقة و امكان الوصول اليها. و على هذا، فالسؤال هو حول ميزان معايير و ملاكات الواقع مع الحقيقة، و المعيار الآخر حول الظرف الراهن، و ميزان تطابق كل واحد من الأديان مع مجموع المطالبات و الرغبات الانسانية للافراد و الجمعيات الانسانية.

و من هنا: و تماشياً مع المطالبة و الرغبة التى اختفت وراء المخاوف و القلق المادى أو السوق الاقتصادية فى العرض و الطلب الموجودين، فان الاكثر عقلانية الدينية بين الأديان، معروض بأسلوب استفسارى و استفهامى أعمّ و أشمل، و لا يخفى أن العقلانية المعاصرة تضم كافة الأبعاد الروحية و النفسية للبشرية المعاصرة.

إن الاعتقاد بترابط الدين بالثروة هو بمنزلة محصول و نتاج عن عصر التطور، و ليس عن عصر الحداثة. بمعنى: أن التجلّى و الظهور المادى أو الاستخدام الدنيوى من الدين

كان قد ظهر ابتداء فى أوربا، ثم استبطن فى غلاف و طبيعة المتدينين الموحدين فى تلك البقعة من العالم، يعنى المسيحية و اليهودية معاً. أما «البروتستانية»: فهى بمنزلة قراءة اقتصادية متطورة عن المسيحية و الصهيونية أيضاً، و قراءة اقتصادية متطورة عن المسيحية وحدها. إلا أن الصهيونية: تعدّ بمنزلة قراءة سياسية متطورة عن اليهودية، أو أن كليهما مخارج للدين الأوربى فى منطق الحداثة.

إن ولادة الصهيونية المسيحية[٣٠]، ناتجة عن علاقة هذين الأمرين فى العصر المسمى «بعصر الحداثه».

كتب «جاك اتلى» فى كتابه «اليهود، العالم، و المال»[٣١]: إن من حق اليهود أن يفتخروا بهذه الفترة من تاريخهم. و أضاف: إن الدين ملهم و مكوّن للفكر «التوحيدى» و الفكر «الرأسمالى » أيضاً، أى فكرة أن الثروة هى أداة لخدمة الانسان فى الوصول الى الله، فكلما كان المؤمن ثرياً و غنياً، فسينجح نجاحاً باهراً و فريداً من نوعه فى تقوية و ترسيخ أسس و دعائم الدين و المذهب، بدءاً باليهود و بصورة عملية، و انتهاء بالمسيحية، فاصبحت أداة لتهشيم فكر النظام الدينى للأغلبية الكاتوليكية فى أوربا، المبنى على الزهد، و الفقر و الطاعة. و اعتبر من علل الوصول الى هذا المستوى فى الفهم الدينى، و فى النتيجة، عدّ نوعاً من الثورة الفكرية فى أوربا، من خلال مواجهة الغربيين المسيحيين للشرقيين المسلمين بعد الحروب الصليبية، كما مهّد المسلمون لمسيرة فهم الفلسفة و العقلانية عن الدين فى أوربا[٣٢].

أما فى مرحلة مضى و استمرار الفهم و ابتعاوه عن الدين، فقد وصل تلاقى المفاهيم ذروته فى التطور، و فى النتيجة: حصل هبوط و تدنى مبدئى و هروب عن الاعتدال، و ظهرت مجموعات مثل: وحدة المصير، و وحدة الفهم الدينى الأوربى الكلاسيكى و التقليدى فى مرحلة التجديد، و قد أظهرت حالة من الإثنينية و التناقض و التضاد

الملوث، و ظهرت فی عصر الحداثة مناهج و قراءات متعددة أو مناهج و قراءة واحدة.

الدين، الخرافة، و النسيج العام ضد التوسعة

اعتقد علماء عصر الحداثة:أن نزاعات عصر التطور وصلت الى طريق مسدود، و لم تكن بالمؤثرة، و أن أبطاله مزيفون، و هم صناعة الذهن الغربی. فهم يعتقدون: أن مثل هذا النوع من النزاعات ليس فيها رابح معين، فهم إما أن يخسروا جميعاً فی هذه الصفقة على حدّ سواء، أو كلهم رابحون ! و سرّ هذه النزاعات فی الغرب لم ينته بعد، و لا يزال الصراع باقياً و مستمراً، و قد كمن فی تلاقی العقل و الاعتقاد، فهل أن الاعتقاد شیء يعنی قطع الصلة و العلاقة عن العقلانية ؟

والاجابة عنه بنعم، فمن جهة نقول:ليس الدين الا خرافة، فهو مخالف للعقل إذن، و تدور غاية المنطق كله فی عصر التطور حول محور هذا الاستدلال:

و هو أن السنن ملوثة بالخرافات، و أن الدين جزء من خرافات عصر السنن، فالدين إذن مانع من التوسعة الانسانية[٣٣].

و اعتقدوا عملياً بأن الغرب قد توسع و ازدهر، بسبب نفی دور الدين عن المجتمعات.

و من هنا: عدوا حركة الزمان و عبور السنن نحو التجديد أمراً مباركاً و ميموناً فی حدّ ذاته. فقد اعتقد «بولس المقدس» فی نظريته من خلال رسائله التی أرسلها الى ساسة و رؤساء الروم و هی مذكورة فی الانجيل: بأن العقل هو أكثر عجزاً من أن يكشف عن أسرار الأيمان[٣٤]، أما كتّاب عصر النهضة و التوعية من خلال الاستدلال المعارض، فقد وصلوا الى نتائج مشابهة هی: أن الدين مخالف للعقل، لانه يبتنی على الخرافة.

و اعتقد «يختن برک»[٣٥] الكاتب و عالم الفيزياء الالمانی مبرّراً نقده للدين فی القرن

الثامن عشر:بأن قبول و ارتضاء الناس للدين، هو بحاجة الى استغلاله أموراً هى الأكثر خرافة.

و رأى «باسكال» الكاتب و الفيلسوف الفرنسى فى القرن السابع عشر مبرراً دفاعه عن الدين: بأن الايمان يظهر فى مواضع لا يظهر فيها العقل. و لهذا، يعدّ الايمان أمراً باطنياً و أمراً شخصياً، فالقلب فى هذه الزاوية له منطق خاص، و هو غير مفهوم، و منسجم مع منطق العقل[٣٦].

و ارتضى بعض الكتّاب الغربيين بدءاً من القرن السابع عشر الى القرن الثامن عشر، أمثال: «اسبينوزا» و «ولتر» و «هيوم» بمنطق إبعاد الدين أو الدفاع عنه، و ضرورة طرده عن المجتمعات، و قدموا دراسات و انتقادات حول ارتباط الدين بالعقل، و حصل لديهم الاجماع على وجود التضاد و التناقض بين هذين الأمرين، و اعتقد «ماركس»: أن «الماترياليّة» هى آخر ضربة فأس وجهت ضد بناء التفاهم بين العقل و الدين، و معتقداً:بأن الدين مانع فهم الانسان لعبوديته، فقال: «بأن الدين أفيون الشعوب». و أما المساعى و الجهود الأخرى المبذولة فى إلقاء الاعتقاد بوجود الله، كما سعى «دكارت» و «كانت» بل و حتى «هيوم» الى توجيه ذلك فى ظل الإيمان بالأديان الطبيعية، و لم يكن أمامه سبيل آخر، فانتقص من وجود التضاد بين العقل و الدين.

و قد حاول هؤلاء الكتّاب و الباحثين و المفكرين أن يثبتوا: بأن للعقل القدرة على الكشف عن الله و معرفته، و كذلك الكشف عن الدين، و لكن هل يشمل ذلك استدلال الأديان الرسمية الموجودة فى الغرب أم لا؟ فهذا مما لم تتطرق له فى أبحاثها.

و تطوّر هذا الفكر و ازدهر بمرور الزمان فى القرن العشرين تحديداً، و هو يؤكد على أن العقل لا يبعث الحياة فى الانسان، فلا معنى حقيقى لها فى ظلّه، و لكن هل ينبغى الاتجاه نحو الدين فى هذه المرحلة لسدّ الفراغ الموجود و النقص الحاصل فيها أم لا؟

فهناك إبهام و غموض متبقى يلف هذه المرحلة، بل إن هناك توجه سلبي يحيط بأغلب الموارد المتوفرة.

و من هنا: تعالت أصوات الشكوك و الحيرة و الدهشة في هذا المضمار، و هبت رياح و عواصف شديدة لزعزعة القواعد و الأسس القوية و الصلبة لثوابت التجديد الغربي، و أنهت الحرب العالمية الاولى و الثانية على الغرور و الاطماع الاستكبارية الغربية، و تركت المواطن الغربي يعيش حالات ممن الذهول و الدهشة و دوامة الشك و الانحراف.

الجريمة و العقاب في منطق العدالة الطبيعية:

يجرى الحديث في الغرب اليوم حول مفهوم عصر «الانتهاء» و ختام و نهاية أمور كثيرة، و مصير البشرية، كالحديث عن نهاية التاريخ، و آخر الزمان، و نهاية القيم المعنوية، و ختام السنن، و نهاية الايدلوجيات، و انتهاء عصر التطور، و نهاية الثورات و الحروب[٣٧]، و نهاية الأديان[٣٨] أخيراً. و قد اعتبرت هذه الأمور نهايات للغرب و بدايات للشرق، حيث بدأ الشرقيون يتألّقون حديثاً. فلو تقرّر أن تكون هناك نهاية للبشرية المعاصرة، فلا تفيد هذه الرواية سوى منهج الاطلاق في التنظير لمحورية الغرب و إشرافه على المجتمعات.و هذا المنطق هو علامة على نفوذ و سيطرة التطور الغربي و حداثة فكره المعاصر.

فلو أردنا من خلال هذا تعريف مفهوم التطور أو الحداثة بمفهوم «دوركهايم»[٣٩]: على أنه حركة تمايز المؤسسات، أو بمفهوم «وبر» على أنه حركة المنهج العقلي، فان مفهوم التطور أو الحداثة و فلسفته الوجودية في عصر الحداثة، له معنى يبعث على التأمل و النقاش. إن الحدود المصطنعة بين الجانب الخاص و العام من خلال وضع الدين، فقد نال المرتبة الأولى بين أقرانه.

و بعد هذا التصنيف و التقسيم، ستذهب الاخلاق الفردية الى زاوية و ركن من أركان البيت، فتجالس الدين أيضاً، و يكونا معاً طريدا الحياة الاجتماعية. فالتعاليم الدينية و الاخلاقية لا تتحدد فى مجال التعليمات العامة فى المجتمع، و تلقى على عاتق الوالدين !.

إن الدولة المتطورة التى تمتلك سمة الحداثة فى هذه المرحلة هى حركة الفرد نحو المجتمع، فالاخلاق الجماعية و التعليمات الاجتماعية وحدها هى الملقاة على عاتق الفرد، باعتبار أن عناصره ليست مدينة للحلول و المعطيات و السلوك الدينى، بل إنها تعارض المنطق الدينى فى كثير من الموارد، و لهذه الظاهرة عوارض و آثار جانبية مختلفة، حيث ظهرت فى مجالات و جوانب سياسية و حقوقية و اجتماعية و غيرها. و قد أدان «مارسل كوشه» عالم الاجتماع الفرنسى المعاصر ظاهرة أفول الدور الاجتماعى للدين فى ديمقراطية عصر الحداثة للمواطنين، و اتجاههم نحو المنهج الفردى و الفردية[٤٠]، و اعتقد أنه سيتم فى النصف قرن القادم عبور الدين و اجتيازه[٤١]. و لكن الدين المهمش و المتروك جانباً هو الدين الرسمى بأنظمة و مؤسسات سابقة فى الغرب.

و من هذا المنطلق، اعتقد «هرويولزر» الاخصائى فى القضايا الدينية و الكاثوليكية المسيحية من خلال رؤيته و استقصائه أحوال المجتمعات المعاصرة، بان هذه المجتمع عبرت واجتازت هذه المرحلة، و ضمّ صوته الى أصوات القائلين بأن المجريات و الأحداث المعاصرة فى العالم تتجه فى سيرها و نهجها نحو العقلانية المذهبية، و أما حالات التنافر و عدم ملائمة و انسجام المذهب مع طبيعة المجتمع، فهى ظاهرة اصطلحوا عليها تسميتها «بالعلمانية».[٤٢] و لكن هذه ليست بمعنى حذف الدين و ازالته، بل ظهور مجدد فى قوالب جديدة[٤٣]، و يستتبع هذا الحضور عواقب أخرى، مثل: أزمة الفكر و الخطاب الدينى بخصوصه.

إن القوى الحاكمة فى عصر تطبيق السنن، عليها مسئولية تنفيذ القرارات التى وضعت

ضد الخاطئين و المجرمين و المخالفين، و تلك القرارات هى:التنبيه و التحذير، أو التعزير، أو الإعدام فى الملأ العام. و مع توسيع بعض المفاهيم من قبل الحكومات فى العصر الجديد كحقوق الانسان، فقد قرّرت استخدام أسلوب الرقابة و الاشراف و المحاسبة الدقيقة بدلاً عن التنبيه و الضرب أو التعزير، أما فى عصر الحداثة، فقد انتقلت هذه الرقابة و المحاسبة و الاشراف الدقيق تدريجياً الى مجالات و جوانب خاصة أخرى، و أصبح «الدين»بمثابة «الانتخاب الفردى» فى هذه الأمور، فقد تدنى و هبط مستواه و معدّله فى الاعوام الخمسة الأخيرة.و قد عرّضت هذه المداخلات فى الفكر المحايد من جهة الدولة المتطورة و بشكل مليء بالتناقضات و التضاد الواضح فى القطاع الخاص الى كثير من الشبهات و التساؤلات و الغموض، و تسبّبت من جهة أخرى فى ظهور هويات جديدة فى قوالب الدعاوى المذهبية.

و تابع «جان بوبرو»[٤٤] و بصورة دقيقة قضايا و مسائل علمانية فى فرنسا فى إطار دراسته للأديان فى المجتمعات، معتقداً بأن عصر الحداثة يمر عبر ثلاثة مراحل هى:

١-الابتدائية.

٢-المتوسطة.

٣- والنهائية.

و سنشهد تغييراً واضحاً فى حدود القطاع الخاص و العام فى البرهة الاخيرة. فقد أشارت المادة العاشرة لاعلان حقوق الانسان عام ١٧٨٩م، المصادق عليها فى منظمة الأمم المتحدة، المصرحة بحرية الأديان و الاعتقاد الدينى و المذهبى، معلنة و لأول مرة بصورة رسمية و مباشرة بأن «الدين» هو أمر شخصى و فردى، يهتم بأمور البشرية فى كافة أرجاء العالم !، و هذه كما ترى خطوة أولى نحو تطبيق العلمانية فى المجتمعات.

و مع هذا، ليس هناك دور مساو لتعلّق الرجل و المرأة بواحدة من هذين القطاعين،

لأنه ألقى على عاتق أكثر الشرائح النسوية دور التعليم الدينى و الاخلاقى فى الأسرة، و أما الرجال، فقد تصدّوا لمسئوليات سياسية فى القطاع السياسى و القطاع العام[٤٥].

أما المرحلة الثانية، فهى: بدء تفكيك هذين القطاعين فى القرن التاسع عشر و العشرين، حيث تم رفع و إزالة الحياة التقليدية القروية و الريفية البسيطة، من خلال نمو و انتعاش الحياة السكانية فى الحضر، و ازدهار توسع المدن و الكثافة السكانية، و ذلك من خلال تشييد المدارس، و زيادة سكك الحديد، و انتشار المؤسسات و المنظمات الحكومية و الوطنية، و اتساع الفواصل و المساحات الشاغرة، فكان تلقى الدين فى تلك الفترة الانتخابية على شأن خصوصى و فردى.

و قد عملت الحكومة من خلال إيجاد المنافسة غير الواضحة بين الأديان، الى تأسيس المدارس الحكومية، و تقوية أمر التربية و التعليم الحكومى، و فرض الضرائب الحكومية، و الاخلاق الاجتماعية و...، لتحلّ فى موقع العمل الجماعى للدين.

و فى المرحلة الثالثة: حطّمت هذه الظاهرة و بصورة قوية و عنيفة كل الحدود الديموغرافية المرسومة فى الماضى، و تعرّضت المؤسسات و المنظمات التى كان يهدف منها الحفاظ على أساليب العمل الجماعى و المصالح العامة، الى يد تخريب المصالح الفردية، و من أمثلتها البارزة: عدّ حالات الاجهاض أمراً مشروعاً، و معترف به رسمياً من قبل الحكومة، و مع ذلك، رفض الاطباء فى فرنسا قبول و إجراء فحوصات أو عمليات جراحية فى الاجهاض، و عدوه جريمة يعاقب عليها القانون.

و النموذج الآخر: فى تلاقى المصالح فى القطاع الخاص و العام، يعود الى مسألة الحقوق و الزنا و الفحشاء و اللواط و غيرها، فالفواحش من النساء، تطارد من قبل الحكومة فى السويد على ضوء القانون، بل إن من يتم شراؤهم من الرجال و النساء لهذا العمل، هم مطاردون أيضاً من قبل القانون.

و قد حظر القانون فى بلجيكا ممارسة الزنا و اللواط، لان كثيراً من البلدان الأوربية و بأدلة و شواهد عديدة، لا تطبق القانون، كالارهاب و الشذوذ الجنسى مثلاً و غير ذلك. و قد تسبّبت المصالح الحكومية و ليس المصالح العامة أو المنافع الوطنية و القومية فى أن تبقى مجالات الحقوق الفردية و الجماعية غير مفسرة و غامضة، بل مجهولة فى كثير من الموارد.

و حكم الإعدام هو نموذج آخر من تلك المجالات المجهولة و غير المفسرة، حيث تم رفع حكم الاعدام و إزالته فى كثير من البلدان الأوربية الغربية، كفرنسا تحديداً، رغم المطالبات الشعبية العامة، و الأساليب و الممارسات الديمقراطية[٤٦].

أما حول مشروعية الشذوذ الجنسى و زواج الذكور بالذكور و الاناث بالاناث و اللواط، فان حدود المصالح و المنافع الوطنية، و المطالبات الفردية، كان سبباً فى اتخاذ أساليب قضائية مختلفة و متعددة فى الغرب. بل حتى فى بعض البلدان الأوربية نفسها، فان هناك ابهامات و غموض حول قضايا الزواج الشاذّ، و نوع هذا الارتباط الرسمى، و المسائل الحقوقية، كالإرث، و حضانة الأبناء، و التكاليف المتقابلة الناتجة عن تعدد الزيجات، التى تزيد من فترة مراجعة هذه الملفات، لاصدار الأحكام بشأنها.

و تواجه الشريحة النسوية المعاصرة مشاكل و صعوبات جدّية و حادة فى قضاياها و شؤونها الحقوقية و الحقيقية.[٤٧] و من ناحية أخرى: تطالب كثير من العوائل و الأسر فصل أبنائهم الذكور عن الاناث فى المدارس و الجامعات و الحصص الدراسية المختلطة. و لكن مع ذلك، و على رغم أن الأنظمة الحقوقية الليبرالية تثير نقاشاً و جدلاً حاداً اليوم حول مسألة الانتحار، و تبحث عن دوافع هذه الظاهرة و عللها الحقيقية فى تلك المجتمعات، إلا أنها لا تعنى بالمطالبات الفردية فى هذا النوع من القضايا، و لا تولى لها اهتماماً بالغاً رغم انتشار هذه الظاهرة بسبب الأزمة التى تعيشها هذه المجتمعات.

فلو حكت هذه الأمور عن ازدهار القيم و المعانى فى تلك المجتمعات، فانها بنفسها إجابات صريحة و طبيعية حول ظاهرة غير طبيعية فى السابق، و إن عصر الحداثة يقرّب تعارض و تناقض المجتمعات البشرية الى الاعتدال المتداول.

و يحترم المنطق الجزائى فى الاسلام سير القوانين الطبيعية.

و على هذا الأساس، ينبغى معالجة تلك الازمات الاجتماعية بشكل طبيعى، فالانسان فى المنظر الاسلامى يولد على الفطرة، طاهراً بريئاً، و ليس مجرماً، و لن يكون كذلك[٤٨]، هذا من جهة.

و من جهة أخرى، ليس المجتمع وحده مسئولاً عن أخطاء و جرائم الآخرين، بل إن هناك مجموعة عوامل و أسباب تؤدى الى وقوع الجريمة فى المجتمع، و تعاقب القوانين الجزائية فى الاسلام أيضاً بهذا الأساس على الجريمة، و ليس المجرم وحده. و من الطبيعى أن عمل أى فرد فى المجتمع ليس له انعكاسات جماعية، و كذلك للعامة تأثير و تأثر أيضاً، لذلك قيل: إن معنى حق الحرية الدينى هو:أن حرية كل فرد معين غير مهددة من قبل الطرف الآخر، بل ربما يكون المواطن نفسه عرضة للتهديد، و هى هذه الحالة. فلا يحق لأى حكومة مهما كانت:أن تصدر إذناً عاماً بالاقدام على الانتحار، و فسح المجال أو التشجيع على ذلك، على ضوء احترام حقوق مواطنيها و رعاية الشعور و الضمير الإنسانى، أو تلتزم الصمت حيال هذا العمل الاجرامى، و تبقى متفرجة على ما يجرى فى المجتمعات.

و لا شك فى أن الشارع الاسلامى وضع المصلحة العامة فى أولويات قراراته، كقضايا الحدود و التعزيرات الاسلامية، و لزوم عدم الخدشة فى القضايا و الموازين الاخلاقية و النظام العام فى البلاد، و هذا الأمر هو من الدلائل الأصلية فى ترسيم هذه التعزيرات و العقوبات. لذا، فان أكثر العقوبات فى اللغة العلمية و الأكاديمية المعاصرة و الفهم العام،

هی عبارة عن الأحکام و القرارات الجزائیة التی سنّها المشرعون الالهیون و غیر الالهیین فی المجتمعات البشریة.

و فائدة مثل هذه العقوبات تظهر فی حالتین:

أحدهما: منع المجرم أو الآخرین عن ارتکاب الجریمة و تکرارها، من خلال العقوبة التی تولّد الخوف و الرعب فی نفس المجرم، فتصده عن إعادتها و تکرارها.

و لهذا یمکن تسمیة هذا النوع من العقوبات «بالتعزیرات».

و الفائدة الأخری: هی إبراد غلیل المظلوم، و تشفّیه من مرتکب الجریمة، و یکون هذا فی موارد هی من نوع الجرائم و الاعتداء علی الآخرین.

أما العقوبات و الاحکام الصادرة هنا، فهی ناظرة الی الجریمة و المجرم، و لا تعنی هذه المسئلة تحقیر المجرم والاستهانة بکرامته، بل هو نوع وقایة له و للاخرین، و کما قال «دورکیم»: لا یتلقی ارتکاب الجریمة علی أنه أمر طبیعی[٤٩]، بل علی الجمیع اعتقاد أن هذا هو أمر غیر طبیعی، و شذوذ فی العلاقات الاجتماعیة، و إن کان وقوع الجریمة فی المجتمعات عملیاً هو أمر طبیعی.

لذا، فان کون الجریمة هو أمر طبیعی، سوف لن یقلل من کون الجریمة عدوی مسریة، و طروالمرض أخیراً علی کیان المجتمعات.

و من هنا: ففی حالة الحاجة فی ظلّ المصالح العامة، یمکن الاکتفاء الذاتی و الاستغناء بالتضمید السطحی الهامشی و البسیط، أو القیام بعملیة جراحیة، أو قطع عضو المصاب نهائیاً.و من خلال هذه الوجهة، فان مسئلة تناسب الجریمة و الحکم یرتبطان بأحکام اعتباریة و لیس واقعیة و حقیقیة أو ذاتیة.

أما العقوبات و المجازات الطبیعیة الناتجة من التخلّف عن القوانین الطبیعیة، فهی من نتائج و لوازم العمل الطبیعی، تستتبعها آثاراً تکوینیة. فکل ظاهرة فی نظام العلة و

المعلول فى العالم له موقع خاص به، فلا يمكن أصلاً أن لا تأتى العلّة الواقعية و الحقيقية بمعلولها الحقيقى و الواقعى. و قد ادعى الاسلام فى النتيجة أن ترسيم القوانين الجزائية و صدور الأحكام، قداستندت على أساس القوانين الطبيعية، و يمكن تعميم هذه القواعد على أساس أصل عولمة الاسلام أيضاً. فاستدلال النبى ﷺ مثلاً و أسلوبه حول هذا الموضوع مؤيد للفلسفة الطبيعية، و طبيعة المجتمعات الانسانية.

روى عن النبى ﷺ واصفاً علل و أسباب هلاك الأمم و الاقوام السالفة بعد أن سأله أصحابه:«قالوا: يا رسول الله، تقطع امرأة شريفة مثل فلانة فى خطر يسير؟قال: نعم، إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا. كانوا يقيمون الحدود على ضعفائهم و يتركون أقوياءهم و شرفاءهم، فهلكوا»[٥٠].

لذا، فان استقرار الحكومة الدينية العالمية للامام المهدى عجل الله فرجه هى خاضعة للقواعد و السنن الطبيعية و الالهية أيضاً فى تطبيق العدالة الشاملة فى العالم، و منها: استعداد و رغبة شعوب العالم و شوقهم لذلك الانجاز العظيم. إن الحكومة الدينية المبتنية على السنن القطعية الالهية، إذا أنعم الله على عباده فيها بنعم، فعليها أن تكون مستجيبة وشاكرة لأنعمه سبحانه. قال سبحانه و تعالى:«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[٥١] و من هذا المنطلق: ينبغى أن يكون تثبيت الحكومة و ترسيخ دعائمها بحاجة الى رغبة و استعداد جماهيرى و شعبى لحصول دواعى القبول، فليست الحكومة فرضاً على الشعب، و حكراً على الأمة، أو مخالفة لرغبة الجماهير و مطالبات المواطنين، و هى مطالبات حقّة طبيعية و مشروعة فى كل المجتمعات العالمية، لا فى تشكيلها و لا استمرارها.

و ينبغى أن تقوم الحكومات على أساس رغبة و إرادة جماهيرية و شعبية، و عزم و إرادة الأمة و استمرارها، و سيتحقق دين الله فى هذه المجتمعات بعد قبولها و ارتضائها

له، فتطالب هذه الجماهير بإقامة حكومة دينية من خلال هذا القانون الطبيعى، و سينصر الله هذه من ينصره من هذه الشعوب و الأمم و إن كانت قليلة باذنه.

أما إذا لم يكن لهذه الشعوب و الأمم تواجداً و حضوراً فاعلاً و نشطاً فى المعترك السياسى و الصناعى و الفكرى و غيره من المجالات، فان هذه الحكومة الاسلامية ستبوء بالفشل الذريع، و تؤوب الى السقوط، و إن كان ذلك الحاكم و المدبر هو أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه!.

«هذا على ضوء سير القوانين الطبيعية فى عالم الكون و الخلقه»[٥٢].

و كما أن لسوء[٥٣] أو حسن[٥٤] غير العقوبة و الجزاء الاعتبارى انعكاسات وردود غير طبيعية أيضاً[٥٥]، فان هناك عوارض أيضاً للشذوذ و الحالات غير الطبيعية فى المجتمع، جزئية كانت أم عامة، و كذلك الأعمال الاجرامية التى يرتكبها الأشخاص فى المجتمع.

ثم إن القوانين الجزائية كانت و لا تزال تؤكد فى جلّ اهتماماتها بالدرجة الأولى وحدها على ميزان الخدشة، و إدخال الضرر على الحقوق الفردية و الجماعية معاً للاشخاص فى المجتمع، و قد غضّت نظرها عن العثور على حقائق الجذور و الآثار العامة التى يمكن أن تخلّفها الأعمال الاجرامية فى أجواء طبيعية، أو ليس لها معرفة بذلك فى المجتمعات العالمية.

و ينبغى النظر الى أىّ حدٍّ و مستوى يبتنى فيه النظام الحقوقى، و منها العقوبات و المجازات و الاحكام الاعتبارية الصادرة فى ظلّ القوانين الطبيعية، أو المستوحاة منها.

لقد عرّف الانسان فى المذهب الحقوقى الاسلامى فى الحقيقة على خلاف المذهب الثبوتى الحقوقى، فى هرم الحالات الغير طبيعية و الحقوقية الشاذّة، كما إننا نسير بأى ميزان و حدّ من قمة الهرم و أعلاه، ثم ننطلق باتجاه قواعده، فان معاقبة المقصّرين و المسيئين، ستتضاعف بسبب الأضرار الباهضة التى سيخلّفها فى تلك المجتمعات، و لزوم

العمل بالوظيفة و المسئولية. فلو انتشرت هذه الجرائم و تفشت فى المجتمعات، فسيزداد حجم و أعداد وقوع الجرائم، و يتضاعف و يتفشى بنفس تلك النسبة أيضاً. و لو لم تعاقب القوانين الموضوعة للخاطئين و المقصرين و المتخلفين، فان المرحلة الطبيعية للكون و الخلقة هى التى ستلاحق المجرمين، فتوقع بهم الأذى لتحقيق العدل.

و ربما تكون هذه الحركة هادئة و بطيئة، و متتابعة فى سيرها، إلا أنها غير مهملة و لا متروكة أو منفصلة. و هذا القانون هو فى الواقع مستبطن فى قلب الحدث من هذا العالم. فالاعتقاد الدينى هو: أن الله تعالى كان قد وعد و ضمن تحقيقه و تطبيقه على الأرض، و قد ورد هذا المعنى فى آيات عديدة من القرآن الكريم، فى إطار السنن الكونية و الالهية الثابتة و الحتمية، مثل قول الله سبحانه و تعالى: «سنة الله فى الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلاً»[٥٦]. و قال تعالى أيضاً: «سنة الله التى قد خلت من قبل و لن تجد لسنةالله تبديلاً»[٥٧]، و قال عز و جل أيضاً: «سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا و لا تجد لسنتنا تحويلاً»[٥٨].

إن فكرة و موضوع «العدل» الذى سيحققه موعود آخر الزمان هو تابع لمنطق القوانين الطبيعية. فعلى ضوء القرآن الكريم، سوف يتماشى العدل مع مستقبل البشرية و الاجيال القادمة، و سيرافق إحقاق حقوق الفقراء و المستضعفين، فكذلك المسير الطبيعى و الحقيقى لمجريات الأمور فى تحقيق شعارات و مبادئ الفكر المهدوى.

قال الله تعالى: «و نريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين»[٥٩]. فلا يقوم الأنبياء بأفعال خارقة هى أعلى من نطاق القوانين الطبيعية، أو خارجة عن قابليات الطبيعة البشرية، بل كان فيها رعاية النطاقات فى نفسها، و احترام القونين و السنن الكونية و الالهية. قال سبحانه تعالى: «ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدراً

مقدوراً»[٦٠].

لقد كان قانون التكوين هذا موجوداً من قبل فى المجتمعات و الامم السالفة. و يستوحى من مطالعة و دراسة الحالات الشائعة و البارزة فى الأمم السالفة و الشعوب الماضية و مصير الحكومات: أن الظلم لايدوم، و لن يدوم، و لا يخلّد، لأن سيطرة الظلم هو أمر غير طبيعى.

قال الله تعالى واصفاً هذه الظاهرة: «أ و لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم و كانوا أشد منهم قوة و ما كان الله ليعجزه من شىء فى السماوات و لا فى الأرض إنه كان عليماً قديراً»[٦١]، و قال أيضاً: «استكباراً فى الأرض و مكر السيئ و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلاً و لن تجد لسنة الله تحولاً» [٦٢].

و من ناحية أخرى: لو عاقب الله تعالى المذنبين المسيئين خارج المسير الطبيعى لقوانين الكون و الخلقة، فستكون فلسفة الخلقة أقلّ فهماً و استيعاباً، كما ورد هذا المعنى فى آيات كثيرة من القرآن الكريم، قال سبحانه و تعالى: «و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة و لكن يؤخّرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيراً»[٦٣].

نهايات لاأساس لها في عصر الحداثة:

لقد خلقت البشرية فى عصر التطور بعض المفاهيم و المصطلحات، مثل: الله، و ما وراء الطبيعة، و القيم و المبادئ و المعانى السامية، و المذهب، و عدّه أمراً شخصياً و فردياً، لكنها غفلت عن ردودها و انعكاساتها الاجتماعية. و لكى تعوّض عن هذه الغفلة، استبدلت أنظمة مشابهة مدنية بدلاً عن الأنظمة الدينية، فوقعت فى شراك هذا الحوار،

لحسن الصدفة أو سوئها، بعد أن حاولت أن تفرّ من الوقوع فى هذا الفخ. قال «انتونى كيدنز» فى كتابه «نتائج التطور»: تتبع المؤسسات و الأنظمة المدنية لأصل كيان الاعتماد و الثقة المتبادلة. و يبتنى اعتماد لزوم الاعتقاد و الثقة على ثلاثة عناصر ضرورية أخرى هى:

أولاً: الاعتقاد بالصحّة و الاعتبار. و كذلك الايمان بمطلوبية أهداف تبحث عنها هذه المؤسسات.

ثانياً: التصديق و الايمان بفكرة أن هذه المؤسسات كانت قد شقّت لها طريقاً و صراطاً واحداً مستقيما و مباشراً للوصول الى الأهداف المرسومة فى مسيرتها إلى الأمام. ثالثاً: الاعتقاد الراسخ بهذه المقولة و هى: أن مسئولى هذه المؤسسات و المعنيين بها فى المجتمات من الناحية الفنية و الانسانية مبرؤون عن أى خلل و عيب أو نقص، و هم معصومون[٦٤]. و قد طبقت هذه الأصول الثلاثة بين فترة و أخرى على كافه المجتمعات المتطورة فى الربع الأخير من القرن العشرين، إلا أن «بير بورديو» لا يرى أى من الأصول الثلاثة العلمانية خالية عن العيب أو النقص، و هى سبب فى إيجاد حالة من الثقة و الاطمئنان و نوع من التوازن، معتقداً بأن التزلزل فى كل من الاركان الثلاثة و عدم الثبات موجود و ظاهر للعيان[٦٥]، لأن المجتمع الذى يرتضى فيه المواطن حتى من يحمل شهادة الماجستير بأقل المعيشة و المؤونة، مواجهاً لكثير من المشاكل و المعاناة، و الطبيب الذى يماطل على درأ حق الانتحار و يراهن عليه، فليس هناك أى حديث عن الاعتقاد المستتبع للهدف، و لا معنى للنظام الاجتماعى هنا.

و الأمر الثانى هنا هو مفهوم التوحّد، و عدم وجود الرقيب و المنافس، أو القطب الواحد، لئلا يحدث فيه التزلزل و عدم الثبات و الاستقرار.

و من خلال مشاهدة قضايا التعليم و البيئة اللذان هما ركنان أساسيان فى المجتمع،

فانهما يدعمان توسيع الرقابة فى البعدين الداخليين بالتركيز على تبليغ و أنشطة المراكز التعليمية و المستشفيات المقبولة، و فى البعد الخارجى: التاكيد على المراكز الخصوصية ذوى الدعم التعليمى و الصحى.

و يظهر هنا بوضوح حالات الانفصام فى المعنى و المبدأ فى العنصر الثانى للحداثة. و فى المرحلة الثالثة: فمن خلال الاعتراف بحق الوالدين و تقدمه على موارد عديدة كاختلاف النظر الطبى و الصحّى، و التقدم الفردى على أصل حق الحياة. وستعطى المؤسسة الخاصة فى المجتمع هذه النتائج و هى: أن عنصر الحداثة عمل على نقض حق عصمة المجتمع. و أخيراً، فان العناصر الثلاثة المذكورة سابقاً هى:

أولاً: عدم اعتبار التمحور الذاتى و الحالة الانحصارية فى فكر المؤسسة بكافة خصائصه.

ثانياً: استبدال الفرد بدل المؤسسة فى مرحلة اتخاذ القرارات المستبطنة فى المجتمع. و من هذه الناحية، فان النظرة فى المنهج الفردى الغربى فى مسئلة الجزاء، و إصدار القرار و الحكم النهائى فى حق شخص معين، كصور حكم بوجوب قتل إنسان برىء بدل القاتل الأصلى، و وصف القاتل بكونه صاحب الصفات الانسانية!بدل المقتول!، و ادعاء القاتل بأنه مستحق للكرامة الذاتية و الانسانية، و فى النتيجة: اعتقادالقاتل بأن له الحق فى استمراره فى الحياة!. هذا من جهة، و من جهة أخرى: فان الشخص المقتول يتسم بهذه الصفات و الخصائص أيضاً، مضافاً الى أن القاتل لم يكن ليمثّل نفسه، حتى يسقط بعمده و تقصيره عن الانسانية!.

إن إلقاء نظرة سطحية و أولية على مسألة حقوق الانسان فى الغرب، يجعلنا نتصور أن حقوق الانسان هى مسئلة فردية و شخصية. و غضّ الطرف عن الانسانية و الكرامة للفرد المقتول، سيؤول الى دعم و حماية الحقوق الفردية فى الدفاع عن النفس.

و من هذا المنطلق، فان من الطبيعى جداً: أن تصبح المصالح العامة و يستتبعها الحقوق العامة ضحية للحقوق الفردية. و هناك شبهات جادة فى أساس ذلك بعد ارتكاب الجريمة.

لذا، ينبغى الاعتقاد بأن فشل الحوارات البديلة عن أسلوب الدين فى المجالات العامة فى عصر الحداثة هو من أهم دلائل نزلزل و زعزعة المبانى و المعتقدات. و تعود كافة هذه التناقضات و التضاربات الى قراءة الغرب عن الدين، الذى أصبح بإرادة إو غير إرادة جزءاً لا يتجزّأ من تشكيل الثقافة أو الهوية الانسانية الغربية.[٦٦] و فى الوقت نفسه، لاينحصر المنطق الاسلامى فى هذا التفكير المليء بالتناقض الغربى، ليكون حاكماً و مسيطراً على العالم، و لم توضع أساليب و حلول لذلك، و ليس أمام العقل فى عصر الحداثة أسلوب و طريق آخر سوى تخريب الحوار السابق. و لكن أىّ حوار ثابت و شامل لعقل النبى فى عصر الحداثة؟ فهذا مما لم يسلّم به بنفسه.

و على كل حال، ينبغى القول فى وصف حالة التعقل فى عصر الحداثة، بانه ليس معالج، بل يستدم كآلة و وسيلة لتخفيف الأوجاع و تهدئة الآلام الناجمة عنها، فهو -أى العقل -يعلم الماضى جيداً، و مطّلع عليه تماماً، و لكنه يائس قنوط! نحو المستقبل، و متعب مرهق من الخصام و الجدال. و مع هذا، لم يعثر على إجابات مقنعة فى تفسيره كثيراً من الظواهر و الأحداث، و بقى يفكر فى أن كثيراً من القضايا و المسائل بقيت دون إجابات و تفسير.

و من هذا المنطلق، لا تفاوت بين مرحلة عصر التطور و مرحلة عصر الحداثة، لأن ما عثر عليه لم يكن صحيحاً.

و عبر هذا المنطق: وجّهت انتقادات شديدة و كثيرة نحو مرحلة عصر الحداثة. فلو كان منهج تعدد القراءات هو منطق نظرى مقبول لمرحلة عصر الحداثة، فان الحوار العام و الشامل، و الحالات الكلاسيكية و التقليدية، و حالات عصر التطور و عصر الحداثة،

ينبغى أن تضمّ ميزاناً عالياً من الحق. على أن الحوارات للمجموعات الثلاثة هى فى عرض أحدهما للآخر و ليس فى طولها.

و من جهة أخرى: يعدّ منهج عصر الحداثة متقدم كثيراً على الافكار السابقة، لأنهم على الأقل يعلمون بأنهم لا يعلمون أكثر مما مضى، و هذا هو جهل مركب، بمعنى أنه توصّل قبل الماضين الى عمق بحر العجز الانسانى، و أنه يمضى بسرعة فائقة أكثر من الماضين فى موازاة صنع حالات الجهل البشرى. فما دامت البشرية غارقة فى مستنقع الدهشة و الحيرة الخطير، ينبغى أن يتواجد النبى كضرورة صالحة و حاجة ماسة فى المجتمعات العالمية، لينقذها من الحيرة و الدهشة و الضياع.

نتائج البحث:

كلما ازداد الحديث عن ظاهرة ما بحق كانت أو باطل، فان الحاجة ستظهر بنفس المستوى لذلك، أو تفضى عدم الحاجة الى هذه الظاهرة، و ستمهد و تدعو الى إيجاد موجة اجتماعية أيضاً، حيث يتم فيها دراسة و تحليل حوار المهدوية، كما ظهر فى هذا المقال، من خلال رسم الاجواء الاجتماعية للانسان المعاصر فى هذا الاعتقاد.

إن افتقاد الفكر الاصيل و نماذج التأسى و الاقتداء كان سبباً فى حيرة البشرية المعاصرة و ضياعها و دهشتها. و هو يعتقد فى الوقت الحاضر بكافة القضايا السماوية و الأرضية، الخرافية و الأصيلة، الدينية، و الجسدية، و العقلية و الروحية و الفكرية، و... و لكنه لم يقتنع بكل ذلك، و لا يقين له بها، و بقى هذا الانسان المعاصر يعانى من عدم وجود ملاكات و موازين فى الحياة، فهو يحترم كل شاخص و ملاك.

إلا أن أكبر خطأ ارتكبته البشرية و جنتها على نفسها فى عصر الحداثة هو أنها بدل التأمل المدروس و البرمجة و التخطيط الأساسى، أصيبت بوعكة و دهشة وذهول فى منتصف الطريق، و ضلت فى متاهات الكسل و الفشل الفكرى لأسباب عديدة، منها:

استحياؤها و خجلها مما منيت به من فشل ذريع فى ماضيها فى عصر التطور، و اعتقادها أن منهج التشكيك و التكثر هو أمر مقبول، و أن فهمها يعجز عن كشف الحقائق. فالنبوة لازمة و ضروية لمرحلة برزخ الحياة البشرية لتعرّفه جوهر وجوده الكامن فيها.

إن تمهيد النظرة لإزالة سوء الفهم السابق يكون فى حسن الاستفادة الصحيحة و المناسبة، فيعثر على هذا الرسول فى مذهب تلاقى و تعاطف النبى الباطنى و هو العقل مع النبى الخارجى المبعوث من السماء، و يتم الاعتراف بهويتهما معاً، أى الدين الذى هو ليس قديم، و لا ولادة دين جديد، فالدين الخالد هو الذى عقد القران مع نظرة الطبيعة و رؤية الانسانية. فمادام كل من العقل و القلب دليلان لهداية البشرية، فستخطو البشرية خطوات باتجاهات عديدة لتمضى فى مسير القوانين الطبيعية للحياة. فاذا حصلت الموازنة فى المجتمع أيضاً، فسيشعر المواطن بنشوةالسعادة ليصل الى ذروتها. أما إذا استُغل الانسان، و أسيء اليه فى بعده الوجودى لمنفعة الآخر و إقصائه عن دوره الحقيقى، كما لو أثقل جزء من المجتمع كاهل الآخر و عبئه، و حمّله أكثر من طاقته، و استغلّه فى أمور أخرى، فسينهار كيان الموازنة و التعادل معاً. و فى هذه الظروف، و قبل أى فترة أخرى، ينبغى انتظار العودة الطبيعية للتعادل، و العدالة الطبيعية، و ستتحقق فكرة المنجى و المخلص فى آخر الزمان بتخطيط و إرادة إلهية مسبقة.

أما الحياة الانسانية، فلا يمكن تحميلها و فرضها على البيئة و المحيط الانسانى خارج دائرة القواعد الطبيعية.

و بهذا النحو، لا يغلب حوار المهدوية أيضاً بدون فلسفة. و لهذا فان العصر المعروف بعصر الحداثة، يمكن استثماره و الاستعانة به قبل آخر أدوار تاريخ الحياة البشرية، من خلال عرض الفكر المهدوى و أطروحته التكاملية.

الهوامش

۱. «فلن تجد لسنت الله تبديلا و لن تجد لسنت الله تحويلا» (سورة فاطر، الآية ٤٣).

۲. انظر: استفنكتز، كيف نتعلم منهج الحداثة، تضييق الازمات، العدد ۱۵.

۳. انظر: محمد سعيد حنائى الكاشانى، «هايدگر، الانسان، الوجود» مجلة ارغنون الفصلية، العدد ۱۱ و ۱۲، ص ۵۰.

4. MAFFESOLI (Michel), reenchantement du monde, in Sciences de l'Homme & Societes, dec. 2004/jan. 2005, N 73, p. 14.
5. Nicolas de Cuse
6. MAFFESOLI (Michel), Sur la Post-modernite, Center detudes sur l'actuel et le quotidien-Sorbonne, Paris V, 2000.
7. WEBER (Max), [Protestantisme et capitalsme], Armand Colin, 1970.
8. ATTALI (jacques), {Les Juifs, le monde et largent}, Fayard, Paris, janvier 2002.

۹.يعتبر المنهج الهندوسى و البوذى فى الغرب فى عصرنا الراهن من جهة، و العلمانية و التمحور الذاتى و المنهج الفردى من جهة أخرى أحد المبانى العرفانية بعد عصر الحداثة.انظر« حميد رضا مظاهرى سيف»، نقد عرفان عصر الحداثة، صحيفة كيهان، الثلاثاء، ۸ آذر، ۱۳۸٤ – ش ۱۸۳۹۳.

10. Religious Marketing / Marche religieux.
11. Religious Goods / Biens religieux.

۱۲. مفهوم «عزل الاعجاز عن العلم (Entzauberung der Welt) نشأ من هنا، فالمفهوم الذى استعاره «وبر» عن الشاعر الألمانى «شيلر» عبّر عنه بمعنى «إخراج السحر و الشعبذة عن الاشياء». فهو ليس مأوى الانسان الآخر فى ذلك البستان السحرى الكبير.

13. La sortie la religion.
14. La desenchantement du monde.
15. GAUCHET (Marcel), Le desenchantemnt du monde, Une histoire religieuse politique, Paris: Gallimard, 1985, 307 p.
16. MAFFESOLI (Michel), Reenchantement du monde, in Sciences de l'Homme & Societes, dec. 2004/jan. 2005, N 73, p. 14.
17. Liberation theology.
18. Minjung theology.
19. Homeland theology.
20. Theology of straggle.

۲۱. انظر: دانيل جى آدامز، «إلهيات منهج الحداثة»، ترجمة السيد عبدالمجيد الطباطبائى، مجلة أفق الحوزة، العدد ۱۷۱.

22. Augste comte (lsidore Marie Auguste Francois Xavier Comte) (1798-1857).
23. Walter DUSSAUZE, Essai sur la religion d'apres Auguste Comte, preface

d'Angele Kremer-Marietti, L'Harmattan, 2007, G. CHABERT, Un nouveau pouvoir spirituel. Auguste Comte et la religi on scientifique, Presses Universitaires de Caen. 2004.
24. Max WEBER (1864-1920)
٢٥. اعتقد وبر أن الانسان الذی یجد موقعه و وجهته فی هذا العالم و العالم الآخر، و یشعر بالأمن و الرخاء، لا حاجة له الی المدح و الثناء، أو تحضیر الأرواح، ثم لا داعی الی إتیانه ببعض الشعائر و الطقوس العبادیة و المناسك الدینیة، والاتصاف بسمة الصلاح و التقوی، و سیفقد الاحساس و الشعور بحضور المشیئة الالهیة فی حیاته.
26. STARK Rodney & BAINBRIDGE William S., A theory of Religion, New York, Peter Lang, 1987.
27. Rational Choice.
28. BRUCE Stevre, "Pluralism and Religions Vitality", in S. Bruce (ed.) Religion and Modemization, pp. 170-194. Oxford University Press,1992.
29. BRUCE Steve, Choice and Religion; A Critique of RationalChoice, Oxford University Press, 1999.
30. ISSR, Sicial compadd, Sages publications, Volume 53, number l, March 2006, pp 5-49.
31. Sionistes chretiens
32. ATTALI Jacques, Les Juifs, le monde et l'argent, Paris: Fayard, 15 janvier 2002.
33. BENCHEIKH (Ghaleb), [Alors, c'est quoi l'Islam?], Paris, Presses de la Renaissance, octobre 2001.
٣٤. محمد جواد جاوید، «دراسة و تحلیل موانع التوسعة السیاسیة فی إیران»، صحیفة القدس، الأحد، ٥ آذر ١٣٨٥.
35. l Co l: 20-27: [Ou est-il, le sage ? Ou est-il l'homme cultive ? Ou est-il, le raisonneur de ce siecle ? Dieu n'a-t-il pas frappe de folie la sagesse du monde ?].
36. LICHTENBERG Georg Christoph (Ober-Ramstadt, Darmstadt, 1742 _ Gottingen, 1799).
و قد کان متأثراً بأفکار فروید أیضاً.
37. RUSS J., Les chemins de la pensee, Paris: Bordas, pp 163.
38. HUNTINGTON smuel Phillips, The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order ; The Clash of civilizations?, article du Foreign Affairs, Summer 1993, v72, n3.
39. Jean-Claude RUANO-BORBALAN, La fin des religions ? in, L'univers de la religion, Mensuel N 34, Decembre 1993 ; http:// WWW.scienceshumaines. Com/l-univers-de-la-religion _ fr _ 127. htm.
40. Durkheim.
41. Cf. GAUCHET (Marcel), Lareligion dans la democratie. Parcours de la laicite, Gallimard, Paris, 1998, pp. 75-85, 107.
42. GAUCHET (Marcel), op., cit., 307p.
43. HERVIEU-LEGER (Daniele, Expose de), Conference-debat a l'Ecole normale catholique, le 23 avril 1997.

44. Ibid.
45. Jean Bauberot.
46. Cf. Elsa DORLIN, L'evidence de l'egalite des sexes, une philosophie oubliee du XVIIe siecle, L'Harmattmn 2000.
47. 18 septembre 1981 (Assemblee nationale en 2e lecture.
48. Chtistine FAURE, La democratie sans les femmes, essai sur le liberalisme en France. PUF 1985.

٤٩. روى فى الحديث النبوى الشريف أنه ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة.» (احياء العلوم، ج٣، ص١٣).

٥٠. روى فى الحديث النبوى الشريف أنه ﷺ قال: «كل مولود يولد على الفطرة.» (احياء العلوم، ج٣، ص١٣).

٥١. انظر: لوى برول، مسائل علم الاجتماع الجزائية فى حقوق علم الاجتماع، ترجمة مصطفى رحيمى، ص١٩ ـ ٢٠، انتشارات أمير كبير، طهران ١٣٥٨.

٥٢. مرتضى المطهرى، حول الثورةالاسلامية، ص١٥٣ ـ ١٥٤، الطبعة التاسعة: انتشارات صدرا، ١٣٧٢.

٥٣.سورة الرعد: الآية ١١.

٥٤. انظر: عبدالله جوادى آملى، ولاية الفقيه؛ ولاية الفقاهة و العدالة، ص٨٠ ـ ٨٤، نشر الاسراء، ١٣٧٩.

٥٥. يعاقب المسيء الى الوالدين مثلاً فى هذا العالم الدنيوى، و خاصة إذا وصلت هذه الجريمة الى حد ارتكاب قتل الوالدين ! فستضاعف عقوبته و إن كان الأب و الأم كافرين أو فاسقين. فانه لا يبقى من دون عقوبة أو جزاء. «روى أن المنتصر العباسى قتل أباه المتوكل، فقتل بعد مدة قصيرة، رغم أن المتوكل كان رجلاً خبيثاً و قذراً». (انظر: مرتضى المطهرى، العدل الالهى، ص٢٠٥، صدرا، ١٣٧٢؛ بحار الانوار، ج١٠، ص٢٩٦، مطبعة آخوندى).

٥٦. قال على عليه السلام واصفاً الاحسان و انعكاساته على المجتمع، و إيصال الخدمة الى الى الناس، و إغاثتهم فى هذا العالم الدنيوى: «لا يزهدنك فى المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، و قد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر، و الله يحب المحسنين»؛ (نهج البلاغة، الحكمة ١٩٥)

٥٧. قال المولوى حول العمل و ثماره و نتائجه ما مضمونه:

إن هذا العالم جبل، و فعلنا نداء. يصطدم صوتنا بالجبل، فيعود الينا من جديد.

وقيل حول المكافأة الطبيعية:

شاهدت بأم عينى عند المعبر، تحليق طائر جاء ليلتقط روح نملة، و بينما هو محلّق فى الطريق، و قبل أن يصطادها بمنقاره، إذ أقبل طائر آخر أعظم منه، قد جاء محلّقا أيضاً، فقضى على هذا الطائر، فاذا عملت سوءا

فلا تأمن من غدره و بوائقه، لأن الطبيعة أقسمت و أوجبت على نفسها بمعاقبته.

٥٨. سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

٥٩. سورة الفتح، الآية ٢٣.

٦٠. سورة الاسراء، الآية ٧٧.

٦١. سورة القصص، الآية ٥.

٦٢. سورة الاحزاب، الآية ٣٨.

٦٣. سورة فاطر، الآية ٤٤.

٦٤. سورة فاطر، الآية ٤٣.

٦٥. سورة فاطر، الآية ٤٥.

66. GIDDENS A, Les consequences de la modemite, Paris, Harmattan, 1994.

التجربة السياسية في إيران والأفق المهدوي الموعود دراسة فلسفية سياسية

عبداللاوي محمد

مقدمة

قد كشف تخبط المهدويات المتعلمنة فى هذا العصر عند مدى التدهور الذى لحق بالسياسة وهذه الظاهرة ليست خاصة بالمهدويات المتعلمنة بل هى تشمل كذلك المهدويات الدينية اليهودية (الصهيونية) والمسيحية (المتصهينة) بسبب غياب المرجعية الصحيحة نتيجة لتحريف الكتب السماوية.

فهذه المهدويات الدينية والمتعلمنة هى كلها من صنع الأساطير، فالأساطير سواء كانت دينية أو نتيجة لعقلانية تكفى نفسها بنفسها، هى المؤسسة للمستقبل وليست الكتب السماوية أو الدراسة العلمية للتاريخ لاستكشاف المستقبل، فالمستقبل فى أفق

هذه المهدويات هو مستقبل مصطنع لكيانات مصطنعة، فالمهدويات الدينية والمهدوايات المتعلمنة اندمجت فى مشروع استعمارى وأصبحت مجرد تحديث فى أحسن للأحوال أى تحديثا قاهرا للشعوب.

فى هذا السياق تتجلى حقيقة التجربة السياسية فى إيران، فالوجود "الامبريقى" للدولة أى ميدان ممارستها أو حاضرها لا يستغرق حقيقتها لأنها دولة التطلع إلى الظهور أى إلى نموذجية الدولة الكونية أى الدولة المثالية، فعلى هذا الأساس العقائدى تتخذ التجربة السياسية فى إيران موقف التطلع وتجاوز العوائق، فهى تتحرك من "الوجود" إلى الصيرورة" أى من ما هو كائن إلى ما يجب أن يكون، ومعنى هذا أنه من الضرورى البحث عن أدوات الفهم والتحليل للدولة فى إيران خارج بديهيات الفلسفة السياسية الغربية والرؤية الفلسفية إلى التاريخ التى ترتكز عليها، فلا يمكن استخدام أدوات الفلسفة الغربية كفلسفة هيجل وماركس وغيرهما إلا من موقع نقد هذه المفاهيم وتجاوزها.

إن علاقة الدولة بالظهور تضع التجربة السياسية فى الزمان وفى حركة التاريخ. إلا أن هذه التجربة لا يمكن فهمها من خلال الفلسفة الهيجلية التى تدمج المعقول فى الواقع "كل واقعى معقول وكل معقول واقعى".[1]

فواقع التجربة ليس معقولا لأنه ليس إلا مرحلة سيتم تجاوزها فى أفق نموذجية الدولة الكونية المنتظرة. فالتجربة السياسية توجد فى التاريخ وتتحرك عبر مراحل إلا أنها لا تجسد حقيقة السياسة وحقيقة الدولة الإسلامية إلا على أساس علاقة ما هو نسبى بما هو مطلق. أى على أساس علاقة الاجتهاد بالنص وبالعصمة وعلاقة ولاية الفقيه بالإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فحركة التاريخ هى الطريق المؤدى إلى الظهور، لكن هذه الحركة تتم على أساس مسؤولية الإنسان التى تجسدها التجربة السياسية اليوم فى إيران.

أى تتجسد فى تعامل الجمهورية الإسلامية مع الواقع المحسوس ومع القضايا بكل تعقداتها انطلاقا من مجتمع أشخاص وذوات واعية لا انطلاقا من مجتمع ككل عملاق وكتلة صماء، فإيران هى فى هذا العصر ميدان لممارسة وتنظير رؤية سياسية جديدة فى أفق رؤية مستقبلية جديدة.

فلسفة التجربة السياسية في الأفق المهدوي:

غير أن هناك من يرى بأن الحكومة الإسلامية فى إيران هى حكومة لا تقوم على أساس نظرية سياسية أو مذهب فلسفى سياسى، [٢] مثلا فى المجال الاقتصادى والسياسى ومجال حقوق الإنسان والعلاقات الدولية، ومعنى هذا وحسب هذا النقد فالحكومة تمارس عملها السياسى بصورة فوضوية وفى إطار ردود الفعل.

هذا الموقف غير صحيح فولاية الفقيه تجسد العقل الإسلامى الذى لا يقوم على ردود الفعل الجزئية تجاه الأحداث. أى لا ينطلق من رؤية جزئية إلى الواقع والأحداث والتاريخ. فحقيقية العقل الإسلامى كما تجسدها ولاية الفقيه هى حقيقة اجتهادية اى تنظيرية تنطلق من رؤية كلية لا تنفى الجزئى ولا تنفى الواقع لتحلق فوق التاريخ، فالأسس النظرية للتجربة السياسية فى إيران حاضرة، إلا أنها أسس نظرية لها خصوصيتها لأنها تختلف عن "النظرية" و"الأسس النظرية" التى تقوم عليها الأنظمة السياسية فى العالم. فماذا كان مصير هذه الأنظمة التى تقوم على النظرية وعلى النسق النظرى، فهذه الأنظمة انتهت إلى طريق مسدود. فهذه الأنظمة، خاصة النظام الليبرالى، لا تستمد إلا عن طريق استغلال الشعوب المتخلفة. فمهدويتها هى مهدوية شيطانية كما يرى نوام شومسكى، [٣] أما الأنظمة القائمة فى العالم الإسلامى فهى أنظمة لا تقوم لا على نظرية ولا على مبادئ بل على الاستبداد. فالفكر غائب عن السياسة فى هذه

الأنظمة. فكل ما هناك لجوء تلفيقى إلى عناصر الفكر السياسى الغربى لتبرير استمرارها كالديمقراطية والديمقراطية الشعبية وحقوق الإنسان والطبقات... فالثورة الإسلامية لم تكن لتقوم لولى النقلة النوعية التى أحدثها الإمام الخمينى﵀ فى مجال الفقه وفى مجال الفكر الإسلامى على العموم. فالإمام ركز كل اهتمامه على أصول الفقه وفتح الفقه على علم الكلام وعلى الفلسفة والعرفان. فتأسيس الدولة فى إيران لم يتم على أساس فقه الفروع أى على أساس الفتاوى والحلول الجزئية للقضايا بل تم على أساس أصول الفقه ورؤية جديدة إلى الغيبة وإلى علاقة الأمة بالإمام المهدى﵀ وعلى أساس رؤية جديدة إلى ولاية الفقيه وعلاقتها بالسياسة وبحركة التاريخ. وعلى العموم إن مسار التجربة السياسية فى إيران يقوم على فقه منفتح على علم الكلام وعلى الفلسفة وعلى العرفان ومنفتح على العلوم الإنسانية وفلسفة التاريخ. فالأفق المهدوى لهذه التجربة جعل المفكرين الإيرانيين يطرحون السياسة فى إطار فلسفى إسلامى وفى سياق رؤية مستقبلية. أى يطرحون المشكلة السياسية على أساس رؤية فلسفية إلى التاريخ.[٤] لذلك لا يمكن فهم الحقيقة السياسية فى إيران بدون رؤية فلسفية إلى التاريخ يؤسس لها فقه يقوم على أساس أصول الفقه لا على أساس فقه الفروع، فالثورة تم تفجيرها وقيادتها عن طريق الاتجاه الأصولى الذى فعل الفكر الإسلامى مع متطلبات العصر وثقافة العصر وعن طريق صياغة فكر سياسى إسلامى لتنظير وتوجيه التجربة السياسية لدولة ما بعد الثورة. فولاية الفقيه استوعبت كل القيم السياسية كالحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية والتداول على السلطة استوعبت هذه القيم بصورة اجتهادية. أى عن طريق إعادة صياغتها حسب متطلبات الإسلام واهتمامات الأمة وحسب موقع إيران فى الأفق المستقبلى.[٥] فالعقل المؤسس والموجه للتجربة السياسية فى إيران (وهو عقل اجتهادى ملازم لولاية الفقيه) هو عقل فى "وضع" أى فى "حالة" وليس عقلا مجردا، عقل فى وضع

بمعنى أنه يعالج قضايا راهنة فى سياق حركة تاريخية، أى فى سياق "غيبة" منفتحة على مستقبل موعودا عقائديا لا مجرد مستقبل تمت صياغته فلسفيا وإيدولوجيا، ولأن هذا العقل اجتهادى أى فى وضع فإنه عقل ذو طاقة استيعابية كبرى لعطاءات العصر فى المجال السياسى، لذلك انفتحت التجربة السياسية فى إيران عن الديمقراطية والتعددية وعلى كل المؤسسات الملازمة للقيم السياسية. لكن هذا الانفتاح لم يتم من موقع التوفيق بين الإسلام والفكر السياسى الغربى بل تم من موقع الاستيعاب النقدى لهذا الفكر، لأن الفكر السياسى الملازم للعقل الاجتهادى هو فكر سياسى مهدوى. أى هو فكر لا يمكن تصور وجوده بدون مشروع وبدون إستراتيجية كأداة لتحقيق هذا المشروع. والسلوك السياسى للجمهورية الإسلامية يدل منذ تأسيسها على ما نقول فقد تبنت الجمهورية الإسلامية القضية الفلسطينية والمقاومة فى لبنان، وتبنت كل القضايا فى مجال العلاقات الدولية على أساس الأفق المهدوى للعلاقة بين المستضعفين والمستكرين ويمكن القول بأن العقل الاجتهادى حرر السياسة من الاستغراق فى الراهنية وفى الواقع القائم، حررها فى المحايثة التى قتلتها وقتلت الإيديولوجيا وقتلت التاريخ. فالتجربة السياسية فى إيران هى من هذا المنظور تجربة سياسية مبدعة لأنها تجاوزت الحداثة بفضل انطلاقها من العقل الاجتهادى الذى يسعى إلى التغيير والتجديد لا إلى مجرد التحديث المرادف لمعنى التغريب. فحقيقة العقل الاجتهاى هى حقيقة نقدية وإبداعية لأن العلاقة العقائدية للتجربة السياسية بالمستقبل تحدد طبيعة صورة العقل وموقفه من الحاضر والأحداث. فعلى عكس العقل الغربى الملازم للحداثة فإن العقل الاجتهادى ينظر فى المجال السياسى انطلاقا من التطلع إلى المستقبل الموعود. فهناك ثقة بالمستقبل عكس العقل الملازم للحداثة فإنه ينظر فى المجال السياسى على أساس العلاقة بمستقبل مجهول وصلت إلى حالة من "الرعب من المستقبل". وقد أحدثت هذه العلاقة اختلالا فى الرؤية السياسية

انتهت إلى التنظير لموت السياسة.[٦] فالعمل السياسى أصبح فى الغرب عملا لا يقوم على معايير ثابتة، فالسياسة تحولت إلى سياسة بالمعنى المبتذل. فالسياسة أصبحت لفا ودورانا وتغييرا للمواقف تبعا للمصلحة واستغلال الآخر، ومن هنا المفاهيم الجديدة كمفهوم الشرق الأوسط الجديد. أو المفاهيم الجديدة القديمة كالديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات. كل هذه المفاهيم وظفها الغرب لخدمة مصالحه. فالديمقراطية وحقوق الإنسان أصبحت تجسيدا لمعايير مزدوجة لا لقيم ثابتة.

وهكذا فالرؤية المستقبلية تنعكس سلبا أو إيجابا على الرؤية السياسية وتؤثر فى صورة أو طبيعة النظام السياسى وصيغة تعامله مع المجتمع ومع الشعوب. وتتميز التجربة السياسية فى إيران بعلاقتها العقائدية مع الأفق المهدوى الموعود وتفاعلها معه. فتركيبه النظام السياسى الذى تؤسس له هذه التجربة هى تركيبة تقوم على أساس النبوءة والإمامة والمستقبل الموعود. والمحور الذى تدور حوله هذه التجربة وتتفاعل معه تفاعلا مرجعيا وقياديا هو محور يتخذ موقعه فى خط الإمامة من موقع النيابة: ولاية الفقيه.[٧] لذلك يتخذ النظام السياسى فى إيران موقف التمهيد لعصر الظهور. فهذا الموقف هو الذى أسس للمواقف الثورية التى تميز بها النظام السياسى فى إيران تجاه كل القضايا سواء كانت محلية أو إقليمية أو دولية، فكل مواقف الدولة الإيرانية تنطلق فى سياق وفى أفق هذا البعد المهدوى. والفكر الموجه للدولة هو فكر ملازم لهذا البعد المهدوى إذ لا يمكن تسيير الجمهورية الإسلامية عن طريق فلسفة سياسية لا تتجاوز دائرة العقل الوضعى ولا تتجاوز دائرة التجربة بالمعنى الامبريقى للتجربة (النزعة التجريبية)، أى ربط الممارسة السياسية للجمهورية الإسلامية بمحدودية طريقة المحاولة والخطأ، وهنا تتجلى الحقيقة العقائدية والمعرفية والسياسية لولاية الفقيه ولعلاقتها بالتجربة السياسية من موقع التنظير والتوجيه، [٨] فالاجتهاد الذى يقود هذه التجربة يجسد فكرا ورؤية سياسية

خارج الحداثة، فالحداثة فصلت بين الدولة والدين وأصبح هذا الفصل من البديهيات فى حين أن الفكر الموجه للتجربة السياسية فى إيران هو فكر مبنى على "التجاوز": تجاوز العقل لا نفيه، هذا التجاوز يتم انطلاقا من الفقه الذى تتم إعادة صياغته فى إطار أصول الفقه وفى أفق الانفتاح على علم الكلام والفلسفة والعرفان. لذلك لا يمكن فهم ما يجرى فى إيران ولا يمكن فهم حقيقة الممارسة السياسية للدولة وحقيقة مواقفها دون ربط السياسة بالبعد الروحى، يقول كريستيان جانبى(Christian Jambet) فى هذا السياق وفى تقديمه لكتاب: زمان بين الأزمنة لليلى أشغى:"... ترى الكاتبة بأنه لا يمكن فهم معقولية أحداث الثورة الإسلامية والوقائع السياسية دون الانطلاق من الميتافيزيقا".[٩]

وتجدر الإشارة إلى أن العرفان لا يعطى أو يضيف الطاقة التجاوزية للشريعة بل يجسد هذه الطاقة ويعبر عنها. فالإمام الخمينى كان دائما يؤكد على علاقة التفاعل لا التنافر أو التناقض بين الشريعة والحقيقة. فاجتهاد الولى الفقيه الذى يقوم على هذه العلاقة التفاعلية بين الشريعة والحقيقة هو اجتهاد لا يعرف النهاية. أى هو اجتهاد ينتج فكر التجاوز. والتجربة السياسية التى يوجهها هذا الاجتهاد هى تجربة تؤسس لدولة المسافات البعيدة، فالتجربة السياسية فى الأفق المهدوى تقتضى هذا النظام المعرفى، فالنظام المعرفى الذى يتم فى إطار العقلانية الوضعية أو فى إطار النزعة التجريبية يتناقض مع التجربة السياسية فى إيران ولا يتمكن من فهمها، فهو نظام معرفى "محجوب" فالوجود السياسى الإيرانى هو وجود سياسى مهدوى. فالتجربة السياسية فى إيران اليوم تمهد لكونية ذات مصدر إلهى، تمهد لكونية تجسد مشروع كل الأنبياء عليهم السلام لذلك لا يمكن فهم هذه التجربة فى الإطار الضيق للسياسة بمعنى فن الممكن، فالسياسة فى إيران هى دائما سياسة المواقف الكبرى، فكل الأحداث التى وقعت منذ قيام الثورة الإسلامية وكل مواقف الجمهورية الإسلامية تدل على ذلك: القضية الفلسطينية عزل بنى صدر،

قضية الرهائن، الحرب المفروضة وحروب الخليج، الحصار، الملف النووى والوقوف الحاسم واللامشروط مع المقاومة فى لبنان وغزة. فالسياسة هنا تنطلق من الواقع، فهى ليست أحلام المدن الفاضلة، ولكنها تتجاوز "الممكن" لأنها تقوم على أساس "الواجب" فهى ليست وجودا فحسب بل صيرورة كذلك. هذه هى الحقيقة المهدوية لسياسة النظام السياسى الإيرانى فى هذا العصر. فالتجربة تفكر بالمستقبل وتفكر المستقبل. ومعنى هذا أن الثورة الإسلامية ليست محدودة بزمانها، زمان تفجير الثورة، زمان الغليان العاطفى. فحقيقة الثورة الإسلامية وحقيقة الدولة المجسدة لها لا يمكن فهمها دون وضع الثورة فى إطارها العقائدى وفى زمانها التاريخى ومكانها الجيوسياسى، فكل هذه الجوانب متفاعلة ومتكاملة. لقد جاءت الثورة الإسلامية فى مرحلة تاريخية ظن مفكروها بأن كل شىء قد تم تنظيره بصورة نهائية: فالاشتراكية ثورة نموذجية والديمقراطية الليبيرالية تجسد المثل الأعلى فى المجال السياسى والاقتصادى، وهيجل وماركس لا يمكن تجاوزهما فى المجال السياسى. أما الميتافيزيقا (وجود الله ووجود العالم الآخر وخلود الروح) فقد انتهت باسم العلم وباسم العقل الوضعى فلا يمكن تجاوز كانط (Kant)، لكن لا يمكن تجاوز أ.كونت (A.Comt) كذلك فانتهت الفلسفة إلى إجابة غريبة على تساؤلات الإنسان: العدمية والعبث. وجاءت الثورة الإسلامية على أساس خلفية عقائدية تربط السياسة بالدين، أى على أساس عقل يتناقض مع عقل الأنوار لأن العقل المفجر للثورة وللدولة فى إيران هو عقل منفتح على الغيب وينظر للثورة وللدولة من موقع انفتاحه على الغيب، فدخلت الأمة فى مرحلة جديدة هى تفاعل الزمان التاريخى والزمان السياسى مع الزمان المهدوى، [١٠] هذا التفاعل حول السياسة إلى سياسة مهدوية والفكر الإسلامى المعاصر إلى فكر مهدوى أى فكر النقد والتجاوز والتجديد خارج العقل الوضعى. فمن جملة عطاءات المهدوية فى المجال الفكرى والسياسى:

١. أن الإنسان لا يقف حيث يقف عقله، فمفهومها العدمية والعبث لا يشكلان إجابة على تساؤلات الإنسان بل يشكلان سؤالا يقتضى الإجابة وفتح المجال للمعنى.

٢. أن الدولة فى إيران تمارس عملها لتجسيد مشروع منفتح على مستقبل موعود من موقع اقتناع إيمانى وليس مشروعا تتم ممارسته فى حاضر مغلق ليس أمامه إلا المجهول ورعب المستقبل، على غرار علاقة الشعوب الغربية وأنظمتها السياسة بالمستقبل.

٣. التجربة السياسية فى إيران تتم ممارستها على أساس المعنى التعبدى للسياسة عكس الأنظمة السياسية الغربية التى تمارس السياسة فى حاضر مغلق وفى جو عدمى أدى إلى موت السياسة.

٤. الديمقراطية فى الغرب تتم ممارستها فى جو عدمى حولها إلى ديمقراطية الفرع، هذه الصفة الجديدة للديمقراطية أصبحت موضوعا متداولا للبحث والتحليل فى الفكر السياسى الغربى فى هذه السنوات الأخيرة.[١١]

٥. لقد طرحت التجربة السياسية فى إيران رؤية جديدة إلى الديمقراطية على أساس دينى وشعبى يضع الديمقراطية فى حركة تاريخية تسير نحو تجسيد مشروع كونى، فإذا كانت الديمقراطية فى الغرب لا مرجعية لها إلا الواقع الذى تعبر عنه الأغلبية فإن الديمقراطية فى إيران ترتكز على مرجعية (الشعب والأغلبية) مرتبطة بما يتجاوزها (الأحكام والقيم الدينية).

٦. بذلك كانت هذه الديمقراطية ديمقراطية الآفاق، أى ديمقراطية تفعل العمل السياسى فى أفق المستقبل أى فى أفق المهدوية الموعودة.

٧. وهكذا يمكن القول بأن الثورة الإسلامية أسست عن طريق الدولة مرحلة مفصلية من مراحل الزمان المهدوى: مرحلة التمهيد للظهور.

لقد استوعبت ولاية الفقيه فى إيران مبدأ الإسلام دين ودنيا ودين ودولة استيعابا من

موقع ربط التجربة السياسية بمتطلبات الدين على أساس شعبى وفى أفق مستقبلى يعطى للتجربة الهدف الذى يوجهها ويحفظها من الانحراف، بل ويحفظها من العياء و الإحباط على اعتبار أن هذا الهدف ليس مجرد تخمين فكرى أو تنظير للمستقبل على غرار فلسفات التاريخ، بل هو هدف عقائدى.[١٢] إن استيعاب ولاية الفقيه لمبدأ الإسلام دين ودولة على أساس شعبى ومهدوى أعاد الثقة إلى الشعب الإيرانى وفعل طاقته الروحية والعاطفية تجاه الأمة ومصيرها. وهذا على عكس دولة "الزعيم" التى قتلت فى المسلم الحماس والتطلع. فدولة الزعيم ليست دولة بل هى مجرد قوة مسيطرة. وهكذا فقيادة التجربة السياسة تشخص طبيعة العلاقة مع الواقع ومع الأحداث ومع متطلبات المرحلة وتوضح الطريق الذى يؤدى إلى الظهور ويمهد له. فولاية الفقيه تفعل علاقة الأمة مع الهدف أى مع الأفق المهدوى عن طريق الدولة: دولة المؤسسات، العلاقة مع الأفق المهدوى تقتضى الحماس والغليان العاطفى والالتزام العقائدى الذى يتجاوز حدود قبول الفكرة أو النظرية والإيديولوجيا ومن هنا ضرورة شعبية النظام السياسى الذى يقود الأمة فى عصر الغيبة خاصة فى مرحلة التمهيد للضمور. إذ لا يمكن تصور نظام سياسى يربط الأمة بالمستقبل الموعود عن طريق نظام ثيوقراطى أو نظام أمنى يقوم على الحزب الواحد. لذلك كان النظام السياسى فى إيران نظاما دينيا شعبيا، فطبيعة النظام السياسى متلازمة مع طبيعة المستقبل الموعود، فلا يمكن مثلا أن تكون دولة الانتظار وتفعيل الانتظار دولة اشتراكية أو رأسمالية، ولقد استفاد الإيرانيون من اللحظة التاريخية فتبنت ولاية الفقيه المفاهيم والقيم السياسية الغربية كالتداول على السلطة والتعددية والانتخاب والديمقراطية والجمهورية، تبنت هذه المفاهيم والقيم بعد نقدها وإعادة صياغتها حسب متطلبات الإسلام واهتمامات الأمة. فالزمان السياسى تحرك فى إيران حسب متطلبات الزمان المهدوى والزمان التاريخى. فولاية الفقيه لم تستغرقها اللحظة التاريخية حتى تسعى

إلى التوفيق المنفعل بين الإسلام والاشتراكية أو بين الإسلام والديمقراطية الليبرالية بل على العكس فإنها أبدعت رؤى جديدة فى المجال السياسى من موقع النيابة القائمة على الاجتهاد. فقد حررت السياسية من الأزمة القاتلة، فمن التنظير الغربى لموت السياسة وديمقراطية الفراغ فتحت ولاية الفقيه السياسية على الغيب أى على الأفق الذى لا نهاية له وأسست لديمقراطية المعنى والفعل: الديمقراطية الدينية (الحكومة الدينية الشعبية) التى تقوم على مبدأ الأغلبية فى إطار الدين. أو بالتعبير الفلسفى فى إطار ما يتجاوز الأغلبية: التعالى أو الغيب. فالسياسة تقوم على التجاوز لأن الأفق المهدوى الذى تنفتح عليه هو أفق يتجاوز منطق حركة التاريخ دون ينفيها. لذلك تتميز السياسة فى إيران بطابع الثورية الجذرية التى تؤسس لتاريخ معاكس أى لحركة تاريخية ذات أفق مهدوى. وذلك فى عصر هيمنة لا مثيل لها فى تاريخ البشرية.

فالسياسة التى تمارسها الجمهورية الإسلامية ليست سياسة نظرها عقل يكفى نفسه بنفسه، بل تتم صياغتها فى أفق مهدوى ومن طرف عقل متفتح عن الغيب، أى منفتح على ما يتجاوز، فولاية الفقيه أسست لسياسة تقوم على تفاعل الشريعة مع الحقيقة[١٣] فالإمام الخمينى أعاد صياغة السياسة وأعاد صياغة العرفان[١٤] وهذا ما فتح المجال فى إيران لممارسة وتنظير السياسة كعبادة ولتنظير جديد للعرفان فى علاقته التفاعلية مع السياسة. لذلك تتميز الدولة فى إيران عن كل دول العالم بأنها تمارس العمل السياسى على أساس التغيير لا على أساس التسيير وحده، فالمرجعية الدينية للسياسة وقيادة ولاية الفقيه والتلازم التفاعلى بين الشريعة والحقيقة وعلاقة السياسة بالعرفان كل ذلك أسس لرؤية جديدة إلى السياسة تتخذ فيها السياسة طابعا مهدويا أى طابع التطلع إلى المشروع الكونى لا التغيرات الجزئية والظرفية. فعلى أساس هذه الخلفية أسست الجمهورية الإسلامية فكرا مقاوما بدلا من الفكر الاستسلامى (تدعيم إيران للمقاومة

فى فلسطين ولبنان وعلاقة سياسية مدعمة للشعوب والدول المستضعفة).

وهكذا أصبح الوجود الإيرانى منذ الثورة الإسلامية وجود كونيا أى وجودا سياسيا بالمعنى التعبدى والمهدوى للسياسة، فمصير إيران هو مصير الأمة الإسلامية بل هو مصير البشرية كلها لأن السياسة هنا هى سياسة ذات أفق مستقبلى كونى، سياسة متفاعلة مع المستقبل الموعود لا يمكن استيعابها وفهم حقيقتها عن طريق نظرية نهاية التاريخ أو نظرية صدام الحضارات، ففى "قم" نهاية النهاية ونفى النفى الذى ينتج الإثبات، فقم انتصرت على نهاية التاريخ وعلى موت السياسة لأنها صاغت رؤية جديدة إلى السياسة تتفاعل مع رؤية جديدة إلى التاريخ أى مع رؤية جديدة إلى المستقبل لا يمكن أن تنسجم مع التاريخ القائم. أى لا تنسجم مع هذا العصر الذى فصل بصورة نهائية بين الدين والسياسة وغلق الحدود الكونية فى الغرب عن طريق نهاية التاريخ وأنهى زمان الثورات الكبرى وكل ثورة بموت السياسة، فلم يبق إلا التسيير: تسيير الواقع القائم. لكن الثورة الإسلامية قامت: وهى واقع والدولة الإسلامية تأسست: وهى واقع لذلك يحق لنا أن نؤكد بأن "كل واقعى معقول، وكل معقول واقعى" ولكن ليس فى أفق الجدلية الهيجيلية والماركسية، بل فى أفق "تاريخ معاكس" أى أفق الانتظار.

فنحن هنا أمام رؤية جديدة إلى السياسة، فالسياسة ليست التمسك بالسلطة وليست مجرد تسيير، فالسياسة لا يتم تنظيرها عن طريق "الظاهر" الذى حولته الرؤية المبتذلة والمنحرفة إلى ظاهر محدود وساكن (فضحته غزة) بل عن طريق ظاهر متفاعل مع الباطن فى سياق علاقة تكاملية بين الشريعة والحقيقة، فهذه هى حقيقة العلاقة بين السياسة والعرفان فى اجتهاد ولاية الفقيه وهذه هى الحقيقة التعبدية والمهدوية للتجربة السياسية فى إيران اليوم.

وهذا ما أعطى للفكر الإسلامى المفجر للثورة المسافة تجاه الواقع والأحداث، وهى

مسافة مكنته من النظر إلى كل مهدويات الحداثة، وما بعد الحداثة من مهدوية هيجيلية وماركسية أو مهدوية غربية أمريكية اليوم، على أنها مهدويات التشاؤم والهدم.فهى تؤسس لزمان بلا غد أى لزمان مغلق ولهدم مطلق.[١٥] فبنية الفكر الغربى لا تمكنه من فتح أفق جديد أمام الموت والنهايات: موت السياسة ونهاية التاريخ. فهو فكر لا يتجاوز " الإنسان كائن من أجل الموت" كما يقول سارتر، ولا يتجاوز مهدوية هيجل التى ترى فى الجدلية المعنى الوحيد لمواساة البشرية يقول. برنار هنرى ليفى فى هذا السياق:"إن كل ما يمكن قوله الآن هو أن زوال المعنى ليس مجرد فكرة مجردة أو فكرة تخص ذات الفرد بل هو واقع نعيشه فهناك عدمية فاعلة نعيشها اليوم"[١٦] وهكذا فتغييب التعالى أدى إلى هيمنة المحايثة وغياب الآفاق. ففى إيران أرض الكونية التى تضرب بجذورها فى العمق العقائدى والتاريخى للأمة الإسلامية فجر حضور التعالى الثورة وأسس الدولة وكشف عن زيف مهدويات الجدلية والعدمية.

مهدوية الإيديولوجيا ومهدوية العقيدة:

وهكذا فالدولة المرتبطة بالمهدوية عاقائديا، أى الدولة العقائدية ليست كالدولة الإيديولوجية، يجب التحفظ فى استخدام المفاهيم لأن الإيديولوجيا غير العقيدة، فالإيديولوجيا من صنع الإنسان والتاريخ أما العقيدة فى المنظور الإسلامى فهى ذات مصدر فوق –تاريخى وفوق- إنسانى. لذلك فإن زمان الدولة الإسلامية فى إيران هو زمان التداخل والتفاعل بين الروحى والسياسى، خاصة وأن هذه الروحانية لها خصوصيتها، فهى ليست روحانية مريحة وتعويضية عن قساوة الواقع، فالروحانية هى روحانية جهادية، كما أن تمفصل الروحى مع السياسى ليس متروكا لأى تأويل. فالتمفصل يتم عن طريق ولاية الفقيه كنيابة واجتهاد. أى من خلال الفقه ذى الأفق

المهدوى فى عصر الغيبة. فقيادة ولاية الفقيه والأفق المهدوى للدولة يحفظان الروحانية والعرفان الملازم لها من أن يتحولا إلى إيديولوجيا الانعزال عن الواقع والابتعاد عن حركة التاريخ. فالأمة من منظور ولاية الفقيه تخرج عن طريق الروحانية والعرفان من التاريخ الذى يهيمن عليه الأقوياء لتصنع تاريخا آخرا: تاريخا معاكسا عن طريق التجربة السياسية ذات الأفق المهدوى، فإذا كان العرفان قد شكل خطرا على الكنيسة وأسس لإيديولوجيا الخروج من التاريخ فإنه فى الثقافة الإسلامية التى أعادت صياغتها ولاية الفقيه قد فتح المجال أمام الاجتهاد للإبداع وتفجير الثورة وتأسيس الدولة.

لقد طرح عقل الأنوار مفهوم التقدم كبديل للمهدوية المسيحية فحلت المهدوية الإيديولوجية محل المهدوية العقائدية[١٧] وعلى العكس من هذه الرؤية فإن الفكر المفجر أن للثورة والمؤسس للدولة فى إيران تجاوز هذه الثنائية بين الدين وحركة التاريخ حيث الأفق المستقبلى هو أفق مهدوى لا يتناقض مع عقائدية الدولة وشعبيتها بل هما جانبان متلازمان ومتفاعلان. فالأفق المهدوى هو من العوامل والأسس الجوهرية فى تفجير الثورة واستمرارية الدولة فى خط الثورة، فالعلمنة هنا لا معنى لها لأن السياسة والتقدم والثورة وتأسيس الدولة على أسس دينية وشعبية: كل ذلك يستمد طاقته المعيارية والعاطفية والمفاهيمية من العقيدة الإسلامية. من علاقة الشعب الإيرانى بالإمامة وبالأفق المهدوى من خلال قيادة ولاية الفقيه كنيابة لا كمجرد قيادة أو زعامة سياسية.

لقد أصبحت أكثر الشعوب لا يتشكل زمانها عن طريق دينها. ففى الغرب مثلا الزمان ليس زمانا مسيحيا وإلا بصورة شكلية ونفس الأمر بالنسبة للشعوب الأخرى تقريبا باستثناء الشعوب الإسلامية فإن زمانها يتشكل عن طريق الزمان الإسلامى مع العلم بأن إسلامية هذا الزمان قد تكون صورية فى بعض جوانبها، إن لم نقل فى أكثر جوانبها، لأن الأنظمة السياسية تسير فى خط إيديولوجى لا فى خط عقائدى أى

إسلامى، فزمان هذه الشعوب ليس زمانا إسلاميا إلا بصورة شكلية كالأعياد وغيرها، وهنا يستثنى فى هذا العصر، الشعب الإيرانى والدولة الإيرانية حيث أن علاقة الزمان السياسى بالإسلام أو الزمان الإسلامى، هى علاقة عقائدية وسياسية معا. أو هى علاقة سياسية فى إطار عقائدى وليست مجرد علاقة سوسيولوجية فى إطار إسلام سوسيولوجى.[١٨] ويعبر عن هذه العلاقة بولاية الفقيه والحكومة الدينية الشعبية أى الجمهورية الإسلامية، [١٩] فزمان الدولة الإيرانية هو زمان إسلامى وذلك أن الرجوع إلى الأصل أى الرجوع العقائدى (لا الإيديولوجى التبريرى) إلى النبوءة عن طريق الإمامة والتطلع العقائدى إلى المستقبل عن طريق الإمام الموعود، كل ذلك يختلف عن الإسلامات السوسيولوجية الملازمة للأنظمة السياسية فى العالم الإسلامى وهى إسلامات تتناقض مع الإسلام العقائدى الذى تستبطنه الشعوب عن ثقة إيمانية وتتناقض مع الإسلام العقائدى الذى تمارسه التجربة السياسية فى إيران عن طريق قيادة ولاية الفقيه، فإيران تعيش عن طريق ولاية الفقيه، فى عمق الزمان المهدوى، فزمانها زمان إسلامى، فمهدوية الدولة الإيرانية هى المهدوية الوحيدة التى تتجاوز فى هذا العصر الأفق الزمانى الذى يهيمن عليه الحاضر، فكل المهدويات تخلت عن الآفاق التى تتجاوز أفقها المحدود بالعدم من جراء التخلى عن الألوهية وعن الغيب، لذلك تحولت هذه المهدويات إلى "مهدويات عكسية". فبدلا من التطلع إلى المستقبل رجعت إلى الماضى، إلى ماضى خيالى ومصطنع باسم العرق والقومية. لذلك تحولت إلى سياسة بالمعنى المتبدل. وهذا أدى إلى اعتبار "العقل الجيوسياسى" كعقل قائم بذاته ومهيمن على العلاقات الدولية والعلاقة بين الشعوب والثقافات. وقد انتهى الفكر السياسى الغربى والممارسة السياسية إلى التنظير لخطاب النهايات (نهاية التاريخ ونهاية الإيديولوجيا والسياسة ونهاية الصراع الطبقى) [٢٠] وقد هيأت الكونية القائمة على القورة لهذه الأزمة، أزمة النهايات فى

هذه المرحلة التاريخية مرحلة النهايات طرحت الدولة الإسلامية فى إيران قيما ومفاهيم سياسية جديدة تتجاوز الإيديولوجيات. لاشك أن الفكر الغربى حاول التنظير لقيم ومثل عليا "لما بعد الإيديولوجيا".[٢١] غير أن هذا التنظير يفتقر إلى المرجعية التى تؤهله لقيادة حركة التاريخ وتوجيهها، فهذا التنظير هو بدوره نتاج هذه الحركة ولا يتمتع بالمسافة التى تعطيه سعة الأفق والقدرة على المبادرة والتوجيه، فالتنظير هنا أصبح مجرد إيديولوجيا ميتة داخل موت الإيديولوجيات، أى موت الرؤية المستقبلية أو المهدويات المتعلمنة.

فلم يبق أمام الفكر العربى إلا اللف والدوران عن طريق استخدام مصطلحات المراوغة كالتطرف والإرهاب ودول الاعتدال. فهذه المفاهيم سقطت سياسيا وسقطت فكريا من حيث هى مفاهيم ملازمة للمواقف الاستعلائية للغرب، فدول العالم الإسلامى التى تسير فى هذا المسار هى دول منفصلة عن شعوبها. فى هذا السياق تتجلى قدرة الفكر الإسلامى المؤسس للدولة فى إيران على التنظير لما بعد الإيديولوجيات وعلى التنظير لما بعد موت السياسية وموت الإيديولوجيا. وتعتبر الثورة الإسلامية بداية لمرحلة ما بعد الإيديولوجيا ولما بعد بعد الحداثة. فوجود دولة إسلامية عقائدية فى إيران اليوم يدحض كل المهدويات الوضعية وكل مهدويات التقدم ومهدويات النهايات. فهذه المهدويات لم تكن تتصور بل لم تكن تتخيل قيام ثورة وتأسيس دولة على أساس دينى. فى حين أن الأساس الدينى هو الذى يعطى للفكر المؤسس والمسير للدولة فى إيران القدرة على طرح البديل والتأسيس لمرحلة ما بعد موت السياسية وموت الإيديولوجيا.

وهكذا فالحقيقة المهدوية للدولة فى إيران لا تكمن فى تطلعها إلى عصر الظهور فحسب بل هذه الحقيقة المهدوية تكمن فى مجرد وجود مثل هذه الدولة أولا ثم فى

ممارستها ومواقفها ثانيا، فالثورة الإسلامية لم تؤسس دولة فحسب بل أسست لمرحلة تاريخية جديدة من مراحل عصر الغيبة هى مرحلة التمهيد لعصر الظهور. لذلك يمكن القول بأن الدولة الإيرانية هى دولة كونية فى مرجعيتها وفى تطلعها وفى ممارستها السياسة ومواقفها من القضايا الإقليمية والدولية.[٢٢]

الجمهورية الإسلامية هى الدولة الوحيدة التى تمتلك مستقبلا فى هذا العصر، عصر الأنظمة السياسية القومية والوطنية والفئوية أو عصر الدول الغربية الاستعلائية التى لا تتجاوز حدود المصالح. فالتركيبة العقائدية للجمهورية الإسلامية قد دفعت بالممارسة السياسية منذ قيام الثورة فى مسار الدفاع عن القضايا الكبرى.

فإيران لا تدافع عن نفسها فحسب بل تدافع عن الأمة الإسلامية وعن الإنسانية كلها. إنها كشفت عن ضعف القوة...فبقدر ما تقترب الممارسة السياسية من الموقف الإسلامى بقدر ما تكون كونية وذات مستقبل موعود. فالزمان المهدوى يجعل الوقت فى غير صالح أعداء الجمهورية الإسلامية.

لذلك يمكن القول بأن السياسة فى إيران قد تجاوزت، بفضل عقيدتها المهدوية، كل الفلسفات التى اتخذت صورة المهدوية التى لا يمكن تجاوزها. فالرؤية السياسية التى تقوم على أساسها الدولة الإيرانية قد تلتقى فى بعض جوانبها ببعض الرؤى السياسية عند كبار الفلاسفة من أمثال هيجل وغيره، ولكن هذا الالتقاء يتم من موقع التجاوز والاستيعاب. فالجمهورية الإسلامية تحررت منذ تأسيسها من منطق ثنائية الاختيار بين الرؤى السياسية الغربية. فالسياسة لها معنى وهدف وليست مجرد أداة، فالسياسة تحقق الحرية لذلك أصبحت ملك للشعوب، أو يجب أن تكون ملكا للشعوب، غير أن الشعوب الغربية بمجرد أن تحولت الحرية إلى واقع يومى لم تعرف هذه الشعوب كيف تمارس الحرية لأن الرؤية السياسية المجسدة لهذه الحرية هى رؤية ناقصة بسبب غياب المعنى:

معنى الكون والإنسان. وبسبب غياب القيم الملزمة، وقد أدى هذا إلى العدمية: الإنسان حر ولكنه لا يعرف ماذا يفعل بالحرية فى الواقع الحى الذى يعيشه.[٢٣]

وهكذا فالفلسفة السياسية انتهت فى هذا المسار العدمى إلى منتهاه عند نيتشه. وعلى عكس هذا المصير العدمى والعبثى للسياسة وللمهدوية المؤسسة لها، فإن السياسة الملازمة للمهدوية الإسلامية تجسد عن طريق الثورة والدولة فى إيران، الحرية على أساس الصرامة المبدئية والصرامة العقلية. فالسياسة فى إيران ليس ميدانها ما هو نهائى كما يرى هيجل. فالجمهورية الإسلامية تمارس السياسة (أو تحاول أن تمارسها) على أنها عبادة. فالنظام السياسى بقيادة ولاية الفقيه أسس لانتظار مبنى على السياسة كعامل أساسى وضرورى اتخذ معنى الواجب والعبادة. وهكذا فبدلا من العدمية هناك المعقولية العقائدية للفعل السياسى الذى يتم فى أفق مهدوى كونى يعمق المعنى ويعمق الطاقة التحريرية للسياسة، فلا وجود فى هذا السياق لمنطق ثنائية الاختيار بين الرأسمالية والاشتراكية[٢٤] أو بين هيجل ونيتشه. فالسياسة المهدوية ليست شرقية وليست غربية بل هى سياسة مهدوية عقائدية وكونية تتجاوز كل المهدويات ذات المرجعيات المحايثة. وهذه الرؤية قد طرحها الإمام الخمينى﵀ منذ بداية الثورة من خلال المبدأ الذى يتجاوز حدود الشعار، ويتخذ معنى المفهوم المؤسس لرؤية سياسية جديدة ولنظام سياسى جديد: "لا شرقية لا غربية، جمهورية إسلامية".

وهكذا فقد أخطأ المنظرون لنهاية الإيديولوجيا لأنهم لم يميزوا بين الإيديولوجيا لأنهم لم يميزوا بين الإيديولوجيا والعقيدة. فالتاريخ كشف فى هذا العصر عن حقيقة مهدوية الإيديولوجيا حيث تبين بأن هذه الإيديولوجيات هى إيديولوجيات قاتلة والكونية الملازمة لها هى كونية قاتلة، فالإيديولوجيا تستمد وجودها من التاريخ كمرجعية مطلقة ومن هنا عجزها عن "تجاوز" الأحداث ورضوخها إلى ثقل التاريخ ومحايثته. وفى حين

أن العقيدة مصدرها فوق تاريخى فهى تعطى المسافة والمبادرة للإنسان تجاه حركة التاريخ. فمهدويتها هى مهدوية "التجاوز" والثورة والتغيير لامهدوية التبرير والموت والنهاية.

وتجدر الإشارة إلى أن الاجتهادات المنحرفة الملازمة للسلطات المنحرفة تحول العقيدة إلى مجرد إيديولوجيات. لكن الاجتهاد الحقيقى المبنى على العلاقة التعبدية والعقلية بالنص، أى ولاية الفقيه، يؤطر علاقة الفكر بالنص لكى لا تفقد العقيدة حقيقتها الإلهية وتفتقد دورها فى تغيير الأمة وتوجيهها نحو المستقبل الموعود.

لاشك أن هناك تغيرات كبرى وقعت على أسس إيديولوجية إلا أنها وقعت فى اللامعنى لذلك فلا أفق لها على المدى التاريخى. فالطريق يبقى مسدودا أمام هذه التغيرات. فهناك انسداد لأن الفكر الغربى عاجز عن القيام بمراجعة نقدية وجذرية لبديهياته ومسلماته. فهناك انسداد إيديولوجى يمنع الفكر الغربى من اللحاق بالفكر المهدوى الذى فجر الثورة وأسس الدولة الإسلامية فى إيران فى هذا العصر.

فالأنظمة السياسية الغربية مازالت تتخذ موقعها داخل "مهدوية" العقل الكونى كما نظره هيجل.[٢٥] فالسياسة فى هذا السياق هى سياسة تسحق الفرد وتذيبه فى كل عملاق ومجهول هو المجتمع أو التاريخ أو الواقع المهيمن. فالمهدوية الهيجلية لا يمكن أن تؤسس لنظام سياسى يعبر عن تطلعات الشعوب لأنها مهدوية تنفى تعددية القوميات والثقافات. فمهدوية العقل الكونى هى تبرير فلسفى وإيديولوجى لاستعلاء الغرب. وقد نظرت تنظيرا مبتذلا لمفهوم آخر الزمان أى لنهاية التاريخ التى حولت "الظهور" إلى طريق مسدود وإلى مقبرة للمعنى.

فى مقابل هذه المهدوية تتجلى حقيقة وأهمية وثروة المهدوية الإسلامية المبنية على الغيبة والانتظار والتطلع المبنى على علاقة ذاتية وشخصية بين الأمة والإمام المهدى عجل الله فرجه

وبين كل فرد والإمام. هذه العلاقة الشخصية والذاتية تؤسس لسياسة غير سياسة العقل الكونى وغير سياسة الدولة الكونية بالمفهوم الهيجلى.[٢٦] فهذه السياسة "مبنية للمجهول" ولا يمكن أن تنتج إلا الاستبداد وقهر الشعوب. فباسم العقل الكونى، أى باسم الحداثة، تم استعمار الشعوب وإبادتها. فالمهدوية الإسلامية تؤسس، وقد تأسست بالفعل فى إيران للسياسة بمعنى جديد: لسياسة ذات معنى تعبدى أى للسياسة التى تتبع من ذات الفرد ومن المجتمع عن اقتناع داخلى أى اقتناع إيمانى، فإذا كانت مهدوية العقل الكونى قد أنتجت ديمقراطية الفراغ[٢٧] وموت السياسة وموت الثورة، فإن المهدوية الإسلامية هيأت الأرضية لسياسة التطلع لا سياسة الضغط: ضغط العقل الكونى أو ضغط الضمير الجمعى، أى سياسة لا أفق لها إلا لمجهول والرعب من المستقبل وغياب المعنى مقابل سياسة المعنى والآفاق: معنى الديمقراطية الدينية (أو الحكومة الدينية الشعبية) وآفاق التطلع نحو المستقبل الموعود.

لقد أصبحت الفلسفة السياسية فى الغرب تكرر تجسدات نهاية التاريخ من نابليون[٢٨] إلى لنين إلى الديمقراطية الليبرالية التى نظر لها فكوياما على أساس نهاية التاريخ. إن إنهاء التاريخ أى إنهاء النموذجية فى نظام سياسى أو فى شخص معين يذكرنا، من بعض الوجوه، بنظرية "السلطان المطاع" و"المستبد العادل" التى نظر لها الغزالى والماوردى وكثيرا من الفقهاء فى تاريخ الأمة، وعلى عكس هذا الجو العبثى والعدمى تتميز المهدوية الإسلامية بالحضور المكثف والقوى للمعنى، فالمعنى مرجعية للمعقولية وللفعل لأن الشعوب لا تتحرك وتثور وتغير أوضاعها إلا باسم المعنى، فالمهدوية الإسلامية تعطى المعنى للتاريخ وتعطى نتيجة لذلك، المعنى للسياسة والدولة. فى الفلسفة الغربية أدى غياب المعنى إلى موت الثورة وموت السياسية، أما فى الفلسفة السياسية الملازمة للمهدوية الإسلامية فحضور المعنى فجر الثورة وأسس الدولة وأعاد الحياة إلى

السياسةز فالانتظار فجر الثورة وأسس الدولة فى إيران لأن الانتظار "معنى" فى حين أن المهدويات التى تخلو من المعنى (مهدويات الإيديولوجيا) أصبح التطلع من خلالها إما رعبا من المستقبل ومن المجهول أو حلما تعويضيا لا تطلعا إلى مستقبل موعود.

إن الثورة الإسلامية ثورة مهدوية أى ثورة الآفاق الواسعة والبعيدة لذلك فهى لا تعرف التركيب على الطريقة الهيجلية والماركسية. فهى ليست مجرد تركيب هادئ ومنفعل لأطروحة ونقيضها لأن الثورة الإسلامية تجاوز مستمر للتاريخ كواقع مهيمن تفرضه الشعوب القوية.والسياسة الملازمة للثورة الإسلامية هى سياسة التجاوز وليست سياسة فن الممكن فحسب أو سياسة التوفيق بين الإسلام والرأسمالية أو بين الإسلام والاشتراكية. ومكتسبات الثورة هى بدورها مكتسبات تتجاوز الحاضر والمرحلة ولا يمكن معرفة أهمية دورها وآثارها ونتائجها إلا بوضعها فى سياق الأفق الذى تنزع نحوه وتمهد له.

وهكذا فالسياسة المهدوية لا تنهى التاريخ الكونى وتغلقه وتذيبه فى الدولة على غرار الرؤية الفلسفية الهيجلية. فالدولة وسيلة وحركة نحو ما يتجاوزها. هذه الرؤية إلى السياسة وإلى الدولة هى التى جعلت الممارسة السياسية فى إيران تتجاوز الحدود الوطنية والقومية وتنفتح على العالم. فالممارسة السياسية فى إيران تنم فى سياق كونى عن طريق التطلع نحو مستقبل كونى يشمل البشرية كلها.

فإذا كانت فلسفة هيجل السياسية قد انتهت إلى تبرير القومية وأحيانا، وبصورة غير مباشرة إلى تبرير العرقية والنازية باسم مرجعية "عقلانية وواقعية" التاريخ فإن الأساس العقائدى والنظرى للدولة الإيرانية والأهداف التى تتطلع نحوها، كل ذلك جعل هذه الدولة دولة كونية من حيث القيم ومن حيث الهدف، فهى دول تكسر نظرية نهاية التاريخ وتؤسس لحل التناقضات بين الفرد والمجتمع، وبين المجتمع والدولة وبين الشعوب

عن طريق تأسيس التغيير على التعالى (الغيب) لتجاوز مآسى جدلية العلاقة بين السيد والعبد أى بين المستكبرين والمستضعفين. إن تأسيس التغيير على أساس مجتمع يجسد ذواتا واعية لا مجتمع ككل عملاق أو كتلة صماء قائمة بذاتها، بل مجتمع يعبر عن تفاعل "الأشخاص" على أساس مرجعية ضرورية وكافية: الغيب. فهنا تتجاوز السياسة المهدوية "الرغبة فى الاعتراف"[٢٩] لتؤسس العلاقات الاجتماعية والدولية وحركة التاريخ على "العزة" و"التعارف"[٣٠] أى تؤسس السياسية والدولة على رغبة فى الاعتراف تحركها القيم الروحية ويحركها تاريخ يستمد معناه من الله ومن مسؤولية الإنسان كخليفة لله فى الأرض.[٣١] فالدولة فى إيران تسير فى هذا المسار ونحو هذا الأفق: تسير فى تاريخ منفتح على ما يتجاوزه عن طريق السياسة كعبادة أى السياسة التى تؤسس للتعارف الذى يضع تعددية الثقافات ضمن الوحدة البشرية.

وهكذا لا وجود لنهاية للتاريخ بالمعنى الهيجلى والغربى على العموم فى السياسة المهدوية التى تمارسها الدولة فى إيران، أى لا وجود لنموذجية سياسية وحضارية كونية بدون سيرورة (Processus) توحيدية عالمية أى بدون حركة نحو وحدة عالمية لا نحو نموذجية سياسية وحضارية لا تتجاوز الحدود الوطنية أو القومية، فالفلسفة السياسية الغربية عندما تطرح مفهوم نهاية التاريخ فإنها تطرحه على أساس صيرورة كونية (Devenir) للوجود السياسى والثقافى الأوروبى أى الوجود السياسى والثقافى الأوروبى كنموذج للإنسانية وكنموذج للكونية. فالتاريخ الكونى الوحيد حسب هذه الرؤية هو تاريخ الغرب. ومعنى هذا أنه لا وجود لرؤية سياسية كونية أخرى غير الرؤية السياسية الغربية، ولا وجود لمستقبل آخر غير المستقبل الغربى فى صورته الأمريكية. فالكونية السياسية والحضارية الغربية هى قدر محتوم لأن حركة التاريخ تقتضى ذلك.

إن المفهوم الإيرانى، وهو مفهوم إسلامى، للكونية السياسية القائمة على كونية

تاريخية هو مفهوم يستمد معناه من مفهوم الأمة الإسلامية. فالعلاقات الدولية والعلاقات بين الشعوب والثقافات، أى الحركة نحو الوحدة العالمية (الكونية) لا تقوم على الصراع الذى لازم الكونية الغربية حيث أن الاستعمار تم باسم كونية الحداثة وباسم المنظور الغربى إلى التقدم. إن التناقض بين الرؤية الغربية والجمهورية الإسلامية الإيرانية تجلى فى الميدان بكل قوة ووضوح منذ قيام الثورة الإسلامية:[٣٢] الحرب المفروضة وكل أنواع الحصار. ويتجلى فى هذه الأيام من خلال الملف النووى الإيرانى حيث أن السياسة الغربية المسيرة لهذا الملف تجاوزت حدود الابتذال. فخطاب هذه السياسة هو خطاب المراوغة والتهديد واللف والدوران.

فتجاه سياسة الصراع والصدام بين الحضارات تؤسس إيران لسياسة "التعارف" المنتجة للحركة نحو كونية أكثر إنسانية، بل نحو كونية لم يسبق لها مثيل لأنها كونية دولة الظهور التى تتفاعل فيها الثقافات والأعراق والشعوب. فالسياسة هنا ليست "سياسية الرغبة فى الاعتراف" بل "سياسة إنسان والتعارف" الملازمة لحقيقة مفهوم الأمة الإسلامية.

وهكذا فإذا كانت المهدويات الفلسفية والمتعلمنة قد فشلت فى المجال السياسى بزوال الذات فى كل عملاق هو المجتمع ككتلة صماء، وانتهت الديمقراطية إلى أزمة، فإن السياسة المهدوية فى إيران أنتجت ديمقراطية الذات المتفاعلة مع المجتمع ووضعت إيران فى سياق قيادتها للمعركة الكونية بين المستضعفين و المستكبرين بعد فشل فلسفات الجدلية وكل أنواع الصراع الطبقى والقومى والصراع بين الشمال والجنوب.

لقد حولت الفلسفة السياسية الغربية منذ هيجل مفهوم المدينة الفاضلة إلى مفهوم نهاية التاريخ. فأصبحت بدايات الدولة النموذجية تتجسد إما فى يينا (Iena) أثناء غزو نابليون لألمانيا، أو فى موسكو عن طريق لنين وتأسيسه للدولة الاشتراكية. وأخيرا

أصبحت الديمقراطية الليبيرالية التى نظرها فوكوياما بعد سقوط جدار برلين، هى النموذج الاسمى والأخير الذى يجسد منتهى حركة التاريخ. لقد انتقد بعض المفكرين الغربيين هذه الرؤى. فقد أشار الفيلسوف الفرنسى برنار هنرى ليفى إلى إمكانية خطأ أصحاب هذه النظرية، أى هيجل (Hegel) وكوجيف (Kojève) وفوكوياما.[٣٣] غير أن هذا المفكر قد بسط، كغيره من المفكرين الغربيين، تحليله النقدى لمفهوم نهاية التاريخ وأبعاده السياسية ولم يتحرر من استعلائية الفكر الغربى وأحاذيه. فالفكر الغربى ينظر للنموذج السياسى والحضارى الأخير والنهائى دون أية إشارة إلى ما يجرى فى العالم الإسلامى، خاصة الثورة الإسلامية ودولتها والمقاومة فى فلسطين ولبنان، فى حين أن التأسيس للنموذج السياسى والحضارى الكونى قد بدأ فى هذا العصر خارج محور: يينا- موسكو- واشنطن وخارج مفهوم نهاية التاريخ الذى يعبر فى حقيقته عن أزمة الفكر الغربى نتيجة لغياب لمرجعية الضرورية والكافية، فقد أدى هذا الغياب إلى سقوط المطلقات المزيفة والتأسيس لنموذجية سياسية وحضارية لا أساس لها ولا مرجعية لها، ففى هذا العصر، عصر النهايات والطريق المسدود والعبث والعدمية[٣٤] قامت الثورة الإسلامية وتأسست دولتها فى محور المعنى الكونى للتاريخ وللسياسة وللحضارة: محور المدينة المنورة- الكوفة -كربلاء- قم. أى محور النبوءة والإمامة وولاية الفقيه وأفقها الموعود، فقم هى بداية لاستمرارية المعنى للسياسة وللتاريخ بعد موت السياسة واستنزاف طاقة التاريخ. فقم فتحت البشرية على خط النبوءة بعد فشل خط عقل الأنوار وأزمة الحداثة وما بعد الحداثة، أى فتحت قم البشرية على الأفق المهدوى بعد اهتزاز الجدلية وتخبطها فى الطريق المسدود والزمان المغلق الذى يهيمن عليه العبث وتهيمن عليه العدمية.

فقم تجسد منذ قيام الثورة الإسلامية الصراع بين المعنى من جهة والعبث والعدمية من

جهة أخرى والصراع بين سياسة التبرير وسياسة المعنى والتغيير: تغيير التاريخ وتوجيهه نحو الأفق المهدوى. وهكذا فالدولة التى أسستها قم ليست دولة نهاية التاريخ بل هى دولة عودة التاريخ إلى خط النبوة عن طريق الإمامة وولاية الفقيه. وإذا كان النموذج السياسى لمحور يينا- موسكو- واشنطن هو نموذج مرتبط بمثل أعلى لا يكفى نفسه بنفسه يجمد الحركة ويقتل السياسة ويضع النظامين الرأسمالى والاشتراكى فى "متحف التاريخ" بتعبير الإمام الخمينى فى رسالته إلى غورباتشاف، فإن النموذج السياسى الذى بدأت قم فى تأسيسه هو نموذج مرتبط بالمثل الأعلى الحقيقى (الله تعالى) الذى يفتح الآفاق ويحرك التاريخ نحو المهدوية عن طريق سياسة الآفاق.[٣٥]

الدولة والأفق المهدوي: علاقة الدولة بالثورة أو تفاعل الواقعي بالمثالي:

لذلك يمكن القول بأن المثالية فى الممارسة السياسية للجمهورية الإسلامية ليست مجرد شعار، فالمثالية هنا ليست شعارتية بل هى مثالية سياسية تحمل مشروعا، فحقيقة الدولة فى إيران لا يمكن فهمها بدون ربط السياسة بالمشروع، فالتجربة السياسية فى إيران من حيث هى ذات أفق مهدوى تقوم على أساسين: الواقع والمثال. لذلك فهى تجربة تسعى إلى إحداث تفاعل بين تسيير الدولة والمثل العليا للثورة. فالدولة تفكر بالاجتهاد أى بالجاهزية النظرية والتنظيرية التى تربط الثابت بالمتغير والواقع بالمثال. وهذا ما جعل ولاية الفقيه تمتلك الحل للمعادلة الصعبة لعلاقة الدولة بالثورة.

كل دول ما بعد الثورات فى الغرب وقعت فى أزمة تكاد تكون قاتلة، هذه الثورات أنتجت دولا ذات كونية قاتلة.[٣٦] فالسياسة أصبحت فى أزمة بل الفلسفة السياسية الغربية أصبحت فى أزمة. إيران هى الأخرى ذات دولة كبرى لأن الجمهورية الإسلامية دولة الثورة أى دولة القضايا الكبرى والمصيرية فى إيران وفى العالم الإسلامى وفى العالم كله.

فإيران إذا تخلت عن النظام السياسى القائم على مرجعية ولاية الفقيه ستصبح دولة كسائر دول العالم الثالث أو تصبح دولة إسلامية إسلاما سوسيولوجيا لا إسلاما عقائديا، فتصبح نتيجة لذلك دولة التسيير والخضوع للأمر الواقع لا دولة المشروع والتغيرات الكبرى.

فأى اختلال فى العلاقة بين النظام السياسى وولاية الفقيه يحدث اختلالا بل قطيعة بين الدولة والأفق المهدوى وبين الدولة والثورة وبين الدولة والمجتمع والتاريخ. غير أن من خصوصيات التجربة السياسية فى إيران أن هناك تفاعلا بين الدولة والمهدوية، وهو تفاعل جعل الدولة تتأسس على الكونية لا على ذاتية الحكام ونزواتهم. لذلك تتميز الممارسة السياسية فى إيران بالواقعية والمثالية فى نفس الوقت.

فمهدوية الدولة أى مثاليتها تتجسد عن طريق المؤسسات والقوانين كما تتجسد فى مواقف الجمهورية الإسلامية من القضايا المحلية والإقليمية والدولية، فالفكر الموجه للدولة يحمل فى تركيبته هذه الحقيقة: حقيقة التفاعل بين الغيبة والظهور أى بين الواقع والمثال أى حضور ما هو مثالى فى الواقعى، هذا الفكر هو الفكر الاجتهادى الملازم لولاية الفقيه.

فالانتظار فى إيران أصبح دولة، والدولة أصبحت دولة الآفاق، أى دولة المشروع والثورة والتغيير فى أفق التطلع إلى الظهور. فالمثالية أصبحت عن طريق التأطير العقائدى للتجربة السياسية جزءا من الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وهكذا فعلاقة التجربة السياسية بالأفق المهدوى تنقل السياسة إلى آفاق التغيير. غير أن هذا لا يعنى وقوع اختلال فى دائرة التسيير فالسياسة المهدوية ليست طوباوية، بل هى واقع فجر الثورة ويؤسس الدولة وكل ذلك يقتضى التعامل مع الواقع دون الذوبان فيه. فالواقعية هنا ليست واقعية تبريرية بل واقعية تغييرية. فالتعامل مع القضايا

والأحداث يتم من موقع التجاوز والتغيير لا من موقع تبرير ثقل الواقع وهيمنة الغرب على غرار الأنظمة السياسية فى العالم العربى. وتتمتع التجربة السياسية فى إيران بالفكر الذى يستوعب هذه الظاهرة الفريدة: ظاهرة التفاعل بين الواقعى والمثالى أى التفاعل بين الغيبة والظهور بين الدولة والثورة.[٣٧] فهذا الفكر يستوعب هذه الظاهرة ويؤسس لها ويوجهها من حيث أنه فكر اجتهادى ملازم لحجية "النائب" فى عصر الغيبة لذلك تتميز ولاية الفقيه بالطاقة المهدوية التى تؤهلها للقدرة على التوقع واستباق الأحداث. أى القدرة على توجيه حركة التاريخ لا الاستسلام لها، لقد تحققت المهدوية فى هذا العصر من خلال الشعب الإيرانى عن طريق الثورة وتأسيس الدولة. تحققت قبل عصر الظهور تحققا ممهدا للظهور، فالمهدوية أصبحت واقعا فى إيران لأن الشعب الإيرانى اختار خط الإمامة وجسده فى مؤسسات الدولة وفى مواقف الدولة تجاه الحرب المفروضة وكل أنواع الحصار وتجاه قضايا العالم الإسلامى.

وهكذا فالمهدوية تتحقق عبر التاريخ. إلا أن هذا التحقق لا يمكن فهمه عن طريق فلسفة التاريخ الغربية والفلسفة السياسية الملازمة لها. فالتحقق المهدوى يختلف عن تحقق العقل الكونى فى التاريخ فى الفلسفة الهيجلية. فالمهدوية تتحقق من خلال الانتظار المسؤول. أى تتحقق لما يمهد الإنسان الظروف عن طرق السياسة كأداة محورية للتغيير، أى عن طريق الثورة وتأسيس الدولة.

فهناك مسؤلية فردية وجماعية وليس الأمر متروكا لصيرورة تاريخية قائمة بذاتها على غرار نظرية العقل فى التاريخ فى فلسفة هيجل.[٣٨] وهى فلسفة من الصعب، إن لم يكن من المستحيل أن تتماشى مع مسؤولية الإنسان وحريته، فعلى الرغم من أن هيجل يولى أهمية كبرى للحرية، [٣٩] إلا أن المرجعية المحايثة (التاريخ) تنفى بمحايثتها المطلقة مبادرة الإنسان وقدرته على الاختيار، فى حين أن الرؤية الإسلامية إلى علاقة الإنسان

بالتاريخ لا تنفى مسؤولية الإنسان لأن التاريخ ليس مرجعية مطلقة ولا يستمد حقيقته ومعناه إلا مما يتجاوزه أى من علاقته بالتعالى. وهذا ما يفتح الباب على مصراعيه لمبادرة الإنسان وقدرته على توجيه حركة التاريخ لا الخضوع لها. وهذا ما تحقق بالفعل فى إيران فى هذا العصر حيث أن الشعب الإيرانى بقيادة ولاية الفقيه حول المهدوية عن طريق الثورة والدولة، إلى واقع فى عصر الغيبة. فالإمام المهدى حاضر فى الدولة بكل مؤسساتها لكن حضوره ليس حضور عصر الظهور بل حضور عصر التمهيد لعصر الظهور اى حضور النيابة عن طريق حجية ولاية الفقيه. أى حضور المثالى فى الدولة ومؤسساتها عن طريق الاجتهاد لا عن طريق العصمة، ومن هنا نسبية الحضور ونسبية الدولة، إلا أن ما يميز هذه النسبية أنها:

١. موجهة من طرف فكر اجتهادى، أى من طرف فكر يرجع إلى القرآن الكريم وإلى عصمة النبؤة من خلال عصمة الإمامة وعن طريق ولاية الفقيه.

٢. إن هذه النسبية فى المجال السياسى هى نسبية منفتحة على مثالية (الظهور) توجه آفاقها ولا تتركها تتيه فى متاهات موت السياسية ونهاية التاريخ.

٣. ولأن السياسة منفتحة على المثالية فإن الحضور المهدوى يقتضى وجود الدولة المتفاعلة مع الشعب والمجسدة لتطلعاته لا الدولة المفروضة على الشعب. فالدولة المهدوية (فى عصر الغيبة). تتناقض مع الاستبداد، فلا معنى للمهدوية مع وجود الاستبداد، لذلك فالدولة ذات الأفق المهدوى، أى الجمهورية الإسلامية اليوم، هى دولة دينية شعبية.

فالمهدوية حولت فى إيران عن طريق ولاية الفقيه ما هو ذاتى (أى تطلعات الشعب نحو الظهور) إلى نظام سياسى، فالعنصر الذاتى لا معنى له إذ لم يتحقق فى الواقع عن طريق المؤسسات والمؤسسات بدورها لا تكون ذات فاعلية إذ لم تستبطن عن اقتناع داخلى من طرف الأفراد.[٤٠] فالتفاعل بين الذات والمؤسسات ضرورى لتصبح

المؤسسات مؤثرة فى العملية السياسية، خاصة إذا كانت هذه العملية السياسية ذات أهداف كبرى على غرار طموحات وأهداف الدولة فى إيران. وتجدر الإشارة إلى أن المؤسسات تسير فى هذا المسار وتسعى إلى القيام بهذا الدور فى إيران اليوم لأن الدولة مازالت دولة الثورة، فالثورة لم تمت فى الدولة على غرار دول الثورات الأخرى، فالبعد المهدوى أعطى للدولة ولمؤسساتها طاقة التطلع نحو التغيرات الكبرى التى تتجاوز حدود التسيير فى دائرة البرامج. قوانين الدولة ليست قوانين موضوعية وكونية بالمعنى الهيجلى أو الوضعى، فموضوعية القوانين والإلزام لا تنفى العنصر الذاتى بل تتطلبه وتتفاعل معه، فالقوانين تتخذ معنى الواجب الشرعى والسياسة، على العموم، تتخذ معنى العبادة وهذا من العوامل التى جعلت الدولة فى إيران دولة الثورة.

وهكذا فإذا كان هيجل يرى بأن الدولة هى التى توفق بصورة موضوعية بين الفرد والمجتمع وبين الحقوق والواجبات. وأن الدولة لها دور أخلاقى فى تحقيق الحرية الكونية ودمج المصالح الخاصة فى المصلحة الكونية وأن الإنسان يحقق ذاتيته داخل موضوعية الدولة.[٤١] فإن هذه الصفات للدولة وهذا الدور الكونى كل ذلك يحتاج إلى مرجعية ضرورية وكافية لتصبح الدولة موضوعية وكونية ومتحررة من ذاتية الحكام. كما تحتاج الدولة كذلك وعلى أساس هذه المرجعية إلى أفق مستقبلى يلازم موضوعيتها ودورها الكونى وهذا ما تفقده دولة هيجل وفلسفته المهدوية. وهذا ما تفقده كل الدول التى تأسست على العقل الوضعى وعلى المهدوية المتعلمنة.

وهكذا فمن العطاءات الفريدة للتجربة السياسية فى إيران استمرار الثورة فى الدولة. ففى كل بلدان العالم الإسلامى انطلقت الثورات التحريرية من خلفية قيم دينية ثم جردت السياسة من القيم والمفاهيم الدينية فى مرحلة ما بعد الثورة: مرحلة الدولة باستثناء إيران فى هذا العصر، فكل دول ما بعد الثورات التحريرية لم تتجاوز أسس

دائرة "الإسلام السوسيولوجى" فى حين أن الجمهورية الإسلامية هى دولة عقائدية ذات أسس عقائدية واضحة ذات رؤية مستقبلية عقائدية وواضحة. فى حين أن دول الإسلام السوسيولوجى لا تتمتع بالأفق الواضح والمحدد. فهنا تغيب الإستراتيجية ويغيب المشروع وتعيش الدولة فى حاضر مقتطع من حركة التاريخ فهى دولة خارج التاريخ وتمنع الشعوب من الدخول فى التاريخ. فى هذا السياق تتجلى حقيقة دولة الثورة الإسلامية فى إيران لا كدولة ذات عمق تاريخى فحسب بل كدولة توجه التاريخ لأن مرجعيتها عن طريق ولاية هى مرجعية ذات مصدر فوق تاريخى (النبوّة والإمامة) ولأن مستقبلها الموعود يعطيها القوة وزمام المبادرة تجاه الأحداث وتجاه الزمان التاريخى المهيمن (تاريخ الأقوياء فى هذا العصر). فثقل التحديات لم يحجب الدولة عن الآفاق فالدولة الإيرانية ليست وجودا فحسب بل هى صيرورة كذلك. وهذا ما جعل كل مواقف الجمهورية الإسلامية هى مواقف رؤية سياسية مرتبطة عقائديا بالعزة وبالآفاق لا بمحدودية (التيموس) أى الرغبة فى الاعتراف، فالعزة تجعل السياسة تتجاوز حدود الرغبة فى الاعتراف كما صاغها كل من هيجل وفوكومايا. لأن الرغبة فى الاعتراف الملازمة للعزة هى رغبة تستمد حقيقتها من علاقة الإنسان بالله تعالى، فالطابع التعبدى للسياسة فى الأفق المهدوى يعطى للرغبة فى الاعتراف معنى آخرا غير معنى "التيموس" المحدود الأفق فالتيموس انتهى إلى موت السياسية أما العزة فقد أعادت الحياة إلى السياسة وإلى الديمقراطية وإلى حركة التاريخ. فالفرق جذرى بين التيموس الهيجلى والعزة المهدوية فى المجال السياسى، فالتيموس (الرغبة فى الاعتراف) يتخذ موقعه فى حركة تاريخية تقوم على أساس الجدلية كجدلية تكفى نفسها بنفسها. فى حين أن الأمر غير صحيح فالجدلية لا تعطى معنى للتاريخ، وإذا أعطته معنى فهو معنى جد محدود، لذلك فالسلب يحيط بالتاريخ ويخنقه: فالمحايثة تخنق المحايثة، ونتيجة لذلك يحيط السلب

بالسياسة ويخنقها ولا يفتحها على الحركة لأن هذا السلب لا نقيض لـه بـسبب غيـاب المرجعية الضرورية والكافية لمعنى التاريخ وللجدلية فلا مرجعية لا للتاريخ ولا للجدلية. ومن هنا يمكن القول بأن الرغبة فى الاعتراف أنتجت موت الـسياسة ونهايـة التـاريخ، وهذا ما جعل الممارسة السياسية لا تقوم على قيم ثابتة، فالسياسة هى سياسـة القـوة، أى سياسة الواقع "ما هو كائن" كواقع مهيمن. أما العزة فقـد فجـرت الواقـع وكـسرت المعادلة القائمة على النهايات وغياب القيم. أى على القوة. فالعزة تتمتـع بفـضل أفقهـا المستقبلى المهدوى بالسلب الذى ينقض سياسة التيموس وتاريخ التيمـوس، لأن العـزة نقد ورفض واستيعاب للواقع القائم وللمرحلة التاريخية خارج هيمنة المرحلـة. فـالفكر المعاصر لم يكن يتوقع قيام ثورة على أسس دينية ولم يكن يتوقع قيام حكومـة دينيـة وشعبية فى نفس الوقت.[٤٢]

فالدولة الإيرانية لم تمارس منذ نشأتها عملها فى ظروف عادية فهى فى موقف التحدى بصورة مستمرة وقد استوعبت الدولة الإيرانية كل التحديات بـصورة إيجابيـة جعلتـها تسير فى مسار "البنيان والمرصوص" من موقع علاقة هـذا المـسار بالمـستقبل الموعـود والمحرر للدولة من الاستغراق فى ثقل محايثة المرحلة والأحداث (الحرب المفروضة وكل أنواع الحصار...).

ومن هنا فالدولة فى عصر الغيبة هى دولة "الغيبة" أى دولة التطلع والثـورة والنظـام السياسى الذى يجسد هذا التطلع و يفعله هو النظـام الـسياسى الـذى يتمحـور حـول "النيابة" و"الحجية" أى حول ولاية الفقيه. وإذا كانت الأنظمة العربية تحـاول امتـصاص تطلعات الشعوب وتعطيلها فإن الجمهورية الإسلامية كنظام سياسى مهدوى يفعل التطلع ويتفاعل مع الشعوب.

هناك من يرى بأن الثورة الإسلامية تمت على أساس "الحقيقة" أى العرفان فى حـين

أن مرحلة ما بعد الثورة أى مرحلة الدولة، تتم عن طريق "الشريعة، [٤٣] لاشك أن مرحلة كل ثورة هى مرحلة الغليان العاطفى الذى يتفاعل وينسجم مع العرفان عندما تتم الثورة فى العالم الإسلامى. فى حين أن مرحلة ما بعد الثورة تقتضى برودة العقلانية، غير أن ما وقع ومازال يقع فى إيران يتطلب من كل باحث أن يعيد النظر حول هذا الطرح، أو يتحفظ من التسرع فى التعميم على أقل تقدير، دولة ما بعد الثورة فى إيران ليست دولة محجوزة داخل العالم وليست دولة محجوزة داخل التاريخ، فزمان الدولة زمان الآفاق البعيدة، والمشكلة المطروحة فى هذا السياق هى عظامة المنتظَر وعظامة التطلع إلى هذا الهدف الكونى، فموقع الدولة فى الزمان بقيادة ولاية الفقيه وفى الأفق المهدوى. كل ذلك يقتضى ثورية الدولة وحضور الثورة فى الدولة. فمعنى السياسة ومعنى التاريخ يتخذان موقعهما خارج الراهنية أو الواقع المغلق. فالممارسة السياسية للدولة فى إيران ليست على غرار الممارسة السياسية فى الأنظمة الأخرى فى العالم الإسلامى التى تتم فى حدود الاستجابات الظرفية. فالدولة فى إيران هى دولة المسافات البعيدة وولاية الفقيه هى التى تقوم بدور التنظير والتفعيل والتوجيه لعلاقة السياسة بالزمان التاريخى وزمان الواقع (زمان العالم) والزمان المهدوى، فسياسة دولة الثورة الإسلامية ليست سياسة الزمان التاريخى لأن السياسة المهدوية هى سياسة الزمان الطويل المدى: زمان الأفاق.

فالزمان الواقعى أى زمان تاريخ الأقوياء ينتج سياسة التسيير والمهادنة، وقد أنتج فعلا "دول الاعتدال" التى لا تتجاوز فى تعاملها مع الأحداث حدود الواقع الراهن: واقع الغرب وتاريخ الغرب ومتطلبات دول الغرب، وقد فضحت "غزة" هذه الظاهرة وكشفت عن بشاعة أنظمة "دول الاعتدال" تجاه شعوبها.

فى هذا العصر الذى يحاصر فيه زمان الأقوياء السياسة تتجلى حقيقية الدولة الإسلامية فى إيران. الدولة التى تمارس تجربتها السياسية بربط الحاضر بالآفاق، فبفضل

علاقة السياسة بما يتجاوز الحاضر بل وبما يتجاوز محايثة التاريخ، أصبحت الدولة فى إيران هى التى تحاصر من يحاصرونها منذ قيام الثورة الإسلامية، فالدولة فى إيران تحاصر هيجل وماركس وفوكوياما من موقعها فى التاريخ. فالتجربة السياسية فى إيران تتم ممارستها فى واقع لا تحاصره المحايثة لأن الزمان السياسى متفاعل مع زمان تاريخى يستمد معناه من تفاعله العقائدى مع الزمان المهدوى. فالدولة فى إيران تؤسس لمرحلة تاريخية جديدة ومصيرية من مراحل عصر الغيبة. تؤسس للمرحلة التمهيدية لعصر الظهور لذلك فهناك ما قبل الثورة وما بعد الثورة. فمرحلة ما بعد الثورة هى مرحلة لم يتمكن الفكر الغربى من فهمها لأن السياسة تعيش فى هذا العصر فى زمان المحدودية والنهاية، وفى زمان العقل القائم بذاته. فى حين أن السياسة فى إيران تعيش فى زمان آخر هو زمان العقل المنفتح على الغيب، فالسياسة فى سياق الانتظار لا تسير فى مسار الاستنزاف على غرار السياسة المنفصلة على المعنى، فالسياسة عبادة وهذا يعنى أن المشكل الميتافيزيقى مطروح فى السياسة وأن السياسة تطرح المشكل الميتافيزيقى الذى انتهى منه الفكر الغربى باسم العلم وباسم حركة التاريخ. فى حين أن التجربة السياسية فى إيران تطرح مشكلة الإنسان ومشكلة المصير من داخل السياسة: إلى أين تتجه الدولة؟ فالسياسة هنا تعيش الآفاق وتتجاوز حدود التسيير.[٤٤]

لذلك فالسياسة فى إيران ترسم معالم فكر جديد وواقع جديد، فليست عطاءات الثورة الإسلامية عطاءات سياسية فحسب أو اجتماعية أو اقتصادية. فالعطاء المحورى للثورة الإسلامية فى إيران هو سقوط المطلقات وسقوط "بديهيات" الفكر الغربى وفتح المجال لفكر جديد يحل أزمة السياسة وأزمة الحضارة. فمع الثورة الإسلامية بدأ عهد الوعود فى أفق الوعد الكونى. فإذا كان الغرب قد أنهى نفسه بنفسه فى ييتا (Iena) عن طريق فلسفة هيجل ثم فى واشنطن عن طريق فوكوياما الذى أعاد صياغة نهاية التاريخ

فى أفق فلسفة هيجل: فالغرب أنهى نفسه فى حاضر مغلق: فما هو دور السياسة وأين تتجه الدولة: دور السياسة لا يتجاوز التسيير لمجتمعات لا أفق أمامها إلا المحايثة والمجهول والرعب من المستقبل. فإذا كان الأمر كذلك فى الغرب فإن "قم" أنهت النهايات وفتحت طريق البداية: بداية تاريخ جديد منفتح على الله من خلال انفتاحه على الإمام المهدى عجل الله فرجه فقم تمهد لأكبر انتصار للبشرية فى التاريخ. لذلك تسعى الممارسة السياسية فى إيران إلى اتخاذ موقعها بين الواقع والمثال، بين عالم الملك وعالم الجبروت، أى تسعى أن تكون فى حركة مستمرة نحو عالم الملكوت. فالسياسة دخلت فى عالم الملكوت عند قيام الثورة، فالثورة الإسلامية "انبثاق للملكوت فى العالم الحسى"[٤٥] فالثورة الإسلامية ليست حادثة محدودة بالزمان والمكان. هى ثورة مؤسسة لمرحلة جديدة من مراحل عصر الغيبة ولصورة جديدة من صور الانتظار، فهى ثورة وجودية، أى ثورة مؤسسة لعصر جديد، فإيران هى المرشحة فكريا وسياسيا وأخلاقيا لتوجيه حركة التاريخ نحو الأفق المهدوى، فبقيام الثورة الإسلامية وتأسيس الجمهورية الإسلامية دخلت الأمة الإسلامية فى مرحلة تاريخية حاسمة ومفصلية، فالحجم العقائدى والتاريخى والفكرى للثورة الإسلامية يقتضى دولة فى مستوى هذا الحجم، أى يقتضى نظاما سياسيا لا يمكن اختزاله فى شخص أو حزب. فسؤال القضية الكبرى والمصيرية كالثورة والدولة فى إيران، يقتضى الإجابة فى مستوى القضية، أى يقتضى قيادة كونية نحو مستقبل كونى، فسمو الثورة وأهدافها يقتضى سمو القيادة. وهذا ما تتميز به ولاية الفقيه التى تضع النظام السياسى فى علاقة التفاعل بين الثوابت والمتغيرات. لذلك يمكن القول بأن الجانب التقنوقراطى للدولة فى إيران لا يتغلب على ثورية السياسة بل يتفاعل معها، فمهدوية السياسة فى إيران جعلت الدولة قادرة على الاستجابة لتساؤلات العالم فى هذا العصر. الاستجابة لتطلعات الشعوب نحو تأسيس الفعل على المعنى. فالسياسة فى إيران فتحت

المجال لفكر جديد يسير فى مسار الحل لمشكلة القيم ومشكلة الإنسان ومشكلة العلاقة بين السياسة والأخلاق والدين ولمشكلة الحضارة على العموم. فدولة الثورة الإسلامية تجسد مشروع عولمة بديلة. فمشروع ثورة فى حجم الثورة الإسلامية ومشروع دولة لا تقوم على سياسة ذات أبعاد كونية هما مشروعان لا يلتقيان أبدا.

وهكذا فإذا كانت دول ما بعد الثورات فى العالم الإسلامى وفى العالم على العموم، قد وصلت إلى طريق مسدود وتحولت إلى مجرد دول تعتمد على إستراتيجية بقاء الحكام فى السلطة، فإن الدولة الإيرانية تمارس السياسة من خلال منطق المشروع الملازم للأفق المهدوى الموعود، والمشروع المرتبط بكونية الوعد هو مشروع دولة تفعل علاقتها مع الشعوب ومع الحضارات أى مشروع دولة تجسد قيم الأمة بالمعنى الإسلامى، أمة مبنية على كونية التعارف، فتحرك الدولة فى إيران فى أفق مهدوى هو تحرك فى أفق إنسانى، فالرجوع إلى الإمامة يقتضى المسؤولية التاريخية للدولة.

إن الفكر العلمانى فى العالم الإسلامى يحجز الدين فى العاطفة وفى الغليان العاطفى. فحسب هذه الرؤية القيم الدينية لا يمكن أن تتجاوز زمان الثورة لتصل إلى زمان التسيير والتخطيط والعقلانية. انطلاقا من هذه الخلفية ترى المفكرة ليلى أشغى، من موقع التساؤل بأن رجال الدين يستمدون حياتهم السياسية من وجودهم كمعارضة، فوجودهم فى الدولة يستنزف حقيقة وجودهم السياسى، وتتساءل هذه المفكرة عما إذا كانت النيابة عن الحادثة (أى تجسيد رجال الدين للثورة وزمان الثورة) هى نيابة دائمة ومستمرة؟[٤٦]

تجدر الإشارة إلى أن ولاية الفقيه لا تجسد المعنى الكهنوتى لمفهوم رجال الدين، فهى ليست نيابة أو نائبة عن حادثة بل عن الإمامة. وجود ولاية الفقيه ملازم لعصر الغيبة. ودورها دور اجتهادى وقيادى وليس دورا تسلطيا باسم تجسيد الله فى الأرض أو تجسيد

للعصمة. فولاية الفقيه تقود الأمة وتهيئ الأرضية للحادثة، فهى تفجر الثورة وتؤسس الدولة وتقودها، فالدخول فى مرحلة الدولة (بعد الثورة) لا يعنى الابتعاد عن الروحانية وعن الغليان العاطفى الشعبى. فالإمام الخمينىﷺ حرر العرفان من إيديولوجيا الخروج من التاريخ أى حرره من إيديولوجيات الروحانيات المريحة وغير الملتزمة، لقد أحدثت التجربة السياسية فى إيران تركيبا وتفاعلا بين الشريعة والحقيقة فى سياق حركة التاريخ. أى فى سياق زمان سياسى متفاعل مع الزمان التاريخى والزمان المهدوى.

لاشك أن ربط السياسة بالحقيقة والعرفان يؤدى إلى طغيان الجانب الذاتى فى المجال السياسى، إن لم يؤد إلى الابتعاد عن السياسة. غير أن خصوصية الروحانية فى الرؤية الإسلامية، أى خصوصية الحقيقة وخصوصية النظام المعرفى (الاجتهاد) الذى يقود العملية السياسية ويربط السياسة بالحقيقة على أساس التفاعل بين الشريعة والحقيقة كل ذلك يؤدى وقد أدى بالفعل فى إيران إلى "موضعة" علاقة السياسة بالحقيقة عن طريق المؤسسات[٤٧] وهذا ما جعل الثورة تستمر فى الدولة ولا تذوب هذه الأخيرة فى الواقع باسم الواقعية بل تذوب فى المستقبل العقائدى وتنطلق من الواقع باسم هذا المستقبل. وهذا ما جعل دولة الثورة الإسلامية تتميز عن كل دول ما بعد الثورات، حيث أن هذه الدول كان أغلبها دولا ديكتاتورية، ديكتاتورية الأغلبية الديكتاتورية البروليتاريا. فدولة الثورة الإسلامية تتمحور حول الديمقراطية خارج إطلاقية مرجعية الأغلبية وخارج إطلاقية مرجعية الشعب.

فالثورة الإسلامية ليست مجرد حادثة تحتل مدة زمانية معينة فالثورة الإسلامية زمانها هو زمان الغيبة وقيادتها "نيابة" وأهدافها هى أهداف عقائدية وهذا ما يجعل من زمان الثورة زمانا يتخذ موقعه على صعيد العصر وحركة التاريخ لا على صعيد محدودية الحادية فى زمان معين ومكان معين. فهى ثورة تحتوى التاريخ ولا يحتويها

التاريخ لأنها ثورة مهدوية تفتح المجال لتاريخ معاكس يقود الأمة نحو مستقبل عقائدى لا مستقبل تنتجه حركة تاريخ الأقوياء بصورة حتمية، لذلك كانت السياسة الملازمة للثورة سياسة لها خصوصيتها هى سياسة التطلع والتغيير لأن زمانها هو زمان مهدوى.

وهذا ما جعل الواقع يتفاعل مع المثال أى الدولة مع الثورة لأن ظاهرة الثورة والدولة أعادت الحياة إلى السياسة بعد موتها وأعادت الثورة إلى الوجود بعد موتها وأعادت الحركة إلى التاريخ بعد نهايته، وكسرت حاجز العبث الذى هيمن على الفكر الغربى حيث امتد العبث من الحياة الفردية، من "الكائن من أجل الموت" كما تؤكد الفلسفة الوجودية إلى الحياة الاجتماعية وإلى الدولة والتاريخ. فأصبح العبث عبثا شاملا ومطلقا لا يخص ذات الفرد وحدها. ففى هذا العصر عصر التنظير لموت الثورة والتنظير للعدمية قامت الثورة الإسلامية وتأسست الجمهورية الإسلامية دولة الآفاق. أى الدولة التى توجه التاريخ نحو الكونية الحقيقية التى تقف فى وجه المهدويات المزيفة وكونياتها القاتلة.

الخاتمة:

لذلك فمن عطاءات التجربة السياسية فى إيران أنها فعلت عقائديا وسياسيا معنى التاريخ ومعنى المستقبل فى عصر زوال المعنى: زوال معنى التاريخ ومعنى المستقبل وفشل وإفلاس مهدوية السياسة فى محور أثينا- موسكو- واشنطن-. فظاهرة الثورة الإسلامية والدولة جاءت لتؤسس المعنى بعد زوال المعنى: السياسة عبادة بعد موت السياسة، التاريخ يتحرك نحو المستقبل الموعود بعد نهاية التاريخ.

فإيران تجسد فى هذا العصر السياسة المهدوية البديلة التى تتخذ موقعها فى محور المدينة المنورة- الكوفة -كربلاء- قم.

الهوامش

1. G.H.F. Hegel: la raison dans l'histoire, plon, Paris, 1965.

٢. هذا الموقف للدكتور عبد الكريم سوروش، أشار إليه:

Rachid Benzin: Les nouveaux penseurs de l'Islam, Albin Michel, Paris, 2008, P64.

3 .Noam Chomsky, Les états manques Fayard, Paris 2007.

٤. تجدر الإشارة إلى أن التنظير لفلسفة التاريخ قد تم فى الفكو الإسلامى قبل الثورة من المنظرين:

آية الله مرتضى مطهرى: نهضة المهدى فى ضوء فلسفة التاريخ، المكتبة الإسلامية الكبرى- طهران- بدون تاريخ.

د.على شريعى الأمة والإمامة- مؤسسة الكتاب الثقافية- بيروت (بدون تاريخ).

٥. هذا الطرح هو نقد موجه إلى موقف د.عبد الكريم سوروش من التجربة السياسية على إيران. وهو موقف ركز على عجز فقه الفروع فى مجال التنظير، لكن هذا المفكر تغافل عن أصول الفقه وعن الطاقة المفاهمية والتنظيرية لولاية الفقيه- أنظر المصدر السابق رقم ٢.

6 .P. Birnbaum- La fin du politique, Seuil, Paris, 1975- P26-30.

٧. أنظر الشهيد محمد باقر الصدر: لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع الجمهورية الإسلامية فى إيران نشر جهاد البناء، قم، ١٣٩٩هـ

٨. أنظر المشهد الثقافى فى إيران: فلسفة الفقه ومقاصد الشريعة مؤلف جماعى، دار الهادى- بيروت ٢٠٠١.

الكتاب كله يحتوى على بحوث فى الفقه وعلاقته بالواقع الجديد: الثورة الإسلامية وتأسيس الدولة، فكل معالم مسار البحوث ترتبط بالواقع الجديد من أجل تنظيره وتوجيهه. فالدراسة دراسة منهجية وابستيمولوجية أى تنظيرية.

9 .Leili Echghi- Un temps entre les temps (l'Imam le chiisme et l'Iran) Cerf, Paris, 1992, P7.

١٠. لتحديد هذه المفاهيم: الزمان التاريخى والزمان السياسى والزمان المهدوى.

Gérard Bensussan: Le temps messianique, temps historique et temps vécu, paris, 2001.

11 .J.M Guehenno: la fin de la démocratie, Flammarion, Paris 1993, PP 105- 106 et 110-111.

١٢. الشهيد محمد باقر الصدر: الإسلام يقود الحياة- جهاد البناء، قم (بدون تاريخ)، أنظر الفصل الرابع: خلافة

الإنسان وشهادة الأنبياء والفصل الخامس: منابع القدرة فى الدولة الإسلامية.

١٣. الإمام الخمينى: آداب الصلاة- مؤسسة نشر آثار الإمام- طهران ١٩٩١ ص٣٠٤ حيث يؤكد الإمام بأن العرفان نابع من الإسلام وليس من الفلسفة اليونانية أو غيرها.

١٤. الإمام الخمينى: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨٣ ص١١-٨٩-٩٠ كما أن كل نداءات الإمام الخمينى والإمام على خامنائى تتضمن تفاعل الشريعة مع الحقيقة والسياسى مع الروحى.

15 .Bernard- Henri Lvy: Réflexions sur la Guerre, le Mal et la fin de l'histoire, Grasset, Paris 2001, P152à 154.

16 .Ibid, P162.

١٧. لقد انتقد كثير من المفكرين إيديولوجيا التقدم:

Raymond Aron: Les désillusions du progrès, Calmann- Levy, Paris, 1996 PP 253-254 et 258-260.

Stéphane Mases ; l'ange de l'histoire, Gallimard- Paris 2006.

O- Spengler: Le declin de l'occident Gallimard, paris 1957, Vol 2, P96

١٨. تجدر الإشارة فى هذا السياق إلى أن كثيرا من المفكرين لم يستوعبوا حقيقة الثورة والدولة فى إيران مثلا:

Theirry Coville: La Révolution invisible la Découverte ; Paris 2007.

فالمؤلف لم يدرك الحقيقة الكونية للثورة والدولة فى إيران، والحقيقة الكونية للرؤية المستقبلية التى تنطلق على أساسها التجربة السياسية فى إيران.

كما أنه ينظر إلى السياسة فى إيران على أنها مجرد سياسة تقوم على الصراع بين الشرعية الدينية والشرعية الديمقراطية ولم يصل هذا المؤلف إلى مستوى الفهم النسبى لحقيقة الديمقراطية الدينية كحقيقة بديلة لموت السياسة وأزمة الديمقراطية.

١٩. كان الإمام الخمينى ﷺ يقول:"الجمهورية الإسلامية بلا كلمة ناقصة وبلا كلمة زائدة".

20 .Armand Mattelart: Histoire de l'utopie planétaire.

Casbah Alger, 2004-P. 12

21 .Berzezinski, Z «Introduction. Note» in the Grisis of démocracy. University press, New York, 1975, P11.

٢٢. رسالة الإمام الخمينى إلى غرباتشيف ذات دلالات تفوق كل النظريات السياسية وكل فلسفات التاريخ المؤسسة لهذه النظريات.

ففى الرسالة دعوة إلى التوحيد أى إلى فتح آفاق المعنى الذى يفتح كل الطرق المسدودة أمام البشرية لأن أمريكا لن تحل مشكلة الاتحاد السوفياتى.

كما أن الرسالة تعبر عن الشعور بالمسؤولية تجاه كل الشعوب الإسلامية وكل شعوب العالم.

ونفس الأمر بالنسبة لوصية الإمام، فالرسالة والوصية تعبران عن سياسة مهدوية فالإمام حذر غورباتشيف من السقوط فى فخ أمريكا فتوقع الإمام هو توقع المهدوى.

23 .Eugene Fleischmann: la philosophie politique de Hegel- Gallimard, paris 1992 PIV.

24 .Ali Shariati: Histoire et destinée Sindbad, Paris 1982 ;, P108à113.

25 .G.H.F. Hegel: la raison dans l'histoire.

26 .G.H Hegel ; principes de la philosophie du droit- Gallimard, Paris, 1963.

27 .N. Chomsky: Les états manques.

يخص المؤلف الفصل السادس للمهدوية تحت عنوان "المهدوية الشيطانية" التى تنبئ "بنهاية كارثية قريبة" كما يرى المؤلف فى الفصل الأول من الكتاب.

٢٨. لقد رأى هيجل فى نابليون أثناء غزوة لمدينة يينا "الروح على جواد" أى التجسيد الأخير للعقل الكونى.

٢٩. مفهوم الرغبة فى الاعتراف أو "التيموس" نظّره هيجل ثم أعاد صياغته:

A. Kojeve: Introduction à la lecture de Hegel, Gallimard, Paris 1947.
F. Fukuyama: La fin de l'histoire Flammarion, Paris, 1992.

٣٠. التعارف مفهوم قرآنى وهو ملازم لمفهوم الأمة ولمفهوم المهدوية:

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم الله عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" (١٣ الحجرات)

٣١. خلافة الإنسان لله فى الأرض أصبحت تتجسد فى الدولة من خلال المؤسسات على أساس دستور الجمهورية الإسلامية.

أنظر: الشهيد محمد باقر الصدر: لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية فى إيران.

آية الله محمد على التسخيرى: حول الدستور الإسلامى فى موارده العامة – منظمة الإعلام الإسلامى – طهران ١٩٣٧.

٣٢. الخطأ الذى وقع فيه المفكرون من أمثال:

O. Roy/ l'échec de l'islam politique, Seuil, Paris, 1992- PP 237-239 et 240-242.
Daryush Shayegan ; qu'est ce qu'une révolution religieuse ?
Albin Michel, Paris 1991-PP207-209.

أنهما لم يميزا بين الإيديولوجيا والعقيدة ولم يميزا بين الروحانية الإسلامية من حيث هى روحانية ذات أبعاد سياسية وحضارية والروحانيات الأخرى.

ففى نظر هذين المفكرين (وغيرهم كثير) أن لا علاقة بين الإسلام والتاريخ، ولا علاقة وجودية بين الإسلام والثورة، لذلك فحسب هذين المفكرين كلما ارتبط الإسلام بالتاريخ أى بالسياسة وبموقف المسلمين من الغرب فإنه يتعلمن بالضرورة ويتحول إلى إيديولوجيا.

33 .B.H. Levy: Réflexions sur la Guerre, le Mal et la fin de l'histoire P260à270.

٣٤. يشير روجى غارودى إلى العبث والعدمية من فلسفة هيجل إلى فلسفة سارتر

Biographie de XX siècle- Tougui, Paris 1987, P99.

٣٥. لقد فتح الشهيد محمد باقر الصدر للتنظير فى المجال السياسى ومجال فلسفة التاريخ انطلاقا من مفهوم "المثل الأعلى الحقيقى" و"المثل العليا المزيفة"

أنظر: التفسير الموضوعى - دار التعارف بيروت ١٩٨١ مباحث الدرس التاسع من ص١٣٩إلى ١٥٥.

36 .Armand Mattelard: Histoire de l'utopie planétaire, P 104à137, P245.

٣٧. آية الله محمد على التسخيرى: حول الدستور الإسلامى فى مواده العامة الفصل الثالث: أهداف الدولة الإسلامية على ضوء أسسها وخصائصها ص٢٧-٣٧.

38 .G.H.F Hegel: La raison dans l'histoire.

39 .E. Fleischmann: La philosophie politique de Hegel

خاصة المقدمة والمبحث الثالث من الفصل الثالث: ص٣٥٥ إلى ٣٧٢.

٤٠. أنظر: الشهيد محمد باقر الصدر: اقتصادنا - دار الفكر - بيروت ١٩٧٤ حيث أشار الشهيد هذه المشكلة فى مقدمة الكتاب.

41 .G.H.F. Hegel: Encyclopédie des sciences philosophiques Vrin. Paris 1967-P198

E. Fleischmann: La philodophie politique de Hegel P255 à 275.

٤٢. المفكر الفرنسى ريمون هارون فى كتابه:

Raymon Aron: Introduction a la philosophie politique- Fallois, Paris, 1997.

يخصص مبحثا فى الفصل العاشر حول التقابل بين الديمقراطية والثورة تحت عنوان: المهدوية والمكيافلية، وذلك كله فى سياق الثورات التى أسست دولا على أسس ماركسية.

43 .Leili Echghi: Un temps entre les temps. L'Imam, Le chi'isme et l'Iran,p134.

٤٤. د. على شريعتى: الأمة والإمامة. مؤسسة الكتاب الثقافية بيروت ١٣٦٧هـ (مبحث السياسة) ص٣٧ إلى ٤٧

حيث حدد مفهوم السياسة فى أفق التغيير لا مجرد التسيير وعلى أساس المعنى: معنى الوجود ومعنى الإنسان.

45 .Leili Echghi: un temps entre les temps, P 58.

46 .Ibid, P141

47 .Ibid, P156

لقد طرحت الكاتبة مشكلة العلاقة بين الحقيقة والسياسة فى سياق رؤية غير الرؤية التى نؤكد عليها فى هذا البحث.

الازدهار و الانفتاح و الانجازات الكبري في الثورة العالمية للامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

الدكتور محمد رضا جواهري

نبذة:

من الضروري و الأحري في تسمية قائد الثورة الاسلامية الامام الخامنئي ـ مدّ ظله العالي ـ هذا العام ١٣٨٧ ش بعام الازدهار و الابداع، أن تصب كافة الدراسات و البحوث حول معرفة هذا الجانب الابداعي في عصر ظهور قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، و أن تكون كافة الأحداث و الوقائع في الثورة المهدوية الكبري أنموذجاً عالياً في تأسي و اقتداء البشرية له، و اتباعه. و سيتم في آخر ثورة عالمية بقيادة الامام المهدي صلى الله عليه وآله عرض أفضل و آخر الانجازات، و أكمل الاستراتجيات و المعطيات في عالم التكنولوجيا المتطورة و التقنية الحديثة، و القيم و المبادئ الاسلامية. استعرض الباحث في هذه الدراسة، الخصائص البارزة و السمات المهمة في الثورة المهدوية، حيث قام بدراسة حالات التجدد و الحداثة و أصل هذه الثورة التي تعتبر من أفضل التجارب التاريخية في العالم، و ذكر مجموعة من تلك الابداعات الفريدة من نوعها، و الانجازات الكبري التي ستتحقق في الثورة المهدوية. و أشار الي الاحاديث النبوية الشريفة و أقوال

الأئمة المعصومين عليهم السلام في قسمين من بحثه، و لكلّ قسم منه عناوين فرعية أخري.

المفاهيم الأصلية في البحث:

الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف، القائم عجل الله فرجه الشريف، الازدهار، الابداع، الثورة، النهضة، القيام.

المقدمة

تعتبر الثورة العالمية للامام المهدى عجل الله فرجه الشريف هى آخر و أكبر الثورات فى العالم، و النهاية السعيدة للتاريخ البشرى، حيث سيتحقق فى هذه الثورة الالهية أكبر مشروع إلهى، و أفضل نوع من حالات الازدهار و الانفتاح، و ستشاهد إبداعات و إنجازات عظيمة و متميزة فى ذلك العصر، فالثورة المهدوية فريدة من نوعها فى عصر التحضر و الازدهار و الابداع، و إن أصل الثورة المهدوية هو أكبر و أفخم و أحسن نموذج فى الحداثة و الإبداع منذ بدء الخليقة الى نهاية التاريخ البشرى.

و سيتحقق فى هذه الثورة الالهية الفريدة أعلى و أسمى نماذج الازدهار و الانفتاح و التطور فى الحدّ الممكن، و ستصل البشرية و المؤمنون و المتقون الى أعلى درجات النمو و السعادة الحقيقة و التكامل و فى مختلف الجوانب عبر هذه التقنية و الابداع، و مايحققه الامام المهدى عجل الله فرجه الشريف من مكاسب و إنجازات فى تلك الأصعدة.

«التجديد» هى الصفة البارزة فى الثورة المهدوية:

وصفت الاحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام أنشطة و عمل الامام المهدى عجل الله فرجه الشريف و التغييرات و التحولات التى ستحدث فى الثورة المهدوية بالأمر«الجديد».

روى أبو حمزة الثمالى قال: سمعت الامام الباقر عليه السلام يصف خروج القائم عجل الله فرجه الشريف فقال: «يقوم بأمر جديد، و سنة جديدة، و قضاء جديد».[1]

و روى أبو بصير عن الامام الباقر عليه السلام قال: «يقوم بأمر جديد، و كتاب جديد، و سنة

جديدة، و قضاء جديد».[٢] و روى أبو بصير أيضاً عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً أهمية عنصر البيعة للامام المهدى عجل الله فرجه فقال: فوالله، لكأنى أنظر إليه بين الركن و المقام، يبايع الناس بأمر جديد، و كتاب جديد، و سلطان جديد من السماء».[٣] و عن عبدالله بن عطاء قال:«سألت الامام الباقر عليه السلام فقلت: إذا خرج المهدى عجل الله فرجه بأى سيرة يسير فى الناس؟

فقال عليه السلام: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله، و يستأنف الاسلام جديداً».[٤]

و قد ورد فى هذا الحديث لفظتى «يستأنف» و «جديداً»، أى صفة التجدد و الحداثة فى الثورة المهدوية. و أجاب الامام الصادق عن مثل هذا السؤال، فقال عليه السلام: «يصنع كما صنع رسول الله، يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله الجاهلية، و يستأنف الاسلام جديداً».[٥]

و قد أطلق الامام الصادق عليه السلام تسمية مكتسبات و أداء الامام المهدى عجل الله فرجه «بالجديد» فى تعليم أصحابه ماهية و سيماء الثورة المهدوية، و أعاد فى حواره مع أصحابه كلام أبيه الامام الباقر حول عنصر و محور البيعة مع الأمة، التى من خصاصها البارزة هو أنه: «يبايع الناس بأمر جديد».[٦] و أكّد الامام الباقر و الصادق عليهما السلام على هدفين ينبغى تحققهما فى الثورة المهدوية و هما: الدعوة نحو أمر جديد، و طبيعة و ماهية هذه الثورة المسماة«بالدعوة الجديدة». روى فى الكامل عن الامام الباقر عليه السلام قال:«إن قائمنا إذا قام، دعا الناس إلى أمر جديد، كما دعا إليه رسول الله، و إن الاسلام بدأ غريباً، و سيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء»[٧]. فاستنادا لهذا الحديث، فان هناك تشابهاً ملحوظاً و مشتركاً بين ثورة الامام المهدى عجل الله فرجه و بعثة النبى صلى الله عليه وآله، و ذلك فى دعوتهما إلى أمر جديد. فكم هناك من التغيير الذى سيتم فى هذه الفترة الزمنية، أى منذ بعثة النبى صلى الله عليه وآله إلى قيام الثورة الكبرى للامام المهدى عجل الله فرجه، و ظهور الكثير من الحقائق و العلوم و المعارف

الإسلامية الأصيلة، و إبداء سنن و تعاليمات فى الكتاب السماوى للنبى صلى الله عليه وآله، و أمور القضاء و الجزاء و الحدود و التعزيرات فى العالم الاسلامى، و ستدعو حركة الامام المهدى عجل الله فرجه الجهادية إلى إعادة الاسلام الصحيح، و الدعوة الإصلاحية إلى أمر جديد.

روى أبو خديجة عن الامام الصادق عليه السلام قال:«إذا قام القائم عجل الله فرجه جاء بأمر جديد، كما دعا رسول الله فى بدو الاسلام إلى أمر جديد».[8]

و قال الامام الصادق عليه السلام فى تتميم كلام أبيه عليه السلام:«الاسلام بدأ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء».

و طلب أحد أصحابه عليه السلام أن يفسّر له هذا الكلام، فقال عليه السلام:«مما يستأنف الداعى منا دعاء جديداً، كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله».[9]

و قال أبو بصير: قلت للامام الصادق عليه السلام:«أخبرنى عن قول أميرالمؤمنين عليه السلام:إن الاسلام بدأ غريباً، و سيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء؟

فقال عليه السلام: يا أبا محمد، إذا قام القائم، استأنف دعاء جديداً، كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله. قال أبوبصير: فقمت إليه، و قبّلت رأسه، و قلت: أشهد أنك إمامى فى الدنيا و الآخرة، أوالى وليك، و أعادى عدوك، و أنك ولى الله. فقال عليه السلام: رحمك الله»[10].

و روى أبو خديجة عن الامام الصادق عليه السلام قال:«إذا قام القائم، جاء بأمر غير الذى كان»[11]. و على ضوء أحاديث مدرسةأهل البيت عليهم السلام، اعتبرت الثورة المهدوية مهد الابداع و الازدهار و الانفتاح، و أن التغييرات و التحولات الهامة و الأساسية للامام المهدى عجل الله فرجه و مناصريه هى فى ضمن نطاق التجدد و الابداع، و أن الدعوة الجديدة و الأمر الجديد هى عناوين إنجازات و معطيات الثورة المهدوية و مكتسباتها.

و لاشك فى أن هذه الانجازات و المعطيات تعدّ نماذج العمق الدينى للثورة، و ما تتّسم به من خصائص و صفات، و هى تصب فى إطار التعليمات الالهية التى أتى بها رسول

الله ﷻ إلى البشرية جمعاء. و لهذا السبب، فسّر الامام الباقر و الصادق عليهما السلام ارتباط الثورة المحمدية الوثيق و القوى بالثورة المهدوية بتعابير جديدة تضمنت كلا الثورتين.

إن لفظة «جديدة» التى وردت فى الروايات عنهم عليهم السلام تختلف تماماً عن «البدعة»، فأداء الامام المهدى عجل الله فرجه طبيعة عمله هو «جديد»، و لكن لا بدعة فى الدين، و الامام المعصوم المنزّه عن الذنب و الخطأ، لا شك فى أنه يحيى التعاليم السماوية و قيم و مبادئ الوحى التى نزلت على قلب رسول الله ﷺ، و هذه التعاليم السماوية و القيم و المبادئ المهدوية هى نفس القيم و المبادئ و التعاليم المحمدية تماماً، مع فارق: أن هذه القيم و المبادئ كان قد غفل عنها، و درست عبر التاريخ، أى منذ البعثة إلى عصر الثورة المهدوية فى تاريخنا الاسلامى المجيد، بل تغيرت، و تم إبعادها عن المجتمعات الاسلامية، فعطّلت الاحكام، وأبعد الدين عن حياة الشعوب، فاذا عاد، فسيكون «جديداً». و سيتم إحياء و تجديد القيم و المبادئ الاخلاقية و أهداف الثورة المحمدية فى الثورة المهدوية حقيقة، و ان ما لم يتحقق فى عصر النبى ﷺ و فى حياته، فسيتحقق فى عصر الثورة المهدوية فى أعلى المستويات.

إن من بين العناصر التى تؤدى إلى موت الاسلام المحمدى الاصيل و إخفائه عن واقع الحياة، و عدم التغلغل فى عمق الثقافة الاسلامية، لتكون عاملاً مهماً فى إفشال المشروع و المخطط الاسلامى هى عناصر:النسيان، التعطيل، التحريف المعنوى، البدعة، النفاق، التفسير بالرأى، الحرمان عن حضور الامام المعصوم فى عصر الغيبة الكبرى، و الكذب على الله و النبى و الأئمة المعصومين عليهم السلام، نفوذ الاسرائيليات، المانويات، المجوسيات، و مظاهر الكفر و الشرك و الضلال، فتحيى حقائق الاسلام الأصيلة فى الثورة المهدوية، و إعادة تعليمها.

و لهذا السبب، ستكون ماهية الثورة المهدوية أمراً جديداً و دعوة جديدة. روى محمد

بن عجلان عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال:«إذا قام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف دعا الناس إلى الاسلام جديداً، و هداهم إلى أمر قد دثر، فضلّ عنه الجمهور. و إنما سمّى القائم مهدياً: لأنه يهدى إلى أمر مضلول عنه، و سمّى بالقائم لقيامه بالحقّ».[١٢]

و قد ورد فى هذا الحديث الشريف لفظة «جديد» فى دعوة الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف بشكل واضح و جميل، حيث يدعو القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف الناس إلى أمر قد درس عبر قرون أزمنة بعيدة تتصل بعصر الرسالة و بعثة النبى الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم، و سيدعو الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف عبر هذه الفواصل و الفترات الزمنية، و ابتعاد الأمة عن عصر الرسالة، و ظلالها عن الطريق القويم، و ابتعادها عن الصراط المستقيم، الناس إلى دعوة جديدة، و أنوار و إشراقات جديدة، و سيهدى من أضلوا، و يظهر الاسلام المحمدى الأصيل واضحاً و مشرقاً، و لهذا السبب: سمّى «بالمهدى».

ذكر الامام الصادق عليه السلام تقريراً مفصلا حول طبيعة عمل و أداء و خصائص الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فقال عليه السلام: «إذا قام القائم... لا يترك بدعةإلا أزالها، ولا سنّة إلا أقامها».[١٣] و طبقاً لهذا الحديث، فان التجدد فى دعوة المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو معلول إقامة و تطبيق كافة سنن و مبادئ النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد موت البدع التاريخية و تحطيمها.

الانفتاح و الازدهار الكبير فى الثورة المهدوية: سيكون آخر و أكبر تطور و ازدهار هو ما يحدث فى عصر الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فستتماشى و تتعاون أكبر منظومة طبيعية و هى الأرض و السماء، و الزمان و جسم الإنسان مع منظومة أخرى من حالات الأزدهار و التطور و الانفتاح الالهى الفريد فى عالم الكون و الوجود، لتحقيق السعادة و الكمال الأخير لفهم عظمة و أهمية ثورة الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و ما فيها من نعم إلهية.

تفتح و ازدهار المنظومة الأرضية: تدور المنظومة الأرضية المعقدة و الهادئة حول منظومة الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و أنصاره، كما حكم القرآن الكريم بذلك، مؤكداً على أن

الامام المهدى و أصحابه سيرثون الأرض و من عليها، فقال سبحانه و تعالى: «و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون»[14]، و قد فسّر الامام الباقر عليه السلام قوله «عبادى الصالحون»:«بأنهم آل محمد صلى الله عليه و آله و شيعة أهل البيت عليهم السلام» [15]، و عن الامام الكاظم عليه السلام:«بأنهم آل محمد صلى الله عليه و آله و أتباعهم»[16]، ممن يكون منهم مع أصحاب الامام المهدى عجل الله فرجه فى آخر الزمان، قال الامام الباقر عليه السلام مفسراً لهذه الآية:«هم أصحاب المهدى فى آخر الزمان».[17] و روى على بن ابراهيم القمى فى التفسير المنسوب للامام الصادق عليه السلام حول هذه الآية و المعنى «بعبادى الصالحين» فقال عليه السلام:«هو القائم عجل الله فرجه و أصحابه»[18] فانه عليه السلام و أصحابه يرثون الأرض و من عليها، و سيضع الله سبحانه و تعالى كافة الامكانات فى اختيارهم و تحت تصرفهم، فتمنح الأرض عطاءها، و تنمو و تزدهر للامام المهدى عجل الله فرجه و أصحابه، كل ذلك بقدرة الله سبحانه، لتطوير أهداف الثورة المهدوية و نصرتها. و ستستثمر الأرض و ما عليها لإنجاح الامام المهدى بتوفيق الهى و سداد ربّانى. و قد صرّح بهذه الحقيقة فى أحاديث و كلام أهل البيت عليهم السلام، كما ورد ذلك فى تقرير الامام الباقر[19]، و الرضا[20]، و الجواد[21] عليهم السلام حول النعم الالهية، التى سخّرها الله سبحانه للامام المهدى عجل الله فرجه فقالوا عليهم السلام: «هو الذى تطوى له الأرض».

و قد أكّدت هذه التصاريح من الأئمة عليهم السلام و شهاداتهم على عظمة الشخصية الالهية الكبرى للامام المهدى عجل الله فرجه و أن الأرض كلها تطوى له، فيكون كل ما فيها ذلولاً له، خاضعة لأعظم و آخر قائد للثورات العالمية فى تاريخ البشرية، و ستعرب عن استعدادها الكامل و التام و قابلياتها لدعم و تقوية هذه النهضة، و الثورة الالهية الكبرى فى العالم.

الكنوز، المعادن، و بركات الأرض فى خدمة المهدى و أصحابه: ستمنح الأرض عطاءها و نعمها و خيراتها فى عصر الامام المهدى عليه السلام، و ستكون كافة الامكانات و

المساهمات فى خدمة تطوير مشروع الثورة المهدوية فى عصر الظهور، و ستزدهر كافة النعم، فتصل ذروتها حدّ الكمال فى تاريخ العالم.

روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى حديث معراجه فقال: قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله:«و له أظهر الكنوز و الذخائر بمشيّتى»[٢٢]. و قال جابر بن عبدالله الأنصارى: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يصف القائم عجل الله فرجه فقال:«و يظهر الله له كنوز الأرض و معادنها»[٢٣]. و روى ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه و آله واصفاً نهاية تاريخ أمته بظهور المهدى عجل الله فرجه فقال: «تخرج الأرض نباتها»[٢٤].

و روى ابو سعيد الخدرى فى حديثه عن عصر ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:«و لاتدّخر الأرض من نباتها شيئاً»[٢٥]. و روى فى موضع آخر عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:«لا تدّخر الأرض شيئاً من بذرها إلا أخرجته»[٢٦]. و روى زيد بن وهب الجهنى عن الامام الحسن عليه السلام عن على بن أبى طالب عليه السلام قال:«تخرج الأرض نباتها، و تظهر له الكنوز»[٢٧]. و روى عن الامام الباقر فى وصفه الأرض فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه فقال:«و يخرج الله من الأرض بذرها»[٢٨]. و روى الفضل بن عمر عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً الأرض و من عليها، و الازدهار و التكامل فى الثورة المهدوية، فقال:«تظهر الأرض كنوزها، حتى يراها الناس على وجهها»[٢٩]. و روى أبو أحمد محمد بن زياد الأزدى أيضاً عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام واصفا نمو الأرض و ازدهارها فى عصر ظهور القائم عجل الله فرجه فقال:«يظهر له كنوز الأرض»[٣٠].

و يظهر فى تحليل و نقد هذه الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام: أن المعادن و الكنوز و البذور و بركات الأرض و خيراتها ستظهر فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه و ستظهر الأرض بركاتها و نموها و عطائها و كافة استعدادها و إمكاناتها فى خدمة الامام المهدى عجل الله فرجه

طاعة سباع الأرض و سباع الطير فى السماء للامام المهدىعجل الله فرجه: سيخضع كل ما فى الأرض و السماء للامام المهدى عجل الله فرجه و أصحابه، و ستسعى كل المخلوقات و الكائنات إلى كسب رضاه عليه السلام و رضاهم. روى جابر بن يزيد عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال:«كأنى بأصحاب القائم عجل الله فرجه و قد أحاطوا بين الخافقين، فليس من شىء إلا و هو مطيع لهم، حتى سباع الأرض و سباع الطير، يطلب رضاهم فى كل شىء، حتى تفخر الأرض على الارض و تقول: مرّ بى اليوم رجل من أصحاب القائم عجل الله فرجه»[٣١].

و تفيد هذه الاحاديث المروية عنهم عليهم السلام: أن كل شىء فى العالم مطيع لأصحاب المهدى عجل الله فرجه و سامع لهم، فالجمادات، النباتات، الحيوانات، و كل من على الأرض هو تابع و مطيع لأوامر الامام المهدى عجل الله فرجه و أصحابه. و هذه الطاعة و التبعية الشاملة و العالمية من قبل هذه الكائنات للامام المهدى عجل الله فرجه هى أرقى نماذج و أساليب التطور و الازدهار، و استعداد الكائنات العالمية بأمر الله تعالى.

الدنيا فى راحة الامام المهدىعجل الله فرجه: ستتعبد كافة الطرقات الشاهقة و الملتوية للقائم عجل الله فرجه و أصحابه، ليرى كل واحد الآخر فى أقصى بقاع العالم بسهولة و يسر، و ستكون الارض و من عليها فى راحة المهدى عجل الله فرجه و أصحابه، و متناول أيديهم بطمأنينة و دعة و اتساق، و ستقدم ذروة دعمها و إسنادها لهم. روى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً دعم الأرض و من عليها للامام المهدى عجل الله فرجه فقال:«إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر، رفع الله تبارك و تعالى له كل منخفض من الأرض، و خفّض له كل مرتفع، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت فى راحته شعرة لم يبصرها ؟»[٣٢].

و روى ابن مسكان قال:«إن المؤمن فى زمان القائم و هو بالمشرق ليرى أخاه الذى

فى المغرب، و كذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى فى المشرق»[٣٣].

و على ضوء هذه الاقوال المروية عن الامام الصادق عليه السلام تحديداً، فان العالم و ما فيه سيكون فى اختيار القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف و أصحابه و تصرفهم، فتطوى الأرض بإرادة الامام عليه السلام و رغبته بأمر الله عز و جل، و إن كل من فى هذه الدنيا، فهو فى مرأى الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و أصحابه، و إن ازدهار و نمو الأرض سيكون أمر فريد من نوعه، لتطوير مشروع الثورة المهدوية، و تحسين علاقة الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف بأصحابه.

إن أى عمل صعب و إنجاز كبير يتحقق من خلال تلاحم و انسجام عالم الوجود و علاقته بالتحول الالهى المهدوى، سيكون سهلاً و ميسوراً، بفضل الله و منّه للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و أصحابه. روى عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام واصفاً تسهيل أمور و أعمال القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف فقال:«يسهّل الله له كل عسير، و يذلّ له كل صعب، و يقرّب له كل بعيد»[٣٤] و وصف الامام الجواد الامام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف لعبد العظيم الحسنى فقال:«و يذلّ له كل صعب»[٣٥].

منظومة الشمس و القمر يدعمان أمر القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف: ستساير منظومة الشمس و القمر أيضاً كمنظومة الأرض الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و ستدعم و تطيع أكبر قائد للثورة العالمية فى تاريخ البشرية، كما دعمته و أطاعته منظومة الأرض و من عليها، فتأتمر بأوامر قائم آل محمد صلى الله عليه و آله، فكذلك الشمس و القمر سيلبيان دعوته و يستجيبان له. روى جابر عن الامام الباقر عليه السلام قال: «يدعو الشمس و القمر فيجيبانه».[٣٦]

لقد خلق الله الشمس و القمر، و سيلبيان نداء ولى العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف باذن الله و قدرته، و سيبذلان طاقاتهما و قدراتهما الالهية لخدمة الثورة المهدوية الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و تطوير مشروعه الاسلامى، و سيشارك كل الوجود فى عمليات التحول و التغيير الالهى فى

العالم.

دعم الرياح و السحاب للامام المهدیعجل الله فرجه الشريف و سترسل السماء خيراتها و بركاتها على الامام المهدی عجل الله فرجه الشريف و ستهطل عليه سحائب الرحمة الالهية بشكل مطلوب و مناسب، و ستغيثه الرياح، و تتفق مع الأهداف الالهية للثورة المهدوية. وصف النبی صلی الله علیه و آله فی حديث المعراج ملائمة المناخ و مسايرة الرياح و السحاب للامام المهدی عجل الله فرجه الشريف فقال: «إن الله تعالى قال: لأسخرن له الرياح، و لا ذلّلن له السحاب الصعاب».[37] و روى أبو سعيد الخدری أيضاً عن النبی صلی الله علیه و آله فی مسايرة السماء بهطول السحاب و الأمطار فقال: «لا تمسك السماء غيثها، الا أن ينزل».[38] و وصف الامام علی علیه السلام عصر الظهور فقال: «تنزل السماء بركتها». و على ضوء أقوال النبی صلی الله علیه و آله و الروايات المروية عن أئمة أهل البيت علیهم السلام: فان الرياح و السحاب ستكون فی خدمة الامام المهدی عجل الله فرجه الشريف و ستهطل الامطار فی المستوى المطلوب، و ستزدهر و تتفتح استعداد الرياح و السحاب فی نطاق قوة و اقتدار القائم عجل الله فرجه الشريف

ازدهار و تطور الزمان و تطويل الايام فی عصر الظهور: ستلبی منظومة الشمس و القمر نداء المهدی عجل الله فرجه الشريف فی كافة الأصعدة و فی المجالات المختلفة، و أبعاد عديدة، و ستسايره و تدعمه فی كل الحالات و شتی الظروف، و سيمضی الزمان بطيئاً فی عصر الظهور، و سيطول الله اليوم و الشهر و السنة، و سيساعد ازدهار و انفتاح الزمان فی تطوير أهداف الثورة المهدوية و مشروعها الاسلامی.

روى أبو بصير عن الامام الصادق علیه السلام واصفاً عنصر الزمان فی عصر الظهور فقال: «يأمر الله الفلك فی زمانه، فيبطئ فی دوره، حتی يكون اليوم فی أيامه كعشرة أيام، و الشهر كعشرة أشهر، و السنة كعشر سنين من سنينكم».[39]

نمو و تكامل جسم الانسان و روحه فى عصر الظهور: ستنمو و تزدهر استعدادات و قابليات أجسام و أرواح المؤمنين فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه و سيحدث بقوة المؤمنين و قدرتهم أكبر تحول و تغيير إلهى عالمى بقيادة الامام المهدى عجل الله فرجه و ستتفتح قابليات البشر المجهولة، التى لا يعلم بها إلا خالق البشر بشكل كامل، و ستظهر قابليات أصحاب المهدى عجل الله فرجه باذن الله تعالى و أمره، و ستنمو و تزدهر استعداداتهم و قابلياتهم البدنية و الروحية، و ستحقق الثورة العظيمة و الاعجاز الالهى الفريد فى تاريخ العالم.

نهاية الآفات و الأمراض فى عصر الظهور: تعدّ السلامة و العافية من أكبر النعم الالهية على الانسان، فالقدرة البدنية و الروحية هما البنى التحتية لطاعة الانسان لله تعالى.فالجسم السليم قادر على طاعة الله و أداء وظائفه الالهية، و اتباع أمره. أما الجسم المريض فهو فاقد لعناصر القدرة فى طاعة الله، و لا يستطيع أن يخطو أقصر الخطوات لتحقيق ذلك، و هو عاجز عن أداء أقل الوظائف العامة المناطة بالبشرية، و يفشل فى تحقيق المسئوليات الجسام و الخطوات المهمة، و إيجاد التحولات الجذرية و الشاملة فى تلك المجتمعات. فعلى هذا الأساس، سيزيل الله تعالى فى أول خطوة لازدهار و توسيع استعداد و قدرات أصحاب الامام المهدى عجل الله فرجه كافة الأمراض و الأوبئة عن المجتمعات البشرية. و قد شرح الامام السجاد عليه السلام كيفية رفع و إزالة هذه الآفات و الأمراض عن المؤمنين فى قيام الامام المهدى عجل الله فرجه فقال: «إذا قام القائم، أذهب الله عن كل مؤمن العاهة، و ردّ اليه قوته».[٤٠]

و روى أبو بكر الحضرمى عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً تحسين أوضاع أصحاب الامام المهدى عجل الله فرجه فقال: «من أدرك قائم أهل بيتى من ذى عاهة، برأ، و من ذى ضعف قوى».[٤١] و قد وردت لفظة «عاهة» فى هاتين الروايتين، و فسرت فى اللغة: بانها كل عيب و نقص بدنى، و إصابة، و ألم المرض، و آفة الجسم و الروح.[٤٢] و على هذا،

فسيبرأ المؤمنون و أصحاب الامام المهدى عجل الله فرجه الشريف في عصر ثورته المباركة و الظهور كافة الأمراض و الأوبئة و الابتلاءات و الآفات النفسية و البدنية و الروحية، و لا يكون المؤمن ضعيفاً هزيلاً، و سينعم الجميع بالقوة و الحيوية و النشاط، و لا يصيب المؤمنين و أصحاب المهدى عجل الله فرجه الشريف أى ضعف و فتور و وهن و مرض، و سيملكون أجساماً و أرواحاً سليمة و قوية، ليسيروا فى ركب الامام المهدى عجل الله فرجه الشريف و نصرته، و تنمو و تتكامل قواهم الجسمية و الروحية، فتصبّ فى خدمة توسيع الثورة المهدوية.

قوة المؤمن بأربعين رجلاً فى عصر الظهور: و ستنمو و تزدهر القوى البدنية و الروحية لأصحاب القائم عجل الله فرجه الشريف و تتضاعف قدرة كل رجل منهم أضعافاً كثيرة، و هذه القدرة هى زيادة أعداد المناصرين لثورته عجل الله فرجه الشريف للمساهمة فى توسيع الثورة المهدوية و تطويرها.

إن قدرة و قوة المؤمنين أصحاب المهدى عجل الله فرجه الشريف ستزدهر و تنمو الى حدّ تصل فيه قوة الرجل آنذاك منهم بقوة أربعين رجلاً، كما ذكرت الاحاديث و النصوص المروية عن المعصومين عليهم السلام فى بيانها حول زيادة قوة كل مؤمن من أصحاب القائم عجل الله فرجه الشريف روى عن الامام السجاد عليه السلام فى واصفاً حالات أصحاب الامام المهدى عجل الله فرجه الشريف فقال: «إذا قام قائمنا، أذهب الله عز و جل عن شيعتنا العاهة، و جعل قلوبهم كزبر الحديد، و جعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً، و يكونون حكام الأرض و سنامها».[٤٣] فقد بين هذا الحديث الشريف، نهاية هذه الأمراض و الأوبئة الشائعة و المنتشرة فى المجتمعات، و الآلام و الآفات فى عصر ظهور القائم عجل الله فرجه الشريف و ازدهار الاستعداد و القابليات الجسمية و الروحية لأصحاب المهدى عجل الله فرجه الشريف و على هذا ستزدهر و تتفتح الطاقات و القدرات البدنية فى ذلك الزمان، و يكون لكل رجل قدرة أربعين رجلاً، و ستنضج و تتكامل قدراتهم الروحية و النفسية أيضاً، فتكون لهم قلوب كزبر الحديد، و يمتلكون قدرات إيمانية عالية و قوية فى

عصر الظهور و الثورة المهدوية، و فى طريق التضحية و الفداء.

روى عبدالملك بن أعين عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً نمو و ازدهار أجسام و أرواح المؤمنين فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه الشريف و تكاملها، فقال: «إنه لو قد كان ذلك، أعطى الرجل منكم قوة أربعين رجلاً، و جعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعتها، و كنتم قوّام الأرض و خزّانها».[٤٤]

و روى سعد عن الامام الباقر عليه السلام حول تطور و نمو أجسام أصحاب القائم عجل الله فرجه الشريف فى عصر الظهور، فقال: «فاذا وقع أمرنا، و جاء مهدينا، كان الرجل من شيعتنا أجرى من ليث، و أمضى من سنان، يطأ عدوّنا برجليه، و يضربه بكفّيه، و ذلك عند نزول رحمة الله و فرجه على العباد».[٤٥]

و قد أكد الامام الصادق عليه السلام فى أحاديث عديدة على ازدهار و نمو القدرات الجسمية و الروحية لأصحاب الامام المهدى عجل الله فرجه الشريف و زيادة القدرات البدنية و الروحية لكل رجل بقوة أربعين رجلاً. روى أبوبصير عن الامام الصادق عليه السلام قال: «ما كان قول لوط لقومه: «لو إن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد»[٤٦]، إلا تمنّياً لقوة القائم عجل الله فرجه الشريف و لا ذكر إلا شدة أصحابه، فان الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً، و إن قلبه لأشد من زبر الحديد، و لو مرّوا بجبال الحديد لقطعوها، لا يكفّون سيوفهم حتى يرضى الله»[٤٧]، إن لكل رجل من أصحاب المهدى عجل الله فرجه الشريف قوة أربعين رجلاً فى عصر الظهور، و ستنمو هذه القدرة و تزدهر آنذاك، و سيحلّوا كافة المشاكل و الصعاب، لهم قلوب كزبر الحديد، فلو مرّوا بجبال الحديد لقطعوها، و لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله.[٤٨] و روى أيضاً عن الامام الصادق عليه السلام قال: «كأنى أنظر الى القائم عجل الله فرجه الشريف و أصحابه... و قد أثّر السجود بجباههم، ليوث بالنهار، رهبان بالليل، كأن قلوبهم زبر الحديد، يعطى الرجل منهم قوة أربعين رجل».[٤٩]

و ستصل قوة أجسام و أرواح أصحاب المهدىﷺ ذروتها ازدهاراً و نموّاً فى عصر الظهور، الى حدّ تصل قوة كل رجل منهم قوة أربعين رجلاً، اما أرواحهم و نفوسهم فهى مفعمة بروح الايمان، و قد صيرهم إيمانهم الذى لا يتزعزع رهباناً بالليل، و أسوداً فى النهار.

السير على الماء فى عصر الظهور: يمكن للمؤمن المشى و السير حافياً على الماء دون استخدامه أى آلة أو وسيلة فى ذلك. أما فى عصر الظهور، فسيقوى استعداد أصحاب المهدىﷺ و تتفتح قابلياتهم و أفهامهم، حتى يمكنهم السير بأقدامهم على الماء. روى محمد بن جعفر عن أبيه الامام الصادقؑ واصفاً قوة استعداد أصحاب المهدىﷺ و قواهم البدنية و الروحية فقال: «إذا بلغوا ـ أصحاب القائمﷺ ـ الخليج، كتبوا على أقدامهم شيئاً، فاذا نظر اليهم الروم ـ الاعداء ـ يمشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء، فكيف هو؟! فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها، فيحكمون فيها ما يشاؤون».[٥٠]

قوة البصر و السمع فى عصر الظهور: يمدّ الله فى قوة أبصار أصحاب المهدىﷺ و أسماعهم، و استعدادهم فى عصر ظهور الامام المهدىﷺ و تتكامل أفهامهم، لتشمل العالم بأسره، و يتقوى الارتباط بين قائد الثورة و أصحابه دون واسطة أو مبعوث، ليكون بينهم حوار طبيعى جاد و صريح، و يرى كل منهم الآخر فى أقصى بقاع العالم.

روى أبو الربيع الشامى عن الامام الصادقؑ واصفاً تفتّح و ازدهار قوة السمع و البصر لأصحاب القائمﷺ فقال: إن قائمنا إذا قام، مدّ لشيعتنا فى أسماعهم و أبصارهم، حتى لا يكون بينهم و بين القائم بريد، يكلّمهم فيسمعون و ينظرون إليه و هو فى مكانه».[٥١]

و روى ابن مسكان أيضاً قال: سمعت الامام الصادقؑ يقول: «إن المؤمن فى زمان

القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف و هو بالمشرق ليرى أخاه الذى فى المغرب، و كذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى فى المشرق».[٥٢]

العمر الطويل لأصحاب الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فى عصر الظهور: لقد عمّر الكثير من البشر أعماراً طبيعية فى هذا العالم، و سيتفتح و يزدهر استعداد الانسان هذا فى عصر ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف فتطول أعمار الناس عموماً فى عصر الظهور.

روى المفضل بن عمر قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقول: «إن قائمنا إذا قام، أشرقت الأرض بنور ربّها، و استغنى العباد من ضوء الشمس، و يعمر الرجل فى ملكه، حتى يولد له ألف ذكر».[٥٣]

العقل و الاخلاق الكاملة فى عصر الظهور: يجتمع عقل عباد الله فى عصر الظهور، و كذلك أفهامهم، و تتكامل أخلاقهم، و يحدث أكبر تفتّح و ازدهار عقلى و أخلاقى آنذاك، و يحصل هذا التوسع فى الفهم بقدرة الله تعالى، و يتحقق ذلك على يدى الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف

روى أبو خالد الكابلى عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا، وضع يده على رؤوس العباد، فجمع به عقولهم، و أكمل به أخلاقهم».[٥٤]

و روى مولى بنى شيبان أيضاً عن الامام الباقر عليه السلام قال: «إذا قام قائمنا، وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، و كملت بها أحلامهم».[٥٥]

و تترادف لفظة «الاحلام» و «العقول» فى هذا الحديث. و على هذا، سيتحقق جمع العقول و كمال أخلاق العباد فى عصر الظهور على يدى الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و هذا هو ذروة تفتّح قوة العقل، و عقلانية الانسان.

ازدهار العلم و تكامله فى عصر الظهور: إن عصر ظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو عصر

ازدهار العلم و تكامله و انتشاره فى العالم. و قد وصف النبى ﷺ الامام المهدى عجل الله فرجه فى خطبة الغدير فقال: «ألا إنه وارث كل علم، و المحيط به».[٥٦]

و رأى الامام على عليه السلام: أن المهدى عجل الله فرجه هو من أكثر الناس علماً و فضلاً.[٥٧]

و روى أبان عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً العلم فى عصر الظهور فقال: «العلم سبعة و عشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فاذا قام قائمنا، أخرج الخمسة و العشرين حرفاً، فبثّها فى الناس، و ضمّ اليها حرفين، حتى يبثّها سبعة و عشرين حرفاً».[٥٨]

و على ضوء هذا الحديث، فان تفوّق و ازدهار العلم فى عصر الظهور و علم القائم عجل الله فرجه عبر التاريخ هو علم فذّ و فريد من نوعه، فان حرفان من العلم يصلان الى سبعة و عشرين حرفاً أخيراً، و هذا هو قمة النمو و التكامل.

و على هذا، فان عصر الظهور سيكون عصر المعرفة و العلم و العقلانية و كمال الاخلاق. فمن خلال العلم الالهى للامام المهدى عجل الله فرجه سيصل العلم ذروته. إن جميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم عشر هذين الحرفين، فاذا قام القائم عجل الله فرجه أخرج الخمسة و العشرين حرفاً، فبثّها فى الناس، و ضم اليها حرفين آخرين حتى يبثّها سبعة و عشرين حرفاً، فتكتل كافة العلوم.

روى حمران عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً انتشار العلم و الحكمة فى عصر الظهور فقال: «تؤتون الحكمة فى زمانه، حتى أن المرأة لتقضى فى بيتها بكتاب الله تعالى و سنة رسول الله ﷺ».[٥٩]

إن اساس القضاء هو الاجتهاد، و إن الكثير من النساء يصلن الى مرحلة الاجتهاد فى عصر الظهور و هن فى بيوتهن، يحكمن بالكتاب و السنة.

الانجازات الكبرى فى ثورة الامام المهدى عليه السلام: ستتحقق آخر ثورة عالمية فى تاريخ البشرية فى عصر ظهور الامام المهدى عليه السلام و سينجز فيها آخر الابداعات، و ستتحقق آخر الخطط و المشاريع الكبرى، و هى كلها إنجازات فذّة و فريدة من نوعها ستتحقق فى عصر ظهور القائم عليه السلام. و ستظهر إبداعات عالمية آنذاك. فعلى هذا، لا يمكن فصل هذه الانجارات عن الابداعات الأخرى فى كافة الموارد و المصاديق.

و على هذا الاساس، فقد أخذت بعض التحولات و الانجازات فى عصر الظهور موقعها و محلها فى عنوان إبداعات و انجازات الثورة المهدوية، و بعضها أخذ موقعها و جهتها فى عنوان مستجدات الثورة المهدوية. إن الابداعات الكبرى أو المستجدات نفسها ستكون هى المبدأ و المنشأ، و هذه الانجازات و الابداعات فى الثورة المهدوية الكبرى اللامتناهية هى واسعة و متنوعة. و ان إعادة النظرة و التعرف و توصيف و تقرير هذه الابداعات هو أمر ضرورى و لازم فى معرفة طبيعة ماهية الثورة المهدوية الفذّة.

إن معرفة إمام العصر عليه السلام و خصائص و صفات أصحابه و أنشطتهم، و التحولات العجيبة و المدهشة التى ستتحقق فى عصرهم، هى من مظاهر «معرفة الامام عليه السلام» و بيان للتكاليف الشرعية لعموم المسلمين.

انتشار الاسلام فى أرجاء العالم فى عصر الظهور: الاسلام هو آخر و أكمل الأديان الالهية، و النبى محمد صلى الله عليه و آله هو خاتم الأنبياء و الرسل، و يتسم الدين الاسلامى وحده بثلاثة خصائص هى: طابع الجامعية و الشمولية، العالمية، و الخلود. و قد وصل خطاب الاسلام بعد هجرة النبى صلى الله عليه و آله الى يثرب، ثم انتشر فى الحجاز، و من ثم الى أقصى بقاع العالم. و قد دعا نبى الاسلام على أساس رسالته العالمية قادة البلدان الكبرى فى عصره الى الاسلام، و انتشر الاسلام منذ ذلك العصر، و سيصل فى عصر ظهور الامام

المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف الی أبعد قارّات العالم و عبر المحیطات و البحار، و کافة البلدان و المدن و البیوت فی أرجاء العالم، و سیحکم الاسلام وحده علی الکرة الأرضیة و العالم بأسره، و ستتبع شعوب العالم نهج نبی الاسلام محمد صلی الله علیه و آله و الأئمة المعصومین من أهل البیت علیهم السلام، و سیتحقق هذا الانجاز العظیم فی ثورة الامام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف العالمیة، و علی یدی الامام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف نفسه.

روی الامام الحسن المجتبی علیه السلام عن أبیه أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام واصفاً إمام آخر الزمان فقال: «و یظهره علی الأرض، حتی یدینوا طوعاً و کرهاً، یملأ الأرض عدلاً و قسطاً و نوراً و برهاناً، یدین له عرض البلاد و طولها، لا یبقی کافر إلا آمن».[٦٠]

و روی عن الامام زین العابدین علیه السلام قال: «إن الاسلام قد یظهره الله علی جمیع الأدیان عند قیام القائم عجل الله تعالی فرجه الشریف».[٦١]

و روی عدة أخبار عن الامام الباقر علیه السلام حول عولمة الاسلام فی عصر ظهور القائم عجل الله تعالی فرجه الشریف أیضاً. و هذه النصوص و الأخبار تشیر الی مدی انتشار الدین الاسلامی و اتساعه و شمولیته فی کافة أرجاء العالم، و هذا «الهدف الکبیر» هو من منجزات الثورة المهدویة.

روی جابر بن یزید الجعفی و أبو الجارود عن الامام الباقر علیه السلام واصفاً معرکة الثورة المهدویة المصیریة فقال: «یقتل الناس، حتی لا یبقی الا دین محمد».[٦٢]

و یعنی «بالناس» فی الروایة: الکفار و المشرکین و المنافقین و أتباع الادیان المصطنعة و الکاذبة».

و روی محمد بن مسلم أیضاً قال: سمعت الامام الباقر علیه السلام واصفاً إنجازات ثورة القائم عجل الله تعالی فرجه الشریف فقال: «یظهر الله عزوجل به دینه، و لو کره المشرکون».[٦٣].

و روی أبو المقدام قال: فسّر الامام الباقر علیه السلام قول الله تعالی: «لیظهره علی الدین کلّه

و لو كره المشركون».[٦٤] فقال عليه السلام: إن ذلك يكون عند خروج المهدى من آل محمد صلى الله عليه و آله، فلا يبقى أحد الا أقرّ بمحمد صلى الله عليه و آله».[٦٥]

و قد صرّح الامام الباقر عليه السلام فى هذا الحديث الشريف بايمان و توحيد كل إنسان على وجه الارض لله تعالى و فى كل بقاع العالم، و الاعتقاد بنبوة محمد صلى الله عليه و آله، و اقرار الشعوب بالدين الاسلامى فى عصر الظهور. فلا يبقى حينئذ منكر لرسالة نبى الاسلام محمد المصطفى صلى الله عليه و آله، و سيصل الاسلام الى كافة ربوع العالم، و تقر البشرية جمعاء بنبوة و رسالة نبى الاسلام صلى الله عليه و آله كما ذكرنا آنفاً.

روى محمد بن فضيل فى تفسير الآية المذكورة المتقدمة عن الامام الهادى عليه السلام قال: «يظهره على الأديان عند قيام القائم عجل الله فرجه».

و روى زرارة: أن رجلاً سئل الامام الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: «و قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة»؟[٦٦] فقال عليه السلام: لم يأت تأويل هذه الآية، و سيدرك كل من أدركه تأويلها إذا قام قائمنا». ثم قال عليه السلام: «و ليبلغن دين محمد صلى الله عليه و آله ما بلغ الليل و النهار، حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض كما قال الله».[٦٧]

و يعنى «بالليل و النهار» فى الرواية؛ ظهر الأرض كلها، فسيصل الدين الاسلامى الى كافة ربوع العالم، و سيقضى على الشرك و الظلال و الزيغ و الانحراف.

روى رفاعة بن موسى قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقرأ هذه الآية: «و له أسلم من فى السماوات و الأرض طوعاً و كرهاً»[٦٨]، فقال عليه السلام فى تفسيرها: «إذا قام القائم لا يبقى أرض إلا نودى فيها شهادة أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله».[٦٩]

و روى عبدالله بن سنان قال: سمعت أبى الامام الباقر عليه السلام يصف خضوع أهل الأرض، و إيمانهم بأهل البيت عليهم السلام فى عصر الظهور فقال: «فلا يبقى فى الأرض يومئذ أحد إلا خضع، و ذلّت رقبته لها، فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء، ألا إن الحقّ

فی علی بن أبی طالب عليه السلام و شیعته» [٧٠].

و بشّر الامام الصادق و الرضا علیهما السلام شیعتهم بقولهما: «إن قائمنا إذا قام، أشرقت الأرض بنور ربّها». [٧١]

و روی فی حدیث المعراج عن الامام الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله واصفاً إنجازات الثورة المهدویة فقال: «یجمع الخلق علی توحیدی». [٧٢]

و قد صرح هذا الحدیث المروی عن النبی صلى الله عليه وآله و النصوص و الاخبار المروية عن أئمة أهل البیت عليهم السلام بوضوح:«بعولمة الاسلام» فی عصر الظهور.

و علی هذا، فان الدین الاسلامی سیصل الی أقصی بقاع العالم فی نهایة تاریخ العالم و مصیر البشریة، و سیکون من أکثر الادیان السماویة أتباعاً فی العالم، و ستنتجه کافة الشعوب و الأمم فی العالم نحو الاسلام المحمدی الأصیل، و الاسلام الحقیقی الشیعی، یدخلون فیه زرافات و وحداناً.

و لا شك فی تشکیل هذا الانجاز العالمی الکبیر و إیمان الشعوب فی کافة أرجاء العالم بالاسلام، و عولمة الاسلام فی الثورة المهدویة.

انتصار الدین الاسلامی و إنهاء الادیان فی عصر الظهور: سیتم القضاء علی کافة الادیان التی انتهی مصرفها و تاریخها ببعثة نبی الاسلام محمد صلى الله عليه وآله فی عصر ظهور الامام المهدی عجل الله فرجه و سیحل الاسلام بدلاً عن الیهودیة و المسیحیة و الزرادشتیة و غیرها من الدیانات، و سیجد مسیحیوا العالم باتباعهم المسیح بن مریم عليه السلام الذی ینصر القائم عجل الله فرجه حاجتهم فی الاسلام، و ستنتهی کافة الأدیان و المذاهب الباطلة و الموهومة و المصطنعة و عبادة الأوثان، فلا یبقی لها أثر فی الوجود و یکون الدین لله.

روی عن النبی صلى الله عليه وآله واصفاً عصر ظهور الامام المهدی عجل الله فرجه فقال: «و یهلك فی زمانه الملل کلّها إلا الاسلام». [٧٣]

و روى ابن بكير عن الامام موسى بن جعفر فى تفسير قوله تعالى «و له أسلم من فى السماوات و الأرض طوعاً و كرهاً»[٧٤] فقال: أنزلت فى القائم عليه السلام إذا خرج باليهود و النصارى و الصابئين و الزنادقة و أهل الردة و الكفار فى شرق الأرض و غربها، فعرض: فمن أسلم طوعاً، أمره بالصلاة و الزكاة، و ما يؤمر به المسلم، و يجب لله عليه، و من لم يسلم، ضرب عنقه، حتى لا يبقى فى المشارق و المغارب أحد إلا وحّد الله»[٧٥]، فلما سمع ابن بكير هذا الخبر عنه عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، إن الخلق أكثر من ذلك؟ فقال عليه السلام: إن الله إذا أراد أمراً، قلّل الكثير، و كثّر القليل».

و على ضوء هذا الحديث النبوى الشريف، إما أن يسلم كافة أتباع الاديان الالهية السابقة و المذاهب المادية المصطنعة و الموهومة، و كافة الملحدين و الكفار و المرتدين الغربيين و الشرقيين فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف أو يعاقبوا و يقضى عليهم، و يكون جزاؤهم الموت، كما كان ذلك فى عصر الرسالة. قال تعالى:«و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه و هو فى الآخرة من الكافرين».

و على هذا، ستتخلى البشرية فى كافة القارات و بلدان العالم و منها أروبا و أمريكا، عن المسيحية و اليهودية المحرفتان عند ظهور الاسلام، و تنهى أعمارهما، و يدخلون فى الاسلام، أو يلاقوا جزاءهم العادل و مصيرهم المحتوم.

روى الشيخ المفيد عن على بن عقبة عن أبيه واصفا عصر الظهور فقال:«لم يبق أهل دين حتى يظهروا الاسلام، و يعترفوا بالايمان».[٧٦]

و قد أخبرت هذه الرواية عن فناء الأديان كلها إلا الاسلام فى عصر الظهور.

إقامة الحكومة العالمية: لم تطبق حكومة عالمية واحدة فى تاريخ البشرية و على مر العصور و الأزمنة فى حياتها أبداً.

إن من أهم انجازات الثورة المهدوية هو تشكيل الحكومة العالمية، بقيادة الامام

المهدی عجل الله فرجه و ستتمتع هذه الحكومة بنفوذ سياسی قوی فی العالم و ستكون حكومته ذا نطاق شمولی و غير محدود. فعلی ضوء الروايات و النصوص المروية عن المعصومين عليهم السلام، سيملأ نفوذ الامام المهدی عجل الله فرجه السياسی كافة أرجاء العالم، و أقطاب الأرض، و سيتحقق الوعد الالهی فی عولمة الاسلام مع حكومة إسلامية مهدوية عالمية.[٧٧]

و علی مشارف الظهور، سيسمع العالم كلّه نداء السماء الالهی و الدعوة الی اتباع القائم عجل الله فرجه و سيعرض الروح الأمين جبرئيل شخصية الامام المهدی عجل الله فرجه إلی العالم كما هی، كل إنسان بلغته، بصوت مسموع و مفهوم للجميع[٧٨].

لما روی عن الامام الباقر عليه السلام:«أنه يسمعه كل من فی المشرق و المغرب»[٧٩].

و ما روی عن الامام الصادق عليه السلام: «أنه يسمعه الثقلين -الجن و الانس- و الخافقين -الشرق و الغرب-[٨٠]، حتی تسمع الفتاة فی خدرها، و يسمع أهل المشرق و المغرب»[٨١].

و ما روی عن الرضا عليه السلام: «يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه»[٨٢].

و هذا الصوت العالمی و الشامل هو نداء و إعلان ببدء ظهور الامام المهدی عجل الله فرجه و تشكيل الحكومة العالمية للامام المهدی عجل الله فرجه

روی عن رسول الله صلی الله عليه و آله فی ذكره للأئمة عليهم السلام قال: «آخرهم القائم الذی يفتح الله تعالی ذكره علی يديه مشارق الأرض و مغاربها».[٨٣]

و روی عن علی عليه السلام واصفاً حدود الحكومة المهدوية فقال: «يملك ما بين الخافقين».[٨٤]

و روی عن الامام الباقر عليه السلام فی تفسير قوله تعالی: «و قل جاء الحق و زهق الباطل»[٨٥] فقال: «إذا قام القائم، ذهبت دولة الباطل».[٨٦]

و عن الامام الباقر عليه السلام أيضاً فی تفسير قوله تعالی: «الذين إن مكنّاهم فی الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الأمور»[٨٧] فقال عليه السلام: «هذه الآية نزلت فی المهدی و أصحابه، يملّكهم الله مشارق الأرض و مغاربها،

و يظهر بهم الدين، حتى لا يرى أثر من الظلم و البدع».[٨٨]

و روى عن الباقر و الصادق عليهما السلام فى تفسير قوله تعالى: «و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون».[٨٩] فقالا: «القائم و أصحابه».[٩٠]

و عن الامام الباقر و الصادق و السجاد عليهم السلام فى تفسير قوله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض»[٩١]فقالوا: «أنه مهدى آل محمد و أصحابه».[٩٢]

و روى محمد بن مسلم قال: سمعت الامام الباقر عليه السلام يصف حكومة القائم عجل الله فرجه و دولته فقال: «يبلغ سلطانه المشرق و المغرب».[٩٣]

و روى أبو الجارود و جابر بن يزيد الجعفى عن الامام الباقر عليه السلام قال: «يفتح الله له شرق الأرض و غربها».[٩٤]

و روى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً فتوحات القائم عجل الله فرجه فقال: «ثم يظهره الله عزوجل، فيفتح الله على يده مشارق الأرض و مغاربها».[٩٥]

و روى فى حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً دور و تأثير راية رسول الله صلى الله عليه و آله فى الثورة المهدوية فقال: «ثم ينشر راية رسول الله صلى الله عليه و آله، إذا نشرها أضاء لها ما بين المشرق و المغرب».[٩٦]

و عن ابن دراج قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يفسّر قوله تعالى: «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا أيمانهم و لا هم ينظرون»[٩٧]، فقال: «يوم تفتح الدنيا على القائم عجل الله فرجه و لا ينفع أحداً تقرّب بالايمان، ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً».[٩٨]

و عن الرضا عليه السلام فى حديث معراج النبى صلى الله عليه و آله واصفاً حدود سيادة المهدى عجل الله فرجه فقال: لأملكنه مشارق الأرض و مغاربها».[٩٩]

إن تشكيل أول حكومة عالمية تدعو إلى التوحيد على ضوء الشريعة الاسلامية و بيان الدور الشيعى، هو من أهم إنجازات و إبداعات الثورة المهدوية الكبرى، و ستكون حكومة الامام المهدىﷺ ذات نطاق شمولى و غير محدود، و ستحكم العالم بأسره.

الحكومة الخالدة فى عصر الظهور: سيشكل الامام المهدىﷺ حكومة عالمية فى آخر الزمان، و هى أول و آخر حكومة عالمية فى تاريخ البشرية.

و من خصائص و سمات حكومة القائمﷺ و أصحابه كونها حكومة خالدة الى يوم القيامة.

إن كافة الحكومات لها استقرار و ثبات نسبى فى أماكن عديدة من العالم، لكنها مؤقتة و غير خالدة، و هى زائلة و ستزول، إلا حكومة الامام المهدىﷺ فانها خالدة لن تزول الى انتهاء عمر الدنيا، و مجىء يوم القيامة، و نهاية التاريخ.

قال رسول اللهﷺ فى خطبة الغدير واصفاً الامام المهدىﷺ فقال: «ألا إن خاتم الأئمة منا: القائم المهدى... ألا إنه الباقى حجة، و لا حجة بعده».[١٠٠]

لقد بيّن النبىﷺ فى هذا الحديث خاتم الأوصياء، و إمام البشرية، و الحجة الباقية و الخالدة، التى ليس بعدها حجة.

روى عن رسول اللهﷺ عن الله تعالى فى حديث المعراج واصفاً خاتم الأوصياء الامام المهدىﷺ فقال:«لأديمن ملكه، و لأداولن الايام بين أوليائى الى يوم القيامة».[١٠١]

و روى أبو صادق عن الامام الباقرؑ فى واصفاً آخر دولة عالمية فقال: «دولتنا آخر الدول، و لن يبقى أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، و هو قول الله عز و جل: «و العاقبة للمتقين».[١٠٢]

و قد ذكرت فلسفة الغيبة فى هذا الحديث، حيث صرّح فيه: بأن الحكومة المهدوية العالمية هى آخر الحكومات.

و روى الحسن بن هارون قال: «كنت جالساً عند الامام الصادق عليه السلام، فسأله المعلى بن خنيس: هل سيرة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف تختلف عن سيرة الامام على عليه السلام؟ فقال عليه السلام: نعم، و ذلك أن عليا سار بالمنّ و الكف، لأنه علم أن شيعته سيظهر عليهم من بعده. ثم قال: و إن القائم إذا قام، سار فيهم بالسيف و السبى، و ذلك أنه يعلم أن شيعته لم يظهر عليهم من بعده أبداً».[١٠٣]

لقد أكدت هذه الاحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه و آله و أهل البيت عليهم السلام أن حكومة المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف العالمية هى آخر الحكومات فى العالم و نهاية التاريخ، حتى قيام الساعة، و سوف لن تأت بعدها حكومة، و لا يقضى عليها أبداً.

إن الحكومة العالمية لشيعة أهل البيت عليهم السلام ستظهر مع دولة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف و ستبقى خالدة مستمرةأبداً.

القضاء على الكفر و الشرك كله فى عصر الظهور: ظهرت صفة الكافر و المشرك منذ نشوء الأديان الالهية و السماوية على الأرض، و كان الكفر و الشرك مرافقا للباطل فى مواجهة الحق.

إن القضاء على الكفر و الشرك و الكفار و المشركين هو من خصائص و سمات و إنجازات الثورة العالمية للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فسيزول الكفر و الشرك عن الأرض فى عصر الظهور، و سيهلك الكفار و المشركون، كما جاء ذكر هذه التنبؤات عن تلك الحقائق و الأحداث المستقبلية فى أحاديث عديدة عن النبى صلى الله عليه و آله و أئمة أهل بيت عليهم السلام.

روى عن النبى صلى الله عليه و آله واصفاً صراع الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف مع الكفر و الشرك فى خطبة الغدير فقال: «ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك».[١٠٤]

و روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: «و يمحق الكافرين».

و روى عن على عليه السلام فى بيانه أهداف الثورة المهدويه فقال:«و يهلك الكافر».[١٠٥]

و روى سلام بن المستنير عن الباقر عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: «اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها»[١٠٦] فقال: «يحييها الله عزوجل بالقائم عجل الله فرجه بعد موتها بموت كفر أهلها، و الكافر ميت».[١٠٧]

و روى زرارة عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً إزالة الكفر و الشرك فى عصر الثورة المهدوية، و بيانه أن دين محمد صلى الله عليه و آله سيصل الى كافة أرجاء العالم قال: «لا يكون شرك على ظهر الأرض».[١٠٨]

و روى معاوية الدهنى أيضاً عن الامام الصادق عليه السلام فى تفسيره قول الله تعالى:«يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى و الاقدام».[١٠٩] قال: «لو قام قائمنا، أعطاه الله السيماء، فيأمر بالكافر، فيؤخذ بنواصيهم و أقدامهم، ثم يخبط بالسيف خبطاً».[١١٠]

و روى أبو بصير عن الامام الصادق أيضاً واصفاً تحطيم الكافر و المشرك فى عصر الظهور فقال: «فاذا خرج القائم، لم يبق كافر بالله العظيم، و لا مشرك بالامام، إلا كره خروجه، حتى لو كان كافر و مشرك فى بطن صخرة، لقالت: يا مؤمن، فى بطنى كافر، فاكسرنى واقتله».[١١١]

و روى ابن بكير عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «فى زمن ظهور المهدى عجل الله فرجه يعرض الاسلام على الشرق و الغرب، فان لم يسلموا، ضرب أعناقهم و قضى عليهم».[١١٢]

و وصف الامام الرضا عليه السلام ظهور القائم عجل الله فرجه «بأنه رحمة للمؤمنين، و عذاب للكافرين».[١١٣]

و روى عبدالعظيم الحسنى عن الامام الجواد عليه السلام واصفاً إزالة الكفر فى دولة المهدى عجل الله فرجه و ثورته فقال: «لكن القائم الذى يطهّر الله عز و جل به الأرض من أهل الكفر و الجهود».[١١٤]

و تفيد هذه الأحاديث المروية عن المعصومين عليهم السلام: أن الشرك و الكفر سيزول عن الأرض فى نهاية التاريخ و عصر ظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و لا يبقى مشرك أو كافر حيّاً على وجه الأرض، و سيقضى على الكفار و المشركين، و تمحى مظاهر و جذور الكفر و الشرك.

تحطيم عبادة الاوثان: سيقضى على الكفر و الشرك فى عصر الظهور، و تمحى كل مظاهر عبادة الاوثان، فلا يبقى أثر لعبادة الأوثان، و هذه أيضاً من خصائص و سمات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فسيحرق المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف اللات و العزى، و هى أكبر أوثان الجاهلية عند العرب. روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: «فيخرج اللات و العزى طريين، فيحرقهما».[١١٥]

و روى محمد بن مسلم الثقفى قال: سمعت الامام الباقر عليه السلام واصفاً مصير عبادة الأوثان فى عصر الظهور فقال: «فلا يبقى فى الأرض معبود دون الله من صنم أو وثن و غيره إلا وقعت فيه نار فاحترق».[١١٦]

و روى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام قال: «لا تبقى فى الارض بقعة عبدالله فيها غير الله عزوجل إلا عبد الله فيها».[١١٧]

بقية الله؛ الحجة و الامامة الالهية العالمية: إن الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو بقية الله، و خاتم الأئمة الأوصياء، و حجة الله تعالى فى العالمين.

إن بعض خلفاء الله و أنبياءه و رسله و أوصياءه هم حجة الله المبعوثون على بقعة معينة من العالم، أرسلهم إليها لتبليغ رسالاته، و هداية الناس فى هذا الجزء المحدد من العالم و دعوتهم إلى الله.

أما نبى الاسلام محمد صلى الله عليه و آله و أوصياؤه، فهم حجج الله على الناس فى كافة أرجاء العالم، و الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو خاتم الأئمة الأوصياء و آخر المعصومين، و وصى

النبی ﷺ و ذخیرة أنبیاء الله، و هو بقیة الله و حجته العالمیة علی رؤوس الأشهاد.

روی جابر بن عبدالله الانصاری ـ الصحابی المعروف و الثقة من قبل النبی ﷺ ـ أنه دخل علی فاطمة الزهراء لیهنیها بولادة الحسن علیه السلام، فوجد فی یدها صحیفة فیها أسماء الأئمة المعصومین و نسبهم، فلما نظر الی اسم الامام المهدی عجل الله فرجه قال: أبو القاسم محمد بن الحسین، هو حجة الله تعالی علی خلقه القائم»[۱۱۸].

هذا ما جاء فی الصحیفة. و قد وصفه النبی ﷺ فی خطبة الغدیر فقال: ألا إنه الباقی، حجة و لا حجة بعده».[۱۱۹]

و روی الامام علی علیه السلام عن رسول الله ﷺ واصفاً نداء الوحی الالهی عند مشارف عصر الظهور فقال: «و مناد ینادی، هذا المهدی خلیفة الله، فاتبعوه».[۱۲۰]

و روی محمد بن مسلم قال: سمعت الامام الباقر علیه السلام واصفاً عصر الظهور، و أول خطاب و کلام للامام المهدی عجل الله فرجه فقال: «إذا خرج، أسند ظهره الی الکعبة... و أول ما ینطق به هذه الآیة: «بقیة الله خیر لکم إن کنتم مؤمنین». ثم یقول: أنا بقیة الله فی أرضه».[۱۲۱]

و وصف الامام الصادق علیه السلام فی حواره مع المفضل بن عمر الامام المهدی عجل الله فرجه: «بأنه حجة الله»[۱۲۲].

و قال لعمران بن داهر فی کیفیة السلام علی المهدی عجل الله فرجه: «قل:السلام علیك یا بقیة الله. ثم قرأ: «بقیة الله خیر لکم»».

و روی عن الامام الرضا علیه السلام واصفاً النداء عند الظهور فقال: «ینادی مناد من السماء، یسمعه جمیع أهل الأرض بالدعاء إلیه یقول: «ألا إن حجة الله قد ظهر عند بیت الله، فاتبعوه، فان الحق معه وفیه».[۱۲۳]

و قد ورد فی الروایة عن الامام الرضا علیه السلام و النبی ﷺ فی حدیث المعراج:«أن الامام

المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو خاتم الأوصياء، و آخر الخلفاء، و الولى و المنتخب عن الله، و آخر الحجج الالهية، على شعوب العالم و سائر الامم، و سيأتى لنصرة و إعلاء كلمة الدين و تحكيمه، و تطهير الأرض من أعداء الله».[١٢٤]

و على ضوء هذه الأحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه و آله و الأئمة المعصومين، فان الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف هو بقية الله، و الامام و الحجة على العالمين؛ يظهر بنداء من السماء، و خطاب له عليه السلام فى بيت الله الحرام، و هو خطاب موجّه الى العالم.

و هو عليه السلام حجة الله الوحيدة المتبقية فى الأرض، الذى سيحقق نجاحات باهرة و كاملة فى نهاية التاريخ، و يطبّق التوحيد فى العالم، و يحكمه فى الأرض.

إنهاء الظلم فى العالم فى عصر الظهور:

لقد بدأ الظلم فى العالم منذ بدء الخليقة، و فى عصر آدم عليه السلام الى عصرنا الراهن، فقد كان و لا يزال أبداًالى عصر الظهور.

إن رفع الظلم عن البشرية فى كافة أرجاء العالم هو من خصائص و سمات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فهو عليه السلام الذى يقوم بازالته عن كافة البلدان و المدن و الأمصار فى العالم.

إن من أهداف بعثة الانبياء و الرسل و الاوصياء و المنظومة البشرية فى الحياة الاجتماعية و السياسية هو: رفع الظلم و إزالته و الحرمان و المعاناة عن البشرية، و سيتحقق هذا الهدف الكبير فى الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فلم يقدر أى أحد من الرسل و الانبياء و الأوصياء، بل حتى نبى الاسلام محمد صلى الله عليه و آله و الامام على عليه السلام أن يرفع الظلم بمقياس عالمى عن البشرية، و لا يتم هذا الا فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف فانه من خصائص و إنجازات ثورته العالمية الكبرى.

قال على عليه السلام:«فى قيام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف سيطهر الله الأرض من الظالمين».[١٢٥]

و روى جابر بن يزيد الجعفى عن الامام الباقر عليه السلام فى صراع المهدى ضد الظلم فقال: «فيبعث المهدى جنوده الى الآفاق، و يميت الجور و أهله».[١٢٦]

و روى أبو الجارود عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً صراع المهدى عجل الله فرجه و أصحابه مع الظلم و الاستبداد فقال: «يميت الله به و أصحابه البدع و الباطل، كما أمات السفهة الحق، حتى لا يرى أثر من الظلم».[١٢٧]

و روى المفضل بن عمر عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً منجزات الثورة المهدوية فقال: «و يطهّر الأرض من كل جور و ظلم».[١٢٨]

و روى الشيخ المفيد عن على بن عقبة عن أبيه قال: «إذا قام القائم، حكم بالعدل، و ارتفع فى أيامه الجور».[١٢٩]

و اعتقد الامام الرضا عليه السلام أن ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه سبب لعنة و هلاك الظالمين.[١٣٠]

و روى الحسين بن خالد أيضاً عن الامام الرضا عليه السلام واصفاً منجزات ثورة القائم عجل الله فرجه فقال: «يظهر الله به الأرض من كل جور، و يقدّسها من كل ظلم».[١٣١]

لقد صرّحت الاخبار و الروايات المتواترة بل المستفيضة عن النبى صلى الله عليه و آله و المعصومين عليهم السلام بتطهير الأرض من الظلم فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه فلا يبقى له أثر بعد عين، و ستحدث أمور عجيبة و مدهشة بموت الظلم فى الأرض، و فى كافة أرجاء العالم.

إرساء دعائم العدل و السلام فى العالم: بعث الله الانبياء و الرسل لإرساء دعائم القسط و العدل فى المجتمعات البشرية[١٣٢].و لكن هذا الهدف الأقدس لم يتحقق على الصعيد العالمى أبداً، ولكنه سيتحقق فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه فى العالم. إن تطبيق العدل الكامل فى أرجاء العالم هو من خصائص و انجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله فرجه فقد اتسمت هذه الثورة المهدوية الكبرى بارساء دعائم القسط و العدل فى

العالم.

و قد أكّد النبى صلى الله عليه و آله و الأئمة المعصومين فى ما روى عنهم من أقوال و أحاديث كثيرة فى بيان هذه الحقيقة.

منها ما روى عنه صلى الله عليه و آله: «يملأ الأرض قسطاً و عدلاً»، و إخباره عن انتشار القسط و العدل، و استيلائه على العالم فى عصر الظهور، و إنهاء الظلم، و إرساء دعائم القسط و العدل فى الحكومة العالمية للامام المهدى عجل الله فرجه و قد وصف الأئمة المعصومين عليهم السلام القائم عجل الله فرجه فى كثير من كلماتهم و أقوالهم، و تواتر ذلك بل استفاض عنهم، و روى عنهم هذا التعبير القيّم «أى القسط و العدل» المليء بالمعانى و المضامين العالية و الراقية كثيراً عن النبى صلى الله عليه و آله[١٣٣]، و الامام على عليه السلام[١٣٤]، و الامام الحسين عليه السلام[١٣٥]، و فاطمة الزهراء عليها السلام[١٣٦]، و الامام الباقر[١٣٧]، و الصادق[١٣٨]، و موسى بن جعفر[١٣٩]، و الرضا[١٤٠]، و الجواد[١٤١]، و الهادى[١٤٢]، و الحسن العسكرى عليهما السلام[١٤٣].

روى عن الامام الباقر عليه السلام قال: «اذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسوية، و عدل فى الرعية».[١٤٤]

و روى الفضيل عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً نشر الامام المهدى القسط و العدل فقال: «أما و الله ليدخلن عليهم عدله جوف بيتهم، كما يدخل الحرّ و القرّ».[١٤٥]

و روى هشام بن سالم عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً عدالة المهدى عجل الله فرجه فقال: «ما يكون هذا الأمر، حتى لا يبقى صنف من الناس إلا قد ولّوا على الناس، حتى لا يقول قائل:إنا لو ولّينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق و العدل»[١٤٦].

و روى عن الامام الصادق عليه السلام و موسى بن جعفر عليه السلام: «أن المهدى عجل الله فرجه يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد أن ملئت ظلماً و جوراً».[١٤٧]

و عن الامام الرضا عليه السلام واصفاً عدالة المهدى قال: «وضع ميزان العدل بين الناس، فلا

يظلم أحد أحداً».[١٤٨]

إن ما تواتر من أحاديث تواتراً معنويا بل لفظياً أيضاً هو: أن الامام المهدىﷺ و قائم آل محمدﷺ سيملأ الأرض قسطاً و عدلاً، و سيحقق هدف الأنبياء و الأوصياء فى إقامة و إرساء دعائم القسط و العدل فى ربوع العالم، و هذا هو من خصائص و إنجازات الثورة المهدوية الكبرى للامام المهدىﷺ و انتصار العدل و الايمان لشعوب العالم، و وصولها الى السعادة و الكمال.

تحطيم الشيطان فى عصر الظهور: عندما أخرج الشيطان من الحضرة الالهية، بدأ أغواءه للبشرية و إضلالها، و سيستمر هذا الإغواء و الإضلال حتى يخرج قائم آل محمدﷺ.

و لم يستطع أحد أن يحطم الشيطان و يقضى عليه فى تاريخ البشرية، لكنه سيحطم فى عصر ظهور المهدىﷺ و هو من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدىﷺ.

روى عن الامام الهادىؑ فى تفسير «الشيطان الرجيم» فقال: «معنى «الرجيم» أنه مرجوم باللعنة، مطرود عن مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلا لعنه، و أن فى علم الله السابق أنه: إذا أخرج القائم، لا يبقى مؤمن فى زمانه الا رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن».[١٤٩]

و على ضوء هذا الحديث، فسيلعن المؤمنون الشيطان، و يرجمونه بالحجارة فى عصر الظهور، و سيؤدى صنيعهم هذا الى موت الشيطان، و تحطيمه و القضاء عليه.

روى جابر بن يزيد الجعفى عن الامام الباقرؑ فى تفسير قوله تعالى: «و الليل إذا يغشى»[١٥٠]، قال: «دولة إبليس الى يوم القيامة، و هو يوم قيام القائمﷺ.

و فى تفسيره لقول الله تعالى:«و النهار إذا تجلى»[١٥١]قال:«هو القائم إذا قام».[١٥٢]

و على ضوء هذا الحديث، فان دولة إبليس و سيادته و سيطرته على العالم ستنتهى عند ظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و سيكون قيام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف هو أول يوم القيامة لإبليس اللعين الرجيم.

و روى وهب بن جميع قال: سألت الامام الصادق عليه السلام عن قول إبليس:«رب انظرنى الى يوم يبعثون. قال: فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم» [١٥٣]، فقال عليه السلام: لاتظن أنه المراد به يوم البعث فى يوم القيامة، و لكن الله عز و جل أنظره الى يوم يبعث الله عز و جل قائمنا، فاذا بعث الله عز و جل قائمنا، فيأخذ بناصيته، و يضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم». [١٥٤]

و روى إسحاق بن عمار أيضاً: أنه سأل هذا السؤال من الامام السجاد عليه السلام فقال عليه السلام: «الوقت المعلوم يوم قيام القائم، فاذا بعثه الله، كان فى مسجد الكوفة، و جاء إبليس حتى يجثو على ركبتيه، فيقول: يا ويلاه، من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته، فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم، منتهى أجله». [١٥٥]

إن ما روى عن المعصومين عليهم السلام يؤكد هذه الحقيقة و هى: أن المؤمنين أن سيلعنون الشيطان و يرجمونه بالحجارة فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و سيتم «تحطيم الشيطان و إماتته»، و هذا هو من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف و سيجازى الشيطان على أعماله، و يعاقب على أفعاله، على يدى الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف بأمر من الله تعالى، فيأخذ الامام بناصيته، و يضرب عنقه، و سيخلّص العالم من شروره و وساوسه و آثامه، و سيتحرر البشر من عتقه و ربقته و أسره.

إن «الشيطان» هو مظهر عصيان الله تعالى، و سيادة الشرور و الفساد و الآثام، و انتشار الخيانة و التعدى و السرقة و الزنا و الربا وشرب الخمر و المسكرات، و قتل النفس و الحيلة و الخداع و الاضلال و المنكرات.

و إن تحطيم الشيطان و القضاء عليه يعنى انتفاء مظاهر الشر و الفساد و الممارسات و الاساليب الشيطانية و الاأخلاقية فى عصر الظهور.

و سيؤدى تحطيم الشيطان الى استقرار و تثبيت القيم و المبادئ الالهية و الانسانية فى كافة الجهات و بشكل كامل.

الامن و السلام العالمى فى عصر الظهور: تعيش البشرية حالة من القلق و التوتر الامنى و الاضطراب و العنف عبر تاريخها، و قد رافقها هذا الخوف و القلق فى مسيرتها، و سبّب لها كثيراً من المعاناة و المآسى.

فالأمن و الطمانينة و الشعور بالاستقرار و الراحة هو أمر محبب و مفضل لدى كافة الشعوب و الامم فى العالم.

إن الهدف من تطبيق و إقامة الأمن و الاستقرار لعباد الله و المؤمنين هو لأجل ممارسة وظائفهم و مسئولياتهم تجاه ربهم، للوصول الى السعادة و الكمال الحقيقيين، و هذا الأمر هو من أهداف بعثة الأنبياء و الرسل و الأوصياء. إلا أن هذا الأمن لم و لن يتحقق أبداً للبشرية على الصعيد العالمى و الاقليمى، بل هو من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله راسماً الحدود الجغرافية لاتساع نطاق الأمن المهدوى فقال: «يبسط فى المغرب و المشرق الأمن من كرامة الحجة بن الحسن عليه السلام، حتى يرتع الأسد مع الغنم، و النمر مع البقر، و الذئب و الغنم، و تلعب الصبيان مع الحيات».[١٥٦]

و روى عن الامام على عليه السلام واصفاً استقرار الأمن بين الوحوش فى الفلاة فى عصر الظهور فقال: «تصطلح فى ملكه السباع».[١٥٧]

و روى عنه عليه السلام أيضاً واصفاً الأمن المهدوى فقال: «لو قد قام قائمنا، لأنزلت السماء قطرها، و لصلحت السباع و البهائم، حتى تمسى المرأة بين العراق و الشام، و لايهيجها

سبع و لاتخافه».[١٥٨] و روى عن ابن عباس واصفاً عصر ظهور القائم عجل الله فرجه فقال: «لايبقى صاحب ملّة إلا صار الى الاسلام، حتى تأمن الشاة من الذئب، و البقر من الأسد، و الانسان من الحية، و... وذلك عند قيام القائم».[١٥٩]

و روى عن قتادة قال: المهدى خير الناس... يطفئ الله به الفتنة. العمياء، و يأمن الأرض، حتى أن المرأة لتحج فى خمس نسوة و ما معهن رجل، لا تتقى شيئاً».[١٦٠]

و روى عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً منجزات الثورة المهدوية فقال: «يقاتلون و الله، حتى يوحّد الله، و لا يشرك به شيئاً، و حتى يخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب، لا ينهاها أحداً أو لا يؤذيها أحد».[١٦١]

و روى على بن عقبة الصحابى عن الامام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام واصفاً انتشار الأمن المهدوى فقال: «أمنت به السبل».[١٦٢]

و روى أبو بصير عن الامام السجاد عليه السلام و عبدالله بن سنان عن الامام الصادق عليه السلام فى تفسيرهما قول الله تعالى: «و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً»[١٦٣]. فقالا عليهما السلام: إنها نزلت فى القائم و أصحابه، و يراد بها ظهور القائم عجل الله فرجه».

و روى عن الامام الصادق عليه السلام قوله لمن غفل عن منجزات الظهور، و لم يتمن الظهور و الحضور، واصفاً انتشار الأمن فى عصر الظهور فقال: «سبحان الله، أما تحب أن يظهر العدل، و يأمن السبل، و ينصف المظلوم؟!».[١٦٤]

و روى أبو بكر الحضرمى عن الامام الصادق عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: «و من دخله كان آمناً»[١٦٥] فقال: «فمن بايعه، و دخل معه، و مسح على يده، و دخل فى عقد أصحابه، كان آمناً».[١٦٦]

و تشير الروايات عن المعصومين عليهم السلام أن الأمن و السلام و انتشار الهدوء و الاستقرار سيتحقق فى عصر الظهور و فى ظل ولاية الامام المهدى عجل الله فرجه فتتعايش فى هذا العصر

الحيوانات المفترسة و الأليفة، و يتصالح الانسان مع الطبيعة فى أعلى مستوى، و فى هدوء كامل، و أجواء ودّية و سلام تام، و أمن كامل. و سيسود الأمن و الاستقرار كل العالم و البشريه جمعاء، و سيعم الأمن و السلام الحقيقى كل السبل و البلدان و المدن، و يأمن الناس من الخوف و القلق، حتى العجوز الضعيفة التى تود السفر بين الشرق العالم و غربه.

إن وجود الأمن و الاستقرار الالهى بين الكائنات و المخلوقات فى كافة أرجاء العالم هى من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدىﷺ و الابداعات المحيرة و المدهشة التى تظهر على يدى قائم آل محمدﷺ.

الاعمار و التنمية فى عصر الظهور: سيعمرّ العالم بأسره فى عصر الظهور، و سيتم بناء وإعمار ما حلّ بالعالم من دمار و خراب على الأرض، و بناؤها من جديد، فلا يبقى أثر للخراب. و هذا من خصائص إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدىﷺ.

روى محمد بن مسلم الثقفى عن الامام الباقرؑ واصفاً خصائص الثورة المهدوية فقال: «فلا يبقى فى الأرض خراب إلا قد عمّر». و يؤكد خبر عمران المذكور على ازدهار الأرض و إعادة إعمارها فى عصر الظهور بعد ما لحقها من خراب و دمار، و لا يختص هذا الاعمار و البناء بمدينة أو بلد أو قارّة من القارّات، بل هو إعمار شامل يضم كافة القطاعات، و هو من خصائص و إنجازات الثورة المهدوية الكبرى بقيادة الامام المهدىﷺ

التوزيع المتوازن للثروات العالمية في عصر الظهور:

إن تقسيم الاموال و الثروات العالمية التى تصل الى الأئمةﷺ لا يكون رصيدها بمستوى أداء و رصيد ما يصل إلى الامام المهدىﷺ فى عصر الظهور، و هذا هو من

خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله فرجه.

روى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يحثى المال حثياً، لايعدّه عداً، يملأ الأرض عدلاً».[١٦٧]

و روى معمر بن قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنه يستخرج الكنوز، و يقسّم المال».[١٦٨]

و روى عن النبى صلى الله عليه وآله واصفاً النعم الالهية على الأمة فى عصر الظهور فقال: «تتنعم أمتى من المهدى نعمة لم ينعموا مثلها قطّ، ترسل السماء عليهم مدراراً، و لا تدع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجته، و المال كدوس، يقوم الرجل يقول: يا مهدى، أعطنى، فيقول: خذ».[١٦٩]

و روى فى حديث آخر عن النبى صلى الله عليه وآله واصفاً الحياة فى عصر الظهور بأنه الحياة الأفضل فى العالم فقال: تعيش أمتى فى زمانه عيش لم تعشه قبل ذلك فى زمان قطّ».[١٧٠] و فى حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله واصفاً عصر ولاية الامام المهدى عجل الله فرجه فقال: «تتنعم أمتى فى ولايته نعمة لم ينعموا مثلاً».[١٧١]

و روى أبو سعيد الخدرى فى حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله واصفاً كيفية تقسيم الأموال فى عصر الظهور فقال:«يقسّم المال صحاحاً، قلنا: و ما الصحاح؟ قال:بالسوية بين الناس، فيملأ الله قلوب أمة محمد صلى الله عليه وآله غنى و يسعهم عدله».[١٧٢]

و روى عن الامام الباقر عليه السلام واصفاً العطاء و الأرزاق فى عصر الظهور فقال: «يعطى الناس عطايا مرّتين فى السنة، و يرزقهم فى الشهر رزقين، و يسوّى بين الناس، حتى لا ترى محتاجاً الى الزكاة، و يجيء أصحاب الزكاة بزكواتهم الى المحاويج من شيعته، فلا يقبلونها، فيصرّونها، و يدورون فى دورهم، فيخرجون اليهم، فيقولون: لا حاجة لنا فى دراهمكم». و روى فى حديث آخر عنه عليه السلام متمّماً للحديث السابق، واصفاً تكديس

الاموال و تخزينها عند الامام المهدى عجل الله فرجه فقال: «يجتمع اليه أموال أهل الدنيا كلّها من بطن الأرض و ظهرها... فيعطى عطاء لم يعط أحد قبله».[١٧٣]

و روى المفضل بن عمر عن الامام الصادق عليه السلام واصفاً استغناء الناس و عدم حاجتهم و اكتفائهم فى عصر الظهور، بسبب نشر العدالة، و توزيع الثروات بالتساوى، فقال: «يطلب الرجل منكم من يصله بماله، و يأخذ من زكاته، لا يوجد أحد يقبل منه ذلك، استغنى الناس بما رزقهم من فضله».[١٧٤]

و تشير هذه الأحاديث المروية فى عصر الثورة المهدوية: أن كافة الأموال و الثروات و الزكوات و الاخماس تجبى الى الامام المهدى عجل الله فرجه فى عصر الظهور، فيصبح الامام المهدى عجل الله فرجه أقوى سلطة و قدرة اقتصادية فى العالم، فيقسم الأموال بالتساوى بين الناس، و يستغنون عنها، و لا يبقى فقير و لا معوز فى العالم.

إن اجتماع الثروات و تخزينها عنده عليه السلام، و استغناء شعوب العالم عنها، و انتهاء الفقر و المشاكل المادية هى من خصائص و إنجازات الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله فرجه و ستتحقق على يدى قائم آل محمد عجل الله فرجه و ستحدث قفزة نوعية كبرى و تحسناً و انتعاشاً اقتصادياً ملموساً فى العالم، و سيتم توزيع الثروات بشكل عادل و مطلوب من مواهب الأرض فى عصر ظهور الامام المهدى عجل الله فرجه و ثورته الكبرى، و تستخدم هذه التوسعة الاقتصادية العالمية لتحقيق أهداف الثورة العالمية الكبرى للامام المهدى عجل الله فرجه و سيتبع النصر النهائى و النجاح الأخير فى العالم إيجاد: الصلاح، التقوى، السلام، الصداقة، العدالة، العبادة، و الحرية المعنوية.

نتائج البحث

يتضح من خلال هذا البحث فى ذكر خصائص و سمات و مظاهر الثورة المهدوية و

إنجازاتها: أن الثورة المهدوية الكبرى هى ثورة ذات طابع عالمى وجامع و شمولى، تتضمن كافة الابداعات، والنمو و التفتح و الازدهار المادى و المعنوى فى العالم، ستقع فى نهاية التاريخ، و ستتحقق فى آخر الاديان التوحيدية، بعد هيمنة الاسلام و سيطرته و نفوذه على العالم، و انتشاره فى مختلف الأصعدة و شئون الحياة الدينية و السياسية و الاجتماعية، و الاقتصادية و العلمية و التنموية و سائر القطاعات. و ستظهر الأرض كنوزها و معادنها، و خيراتها و بركاتها، و تتعايش سباع الأرض، و سباع الطير، و تطيعه فى أوامره و تدعمه، و تقف منظومة الشمس و القمر، و الرياح و السحاب مواقف إيجابية إلى جانبه و تدعمه، و ستزدهر و تتكامل كافة القطاعات، لتصب فى خدمة الأهداف المقدسة و الالهية للامام المهدى عليه السلام و ستعافى أجسام وأرواح الخلائق من الآفات و الأمراض و الأوبئة، و ستسير كافة القابليات و الاستعدادات الجسمية و الروحية باتجاه خدمة مصالح و أهداف الثورة العالمية المهدوية، و تخطو البشرية و سائر المؤمنين خطوات راقية و مهمة بقيادة قائم آل محمد عليه السلام فيمدّ الله فى أبصار الناس و أسماعهم فى العالم، و تعيش البشرية حياة طويلة و هادئة، مستخدمة العقل و مكارم الاخلاق المتكاملة، و ينمو العلم و يصل الى اكمل مراحله، و يمحى الجهل و التخلف عن الناس، و تعيش الشعوب و الأمم و البشرية جمعاء بروح عالية و هادئة و مطمئنة، ملؤها النشاط و الحيوية و القوة، لتحقيق أهداف الأنبياء و الأوصياء و الأولياء المبعوثين من قبل الله تعالى عبر التاريخ.

و سينمو هذا الازدهار و ينتشر التطور و الإبداع، و تتحقق الإنجازات الكثيرة و الكبيرة فى الثورة المهدوية العالمية بدهشة و إعجاب فى كافة أرجاء العالم، و سيهيمن الاسلام على العالم، و تستقبل البشرية الاسلام المحمدى الأصيل برحابة صدر، فيدخلون فى دين الله أفواجاً، أشتاتاً و وحداناً، و سينتهى أعمار الأديان البشرية المادية المصطنعة

و الكاذبة، و الأديان الالهية المحرّفة، و سيقضى على الكفر و الشرك و عبادة الأوثان فى العالم، و ستطبق حكومة العدل الالهية العالمية الواحدة، القائمة على الاسلام، بقيادة بقية الله فى الأرضين، و الحجة و الامام على العالمين، الامام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف المهيمن على القارات و المدن و البلدان، و سيزيل عجل الله تعالى فرجه الشريف الظلم بكافة أشكاله و أنواعه إلى غير رجعة، و سيحلّ العدل و القسط فى ربوع العالم دائماً و الى الأبد، و سيحطّم الشيطان، و يقضى عليه، و ينهى كافة المظاهر الشيطانية و أساليب الخداع و التضليل، و سيعمر الأرض و من عليها، و يوزّع الثروات و الأموال بالقسط بين الناس، و يعمّ الأمن و الاستقرار فى أقصى بقاع العالم، و سيقتدى قائد الثورة الامام المهدى بسيرة الأنبياء و الأوصياء و الأولياء الماضين و آثار السلف الصالحين، هو مع أصحابه الذين لايشبههم سابق، و لايلحقهم لاحق، مستخدمين أسلحة السماء، و الإمداد الغيبى و الدعم الإلهى، للقيام بحركات سريعة و خاطفة، و الارتقاء بالشعوب و الامم العالمية و الأخذ بها نحو النمو و الازدهار والسعادة الأبدية و الكمال.

اللهم عجل فى فرج مولانا صاحب العصر و الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.
و الحمد لله رب العالمين.
و صلى الله على محمد و آله الطاهرين.

الهوامش

١.محمد باقر المجلسى، بحارالانوار، ج٥٢، ص٢٣٠-٢٣١، الطبعة الثالثة: انتشارات مؤسسة الوفاء، لبنان١٤٠٣ق.

٢.النعمانى، الغيبة، ص١٧٥؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص٢٣٥.

٣.المصدر السابق نفسه، ص١٥٣.

٤. المصدر السابق نفسه، ص١٥٢.

٥.المصدر السابق، ص١٢٩ و ١٧٦؛بحارالانوار، ج٥٢، ص٢٤٩.

٦.النعمانى، الغيبة، ص٢٢٠.

٧.الشيخ المفيد، الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ترجمة هاشم رسولى محلاتى، ج٢، ص٣٥٩، الطبعة الثانية: الانتشارات العلمية الاسلامية، طهران، بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٣٨.

٨.النعمانى، الغيبة، ص٢٢٠.

٩.المصدر نفسه، ص٢٢٠.

١٠.بحارالانوار، ج٥٤، ص٣٣٢.

١١.الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٥٧-٣٥٨.

١٢.المصدر السابق نفسه، ص٣٦٠.

١٣.سورة الأنبياء، الآية١٠٥.

١٤.السيد هاشم البحرانى، البرهان فى تفسير القرآن، ج٣، ص٧٥، الطبعة الثالثة: انتشارات مؤسسة الوفاء، لبنان.

١٥.المصدر السابق نفسه.

١٦.أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى، مجمع البيان فى تفسير القرآن، ج٤، ص٦٦، انتشارات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى، قم١٣٠٣ق؛البرهان فى تفسير القرآن، ج٣، ص٧٥.

١٧.بحارالأنوار، ج٥١، ص٤٧؛ البرهان فى تفسير القرآن، ج٣، ص٧٥.

١٨. بحارالأنوار، ج٥٢، ص١٩١و ٣٩٠.

١٩. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٢٢.

٢٠. السيد هاشم البحرانى، المحجّة فيما نزل فى القائم الحجّة ٤، تحقيق و تعليق محمد منير الميلانى، ص٢٨، الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة الوفاء، لبنان ١٤٠٣ ق.

٢١. بحارالأنوار، ج٥١، ص٦٦.

٢٢. المصدر السابق نفسه، ج٥٢، ص٣٢٣.

٢٣. علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى، كنزالعمال فى سنن الأقوال و الأفعال، تحقيق محمود عمر الدمياطى، ج١٤، ص١٢٢، الرواية ٣٨٦٩٧، الطبعةالأولى: انتشارات دارالكتب العلمية، لبنان ١٤١٩ ق.

٢٤. المصدر السابق نفسه، ص١٢٢، الرواية ٣٨٦٩٨.

٢٥. المصدر نفسه، ص١٢٣، الرواية ٣٨٧٠٥.

٢٦. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٨٠.

٢٧. المصدر السابق، ص٣٤٥.

٢٨. الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٥٦، بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٣٧.

٢٩. الشيخ الصدوق، كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٦٩، الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة النشر الاسلامى التابعة لجامعة المدرسين فى الحوزة العلمية فى قم، ١٤٠٥ ق.

٣٠. المصدر السابق نفسه، ص٦٧٣؛ بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٢٧.

٣١. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٦٧٤؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٢٨.

٣٢. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٩١.

٣٣. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٦٩.

٣٤. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٢٨.

٣٥. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٩٠.

٣٦. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١٢.

٣٧. كنزالعمال فى سنن الأقوال و الأفعال، ج١٤، ص١٢٢، الرواية ٣٨٦٩٧.

٣٨. المصدر السابق نفسه، ص١٢٣، الرواية ٣٨٧٠٥.

٣٩. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٢٨٠.

٤٠. المصدر السابق نفسه، ص٣٣٣.

٤١. النعمانى، الغيبة، ص٢١٧؛ بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٤٦.

٤٢. بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٣٥.

٤٣. ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٥٢٠، الطبعةالأولى: نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥، انتشارات مرتضوية، طهران؛ سعيد خورى الشرتونى اللبنانى، أقرب الموارد فى فصح العربية و الشوارد، ج٢، ص٨٥١، الطبعةالأولى: انتشارات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى، قم، ١٤٠٣ ق؛ ناصر على عبدالله، المعجم

البسيط (اللغة العربية المبسطة و السهلة الى الفارسية)، ص٢٢٣، الطبعةالثانية، انتشارات الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، مشهد ١٣٨١ ش.

٤٤. بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣١٧.

٤٥. أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازى ، الكافى؛ ج٨، ص٢٩٤، الطبعة الثالثة: انتشارات دارالتعارف للمطبوعات، لبنان ١٤٠١ ق.

٤٦. بحارالانوار، ج٥٢، ص٣١٨.

٤٧. سورة هود، الآية ٨٠.

٤٨. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٦٧٣؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٢٧؛ المحجّة فى ما نزل فى القائم الحجّة ٤، ص١٠٦.

٤٩. الشيخ المفيد:الاختصاص، تصحيح و تعليق على أكبر غفارى، ص٨، الطبعة الأولى: انتشارات جماعة مدرسى الحوزة العلمية، بحارالأنوار، ج٥٢، ص٣٧٢.

٥٠. بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٨٦.

٥١. النعمانى، الغيبة، ص٢١٩؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٦٥.

٥٢. الكافى، ج٨، ص٢٤١، الرواية ٣٣٩؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٣٦.

٥٣. بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٩١.

٥٤. الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٥٦؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٣٠ و ص٣٣٧.

٥٥. بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٣٦.

٥٦. الكافى، ج١، ص٢٥؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٦٧٥؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٢٨.

٥٧. أبو منصور أحمد بن أبى طالب الطبرسى، الاحتجاج، مع تعليقات محمد باقر الموسوى، ج١، ص٦٤، الطبعة الاولى: انتشارات مؤسسة الاعلمى للمطبوعات، و مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، لبنان ١٩٨١ م.

٥٨. النعمانى، الغيبة، ص١٤٣.

٥٩. بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٣٦.

٦٠. المصدر السابق نفسه، ص٣٥٢.

٦١. المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٠.

٦٢. سليمان بن ابراهيم القندوزى الحنفى، ينابيع المودة لذوى القربى، تحقيق على جمال أشرف الحسينى، ج٣، ص٢٤٠، الطبعة الاولى: انتشارات دارالاسوة للطباعة و النشر، ٤١٦ ق؛ هاشم البحرانى، غاية المرام،

ص٧٥٣، الرواية ٩٩، انتشارات دارالقاموس، الطبعة الاولى، لبنان.

٦٣. الشيخ الطوسى، الغيبة، ص٢٨٣، الطبعة الاولى: انتشارات مكتبة بصيرتى، قم ١٣٨٥ ق؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٢٩١ و ص٢٩٠.

٦٤. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٣٣١، بحار الانوار، ج٥٢، ص١٩١.

٦٥. سورة التوبة، الآية ٣٣.

٦٦. مجمع البيان فى تفسير القرآن، ج٣، ص٢٥، بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٤٦؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٨٧.

٦٧. الكافى، ج١، ص٤٣٢، المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٨٧.

٦٨. سورة التوبة، الآية ٣٦.

٦٩. غاية المرام، ص٧٣٠، الرواية ٢١؛ ينابيع المودة لذوى القربى، ج٣، ص٢٣٩. المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٨٧، ٧٩، ٩٦.

٧٠. سورة آل عمران، الآية ٨٣.

٧١. بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٤٠، ينابيع المودة لذوى القربى، ج٣، ص٢٣٦.

٧٢. النعمانى، الغيبة، ص١٧٣و ١٧٤؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٢٩٢.

٧٣. الشيخ الطوسى، الغيبة، ص ٢٨٠، بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٢٢ و ٣٣٧.

٧٤. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣١٢.

٧٥. المصدر السابق نفسه، ص٣٨٣.

٧٦. سورة آل عمران، الآية ٨٣.

٧٧. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٤٠، المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٥٠.

٧٨. الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٥٩؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٣٨.

٧٩. عبدالهادى الفضلى، فى انتظار الامام، الطبعة الثانية، انتشارات دارالزهراء، بيروت ١٣٩٢ ق، ص٦٥ ـ ٦٦.

٨٠. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٤٤ و ٢٩٠.

٨١. النعمان، الغيبة، ص١٧٠، بحار الأنوار، ج٥٢، ص ٢٣٠.

٨٢. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٧٨.

٨٣. الشيخ الطوسى، الغيبة، ص١١١، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٨٥.

٨٤. النعمانى، الغيبة، ص١٢٠، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٢٢.

٨٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٢٨٢، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٧٨.

٨٦. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٨٠.

٨٧. سورة الاسراء، الآية ٨١.

٨٨. بحار الأنوار، ج٥١، ص٦٢.

٨٩. سورة الحج، الآية ٤١.

٩٠. البرهان فى تفسير القرآن، ج٢، ص٩٦؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٢٤٤؛ ينابيع المودة لذوى القربى، ج٣، ص٢٤٤؛ بحار الأنوار، ج٥١، ص٤٧ و ٤٨.

٩١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٩٢. مجمع البيان فى تفسير القرآن، ج٤، ص٦٦؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص١٤١.

٩٣. سورة النور، الآية ٥٥.

٩٤. مجمع البيان فى تفسير القرآن، ج٤، ص١٥٢؛ النعمانى، الغيبة، ص١٦٠؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

٩٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٣٣١؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٩١.

٩٦. الشيخ الطوسى، الغيبة، ص٢٨٣؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٩١.

٩٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٣٥.

٩٨. بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٩١.

٩٩. سورة السجدة، الآية ٢٨.

١٠٠. ينابيع المودة لذوى القربى، ج٣، ص٢٤٦.

١٠١. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١٢.

١٠٢. الاحتجاج، ص٦٣ و ٦٤.

١٠٣. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٢٥٦؛ بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣١٢.

١٠٤. كتاب الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٥٩؛ الشيخ الطوسى، الغيبة، ص٢٨٢؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٣٢ و ٣٣٩؛ سورة الأعراف، الآية ١٢٧، و سورة القصص، الآية ٨٣.

١٠٥. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٥٣.

١٠٦. الاحتجاج، ج١، ص٦٤.

١٠٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٢٨٨.

١٠٨. النعمانى، الغيبة، ص١٨٤.

١٠٩. سورة الحديد، الآية ١٧.

١١٠. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٦٦٨؛ النعمانى، الغيبة، ص٢٢١؛ بحار الانوار، ج٥١، ص٥٤.

١١١. بحار الانوار، ج٥١، ص٥٥.

١١٢. سورة الرحمن، الآية ٤١.

١١٣. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٢٠ و ٣٢١.

١١٤. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٦٧٠؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٢٢٦ و ٣٢٤؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٨٥ و ٨٦.

١١٥. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٤٠؛ المحجه فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٥٠.

١١٦. النعمانى، الغيبة، ج٢، ص١٢٠.

١١٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٧٨؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٢٨٣؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٢٧.

١١٨. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٧٩.

١١٩. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٣٣١؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص١٩٢.

١٢٠. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٣٣٥ و ٣٣٦.

١٢١. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٣٠٧.

١٢٢. الاحتجاج، ص٦٤.

١٢٣. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٨٠.

١٢٤. المصدر السابق نفسه، ص١٩٢.

١٢٥. المصدر السابق نفسه، ص١٤٥.

١٢٦. المصدر السابق نفسه، ص٣٧٣.

١٢٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٧٢.

١٢٨. المصدر السابق نفسه، ج١، ص٢٥٦.

١٢٩. المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص١٨٣ و ١٨٤.

١٣٠. البرهان فى تفسير القرآن، ج٣، ص١٤١؛ سعيد أبو معاش، الامام المهدى فى القرآن و السنة، ص٧٩، الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة البحوث و الدراسات فى الحضرة الرضوية الشريفة، مشهد ٤٢٢ ق.

١٣١. المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص١٤٣.

١٣٢. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٣٦.

١٣٣. الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٥٩؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٣٨.

١٣٤. النعمانى، الغيبة، ص١٢٠.

١٣٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٧٢؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٢١.

١٣٦. سورة الحديد، الآية ٢٥.

١٣٧. النعمانى، الغيبة، ص٥٢ و ٥٩ و ١٦٥ و ٢٠٠؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٦٢ و ٢٨٥ و ٢٨٧؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص١٤٣ و ٢٦٧ و ٢٧٧ و ٣٠٤ و ٣٢٣ و ٣٦٣ و ٣٧٩.

١٣٨. النعمانى، الغيبة، ص٤١ و ٤٢؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٢٨٩؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٢٨٠؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٢٤.

١٣٩. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٣١٨.

١٤٠. المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٩٥.

١٤١. النعمانى، الغيبة، ص١٥٧؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٢٩١ و ٣٥١؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص١٢٩.

١٤٢. النعمانى، الغيبة، ص١٢٥ و ١٢٦؛ كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٤٢.

١٤٣. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٦١ و ٣٦٩ و ٣٨٣.

١٤٤. المصدر السابق نفسه، ج١، ص٣٧٢؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٢٢.

١٤٥. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٧٧؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٢٨٣.

١٤٦. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٨٣.

١٤٧. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٨٣.

١٤٨. المصدر السابق نفسه، ص٣٨٤ و ٤٠٩.

١٤٩. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٥١.

١٥٠. النعمانى، الغيبة، ص٢٠٠؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٦٣.

١٥١. النعمانى، الغيبة، ص١٨٣.

١٥٢. الكافى، ج٧، ص١٧٤، ج٨، ص٢٦٧.

١٥٣. كمال الدين و تمام النعمة، ج٢، ص٣٧٢؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٧٢.

١٥٤. الشيخ الصدوق، معانى الاخبار، تحقيق على أكبر غفارى، ص١٣٩، الطبعة الأولى: انتشارات جماعة مدرسى الحوزة العلمية فى قم، ١٣٦١ ش؛ بحار الانوار، ج٦٣، ص٢٤٢.

١٥٥. سورة الليل، الآية ١.

١٥٦. سورة الليل، الآية ٢.

١٥٧. المحجة فيما نزل فى القائم الحجة ٤، ص٢٥٣.

١٥٨. سورة الحجر، الآية ٣٧ و ٣٨.

١٥٩. بحار الانوار، ج٦٣، ص ٢٢١.

١٦٠. بحار الانوار، ج٥٢، ص٣٧٦.

١٦١. غاية المرام، ص٦٩٧.

١٦٢. بحار الانوار، ج٥٢، ص ٢٨٠.

١٦٣. الشيخ الصدوق، كتاب الخصال، ج٢، ص٦٢٦، الطبعة الاولى: انتشارات جماعة مدرسة الحوزة العلمية فى قم، ١٤٠٢ ق؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص ٢٩٠.

١٦٤. بحار الانوار، چ ٥١، ص٦١؛ غاية المرام، ص٧٣٢؛ ينابيع المودة لذوى القربى، ج٣، ص٢٤٠.

١٦٥.السيد بن طاووس، الملاحم والفتن فى ظهورالغائب المنتظر: ٤، ص٦٨-٦٩، الطبعة الأولى: منشورات الرضى، قم.

١٦٦.بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٤٥؛ غاية المرام، ص٧٢٣؛ ينابيع المودة لذوة القربى، ج٣، ص٢٤٠؛ المحجة فيما نزل فى القائم الحجة٤، ص٨٣.

١٦٧.الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٣٥؛بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٣٨.

١٦٨.النعمانى، الغيبة، ص١٦٠؛ بحارالانوار، ج٥١، ص٥٨؛المحجة فيما يزل فى القائم الحجة٤، ص١٤٨و ٦٩طى الاختصاص، ص٢١؛ بحارالانوار، ج٥٢، ص١٤٤.

١٧٠. سورة آل عمران، الآية٩٧.

١٧١. الشيخ الصدوق، علل الشرايع، ص٨٩ الباب٨١، الطبعة الأولى: انتشارات مؤسسة الاعلمى، بيروت، ١٩٨٨م ؛بحارالانوار، ج٢، ص٢٩٢.

١٧٢. كمال الدين و تمام النعمة، ج١، ص٣٣١؛ بحار الانوار، ج٥٢، ص١٩١.

١٧٣. الملاحم والفتن فى ظهور الغائب المنتظر٤، ص٦٩، الباب ١٤٧.

١٧٤. الارشاد فى معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٣٥٦، ص٣٥٦. بحارالانوار، ج٥٢، ص٣٣٧.